AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

أنشُودَةُ الحُرية وَالوَطن وَشَقائِقُ النُّعمَان..

الهدف - فلسطين - العدد 69 (1543) - آذار / مارس 2025

لا لذبح الأرض
لا لمن يطوي البيارق
٣٠ آذار
يـــوم الأرض
MARCH 30TH
THE LAND DAY
30DE MARZO
DIA DE LA TIERRA
CHIVARA ABED AL QADER

في البدء كانت فلسطين والقدس أولاً

تتزامن كتابة هذه الصفحة مع يوم عزيز يعلو فيه صوت فلسطين والقدس في عشرات العواصم ومئات المدن في أكثر من دولة وقارة إنه يوم القدس العالمي حيث تهتف ملايين الحناجر بعبارات فلسطين أبقى، والأقصى أيقونة القدس وجوهرتها، سيبقى رمزاً مقدساً وعنواناً لقضية الكفاح، وقبلة لكل الأحرار والمقاومين.. وتأكيداً على حتمية زوال الكيان الصهيوني ومشروعه الاستعماري العنصري الفاشي.

يسجل للأصدقاء الغيارى إعلاء مكانة القدس والعمل على استعادتها حرّة أبية وعاصمة أبدية لفلسطين في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك.

أما في الموقف والحدث لن يسمح الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة لمخططات التصفية والإبادة والتهجير بأن تمر على أجساد وأشلاء وآلام وأوجاع الأهل في قطاع غزة ومخيمات الضفة الفلسطينية وأحياء القدس العتيقة والعريقة.

ولن يقبل الشعب الفلسطيني أن يُهزم بدمه وجروحه وعذاباته، لا لن يستسلم ولن يقبل بالإذلال والخضوع لاتفاقات تنال من عزته وكرامته.

وبتعبير درويش «ولو أنا على حجر ذبحنا، لن نقول نعم»...

وحسب بسيسو «إن سكت مت، وإن قلتها مت، قلها ومت»...

لا أحد يستطيع أن يحدد مستقبل الفلسطيني ويفرض عليه «خارطة طريق» عبر إدارة ترامب والمعدّة في دوائر التخطيط الصهيونية وغرف أجهزة المخابرات والتطرف الديني والصهيوني.

الموقف واضح كالشمس، الأرض للفلسطينيين لن يحكمها الغرباء والغزاة الصهاينة ولا أي من الوكلاء الطغاة مهما كانت تسمياتهم.

لن يقبل الأسرى أن يكون ثمن حريتهم بقاء الاحتلال على أرض قطاع غزة أو سيطرة الأمن والجيش الصهيوني على إدارته وإرادته وحريته ومستقبله.

ولن يقبل الأسرى مقايضة حريتهم بتهجير مئات آلاف الفلسطينيين بعيداً عن أرضهم ووطنهم.

ولن يقبل الشعب الفلسطيني مقايضة دمائه وشهدائه وضحاياه وعذاباته بوقف إطلاق نار أو اتفاق يفرضه العدو الصهيوني أو أمريكا والغرب الاستعماري، دماء الفلسطينيين ليست للبيع أو المتاجرة أو المقامرة « تموت الحرّة ولا تأكل بثديها؟»

نعم الحرية والكرامة والوطنية دونها الثبات والصمود أو الموت.

في يوم القدس العالمي لابد من التأكيد على ثبات الموقف وخيار المقاومة، لا راية بيضاء في فلسطين أو في غزة، ستبقى الراية مشرعة وبنادق المقاومين حاضرة ما دام الكيان الصهيوني واحتلاله لأرض فلسطين قائماً. مهما بلغت شلالات الدماء من المقاومين والمدنيين إلا أن الحق الفلسطيني في الأرض والمقاومة لن يضيع أو يغرق فيها، بل ستزيد الفلسطينيين عزيمة وإصرار وثبات على الأهداف والمبادئ.

يسجل للشعب الفلسطيني قبوله التحدي فمعنى كلمة فلسطين الكنعانية، المقاتل الشجاع، محكومون بالأمل، الأمل المبني على تراث آلاف السنين، الأمل المستند إلى عدالة القضية الفلسطينية بكل المعايير والسنن والقيم التاريخية والسياسية والقانونية والأخلاقية والدينية.

وقبل كل شيء الوعي والإرادة والاستعداد العالي للتضحية والفداء لدى الشعب الفلسطيني والدعم والإسناد من كل شعوب وأحرار العالم والقوى المكافحة ضد الصهيونية والهيمنة الأمريكية وحلفائها من دول الاستعمار الغربي واتباعهم أو أذيالهم في المنطقة والعالم.

في يوم القدس العالمي لا خيار أمام الشعب الفلسطيني إلا الوحدة وليكن الشعار الذي رفعه الرفيق الحكيم وأكده الشهيد أبو علي مصطفى ورده الأمين العام احمد سعدات في قرار التحدي ومواجهة الاحتلال والسجان الصهيوني ؛ الرأس بالرأس، بالوحدة والمقاومة ننتصر، نعم سينتصر الشعب الفلسطيني، أما الكيان الصهيوني فهو إلى زوال، وسينتصر الأحرار في العالم وسيتبدد التوحش الأمريكي وستسقط مشاريع التسلط والهيمنة الامبريالية،

فلسطين هي الأبقى والقدس عاصمتها الأبدية ولو بعد حين.

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (69) - (1543) - آذار (مارس) 2025

أسسها عام 1969

الأديب الشهيد

غسان كنفاني

رئيس التحرير

كايد الغول

مدير التحرير

محمد أبو شريفة

المدير الفني

منير الرفاعي

تصميم الغلاف

جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472

البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الافتتاحية

- في البدء كالنت فلسطين — 1

حوار العدد

- مع الرفيق فيليب نودجينومي الأمين العام للحزب الشيوعي في بنين — حوار: محمد أبو شريفة — 4

شؤون فلسطينية

- العدوان الصهيوني الجديد على قطاع غزة ما بين السياق التكتيكي والسياق الاستراتيجي — عليان العليان — 6
- عناوين وملفات فلسطينية الاكتظاظ السياسي في المرحلة الراهنة — علي بدوان — 9
- شلّال الدم الفلسطيني يطغى على أعياد المرأة! — إلهام الحكيم — 11
- فلسطين: بين الحرب والقمة العربية والمستقبل — د. حاتم الجوهري — 13
- في الهدف: تلك الجديلة عشبة للأرض — أحمد علي هلال — 15
- غزة إلى أين؟ — وفاء حميد — 16

شؤون عربية

- لماذا فشلت القمة العربية في وقف الإبادة الجماعية في قطاع غزة؟ — رضي الموسوي — 17
- مساع أميركية لتطبيع بين لبنان وإسرائيل تُفاقم الانقسام الداخلي — أنيس محسن — 19
- الحروب التجارية وأثرها على الأمة العربية — مسعود أحمد — 21
- النسوية التونسية/ العربية وحرب الإبادة في غزة — كوثر الباجي — 22
- «الهدر الغذائي» في رمضان واقتصادات الخليج — د. منى فضل عباس — 24

شؤون دولية

- فلسطين تفرض نفسها على الانتخابات الأمريكية رغم كل محاولات الإقصاء (3-3) — د. رباب ابراهيم عبد الهادي — 26
- لقاء إدارة ترامب مع حماس.. التوقيت والدلالات — حمزة البشتاوي — 29
- رسالة ترامب الى ايران: تهديد سياسي ام عسكري!! — كاظم الموسوي — 31

شؤون العدو

- تعقيدات المفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية ا — د. محمد عياش — 33
- الشرق الأوسط الكبير بين بيرز وكونداليزا رايس ونتنياهو الأهداف والدوافع — د . أدهم هندي شقير — 35
- قلق الوجود الصهيوني (من طوفان الأقصى إلى طوفان التحرير) — د. سامي الشيخ محمد — 37
- إسرائيل بين الإقالات والتصعيد في غزة — نبال عمر — 38
- اتفاق وقف إطلاق النار بين التكتيك والأهداف الكبرى الإسرائيلية — محمد حسين — 39
- الفاشية الصهيونية والإجرام الممنهج لاستهداف الأسرة الفلسطينية — أحمد عويدات — 40

- **دراسات الهدف:** الاستيطان في الضّفّة الغربيّة هل هو عامل احتراب أم عامل لحمة؟ (2/2) — **د. انتصار الدّنّان** — 42
- **رصد الهدف:** مخيمات الضفة في مواجهة التهجير والإبادة — 47
- **ترجمات الهدف:** «كيف أصبح النجاح الاقتصادي للصين هدفاً لترامب والإمبريالية الأمريكية؟» — **ترجمة: نور نوارة** — 48

شؤون ثقافية

- الكاتب والمخرج المسرحي فتحي عبد الرحمن — أمينة عباس — 50
- كتّاب غزة الشهداء (2) — د. ثائر يوسف عودة — 54
- غسان كنفاني: حين تصيرُ الكلمةُ وطناً لا يُهزَمُ — آية غسان سعيد — 56
- «نزيف التراب2».. وفيلم» لا أرض أخرى» حضور فلسطيني واضح — بسام سفر — 57
- الأرض وتجلياتها سينمائياً — موسى مراغة — 59
- حكاية تشبه كلّ الحكايات(2) — محمد بلال — 61
- هل تنبأ الأدب بزوالهم — مصعب عيسى — 62
- لحم الوجود — لمى الشطلي — 64

حوار الهدف

مع الرفيق فيليب نودجينومي

الأمين العام للحزب الشيوعي في بنين

◄ أجرى الحوار: محمد أبو شريفة مدير تحرير مجلة الهدف

◄ ترجمة: معاذ الجحري

شهدت منطقة الساحل الأفريقي في السنوات الأخيرة أحداثا عديدة أفضت إلى أوضاع جديدة غير مسبوقة في هذه المنطقة التي ظلت لفترة طويلة جدا مسرحا مستباحا للهيمنة الاستعمارية الغربية. لقد اشتد صمود شعوب المنطقة وهبت للنضال ضد الهيمنة والسيطرة الإمبريالية وخاصة الفرنسية التي تتعاطى مع هذه الدول باعتبارها الحديقة الخلفية الملحقة بالمراكز الرأسمالية الاحتكارية الفرنسية من خلال دعم كل أشكال التبعية والإخضاع. لكن على ما يبدو أن هذه الانتفاضات لم تحقق إلى الآن أهدافها بتشكيل نماذج وطنية شعبية وذلك لأسباب شتى، مما هيأ الأجواء لتنظيم انقلابات عسكرية سيطرت على الانتفاضات الثورية في عدة أقطار منها مالي، بوركينا فاسو والنيجر وغيرها، وإقرار عدد من الإجراءات ضد الهيمنة الغربية بما في ذلك إغلاق القواعد العسكرية وإلغاء جملة من الاتفاقيات السياسية و الاقتصادية وغيرها.

إن مجريات التحولات في القارة السمراء جذبت الأنظار العالمية إليها خاصة من القوى الثورية في العالم، وتزاحمت الأسئلة والتوقعات لفهم ما يجري في الساحل الأفريقي الذي ما زال مسرحا مفتوحا للصراع. وفي هذا السياق تحاور «الهدف» الأمين العام للحزب الشيوعي في بنين الرفيق فيليب نودجينومي، هذا الحزب الذي له دور بارز في قيادة النضال في بنين وفي منطقة الساحل من أجل تحقيق الحرية والاستقلال والانعتاق من الهيمنة والعبودية والاستعمار والاستعمار الجديد.

■ 1. حدثنا عن نشأة الحزب الشيوعي في بنين ودوافع الاهتمام بالقضايا الوطنية والالتزام التنظيمي والسياسي؟ كيف ومتى بدأ؟

تم إنشاء الحزب الشيوعي في داهومي، ويسمى اليوم الحزب الشيوعي للبنين، في 31 ديسمبر عام 1977. وذلك وفق السيرورة التالية:

- النضالات الأيديولوجية ضد الشعبوية من 1975 إلى 1976 وتبني فئة محدودة من الماركسيين لنظرية كلاسيكي الماركسية-اللينينية وهم ماركس وإنجلز ولينين وستالين.

- تطبيق هذه النظرية على دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي في بنين لتحديد الطبقات الاجتماعية المتصارعة وتلك التي على أساس مصالحها تُبنى نظرية الثورة في بنين : أي الطبقة العاملة.

وأخيرا، اعتبارا لكون بلادنا توجد تحت السيطرة شبه الاستعمارية لفرنسا، تحديد المراحل التي يجب اجتيازها خلال السيرورة الثورية ووضع الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية المناهضة للإمبريالية كهدف في المرحلة الحالية.

- إن التزام الحزب إلى جانب شعب بنين وشعوب أفريقيا والعالم يكمن في مجموع مصالح الشعوب التي تسيطر عليها وتضطهدها الإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في جميع أنحاء العالم.

ومنذ ذلك الحين، استمر الحزب وفق هذا المنظور. وحيثما كان ذلك ممكنا، انخرط حزبنا بشكل منهجي مع الحركات الأخرى المناهضة للإمبريالية في جميع أنحاء العالم دفاعا عن السلام وحق الجميع في العيش بحرية وسعادة في بلدانهم.

■ 2. يعيش العالم أزمات اقتصادية بسبب توحش الرأسمالية وتهديد مستقبل الشعوب، كيف يمكن أن تقوم القوى الشيوعية واليسارية والتقدمية الأممية بدورها في مواجهة السياسات الإمبريالية بشكل عام والإمبريالية الأمريكية بشكل خاص والاصطفاف إلى جانب الشعوب في صراعها لتقرير مصيرها؟

هذه قضية صميمية ومقلقة للغاية. إننا في مفترق طرق لمجمل التطورات على الصعيد العالمي، حيث وصلت أزمة الرأسمالية إلى ذروتها. إن اللحظات الحاسمة في هذه الأزمة المتعددة الأبعاد هي أزمة عام 2008 التي لا تزال تكشف عن انعكاساتها على الإنسانية، وخاصة على ظروف العمال والشعوب والتي تستمر في التدهور. إن خطر الحرب العالمية الثالثة

> **إن الويلات التي تعاني منها أفريقيا (العبودية والاستعمار والاستعمار الجديد) سببها قوى الغرب الرأسمالي والتي ما زالت تسيطر على القارة. وهذا يعني أن أفريقيا، وخاصة منطقة جنوب الصحراء، هي في مرحلة التحرر الوطني**

يعبر عن نفسه بشكل أكثر وضوحا كل يوم، والاستعدادات لهذه الحرب ملحوظة مع ارتفاع الميزانيات العسكرية في العالم وسباق التسلح، ومن الواضح أن الأسلحة المصنعة لن يكون لها سوى هدف واحد هو تدمير البشر. لأن الأسلحة ليس لها من غرض آخر سوى قتل الإنسان.

في مثل هذه الظروف، تلعب القوى الشيوعية والتقدمية والثورية والأممية دورا مهما: تعبئة العمال والشعوب في حركات احتجاجية واسعة وكبيرة لوقف القتلة؛ أو إذا تعنتوا، تحويل الحرب إلى ثورة عارمة للإطاحة بالنظام الهمجي الذي يحكم العالم حاليا.

■ 3. ما تزال الولايات المتحدة الأميركية تهيمن على النظام الدولي، وفي المقابل نرى بشكل خاص الدور الصيني والروسي يبرز بشكل ملحوظ على الساحة الدولية، هل سنرى تحولات جديدة على تركيبة النظام الدولي؟

نعم، تستمر الولايات المتحدة في الهيمنة على العالم. لكن النظام العالمي يشهد بالفعل تحولات كبيرة في الوقت الحالي. إننا نشهد، مع نهاية عهد الألفية، تحولا على نطاق عالمي، للغرب الرأسمالي لصالح عالم آخر، عالم البريكس. وبشكل أكثر تحديداً، تشهد الإنسانية انتقال القيادة من القوة العظمى الأمريكية المتراجعة، ولكنها لا تزال مهيمنة وزعيمة العالم الغربي، إلى قوة عظمى أخرى، الصين، القائد الطامح للكتلة العالمية الجديدة. ونعلم أيضا أن مثل هذا الانتقال من قوة عظمى عالمية إلى قوة عظمى أخرى لم يحدث من قبل دون حرب ذات طبيعة عالمية. وهذا ما يفسر تصرفات دونالد ترامب، الذي يهدف فقط إلى إبطاء هذا التراجع للولايات المتحدة من خلال شعار «اجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى» (MAGA). لكن هل سينجح؟ هذا ليس مؤكدا. وكما قلت أعلاه، أصبح ظهور الصين الآن حقيقة عالمية؛ وأيضا روسيا ودول أخرى مثل البرازيل والهند وتركيا وغيرها. باختصار. هناك تحول نحو تعددية قطبية أمام أعيننا والتي ستحل محل الأحادية الأمريكية الحالية. هذا لا يقاوم.

■ 4. كيف تقرأ مجريات صراع المشاريع السياسية في إفريقيا بين مشروع غربي استعماري إمبريالي ومشروع مضاد تحرري مقاوم؟

القارة الأفريقية هي مركز مشاكل الإنسانية. كل المعارك الأكثر شراسة وقوة بين القوى الإمبريالية تنجم عن السيطرة والهيمنة على ثروات أفريقيا الهائلة وأشد المنافسات الإمبريالية المريرة تجري في القارة الأفريقية. إنها القارة التي ليست الشعوب فيها سيدة نفسها في بلدانها. وذلك من خلال خمسة قرون من العبودية وقرن من الاستعمار المستمر حتى يومنا هذا. باختصار، إن الويلات التي تعاني منها أفريقيا (العبودية والاستعمار والاستعمار الجديد) سببها قوى الغرب الرأسمالي والتي ما زالت تسيطر على القارة. وهذا يعني أن أفريقيا، وخاصة منطقة جنوب الصحراء، هي في مرحلة التحرر الوطني؛ استعادة كرامة الإنسان ضد العنصرية ضد السود ونهب الموارد والاستغلال الرأسمالي. يتعلق الأمر إذن

باستعادة أفريقيا، بقيمها، والسيطرة على الموارد الطبيعية لخدمة الأفارقة نساء ورجالا؛ هذه هي طبيعة اللحظة التي نحن فيها الآن.

■ 5. في هذا الاطار، كيف تقرأ التغييرات السياسية الحاصلة في منطقة الساحل بعد وصول العسكر إلى السلطة في بعض الدول الأفريقية؟ وما مدى نجاح الجيش في الحفاظ على منجزات الانتفاضة الشعبية ضد الهيمنة الخارجية وإرساء الاستقرار؟

إن ما يتم إنجازه على قدم وساق في دول تحالف الساحل، في صراع صعب للغاية مع الانقلابات، يشكل تجارب تتجه أنظار أفريقيا كلها إليها. إنها تجربة فريدة من نوعها. لقد فشل المشروع الاستعماري الغربي وسيتعين عليه أن يفسح المجال لإنجاز مهام التحرر الوطني التي تنطوي على الحروب وحركات التحرر الوطني. الواقع فإن الحرب الحالية في منطقة الساحل هي حرب عدوانية فرنسية ينفذها إرهابيون بالوكالة. ويشكل الرد الحالي أيضا حرب تحرير مناهضة للإمبريالية الفرنسية بقيادة دول مثل مالي وبوركينا فاسو والنيجر. ومن المحتمل أن تحذو حذوها بلدان أخرى في المنطقة. نحن نعلم أن الانقلاب هو بمثابة تعطيل للعملية الدستورية من قبل الجيش ويحدث هذا عادة خارج نطاق حركات الشعوب. غير أن الانقلابات المعنية في مالي وبوركينا فاسو والنيجر حدثت في سياق الانتفاضات الشعبية ضد النظام الاستعماري الجديد الراسخ، ثم حظيت بدعم الشعوب. وهذه ثورة وطنية، خاصة من خلال الإجراءات الوطنية التي تتخذها السلطات. في الواقع، لدى الناس ذاكرة قصيرة؛ هناك انقلابات رجعية، ويُعَد مثال تشيلي في عهد بينوشيه مثالاً واضحاً على هذا النوع من الانقلابات. ولكن كانت هناك أيضا انقلابات شكلت جزءا من العملية الثورية. مثال ذلك، انقلاب مصطفى كمال المعروف باسم أتاتورك والذي كان بمثابة الأساس لتجديد وتحديث تركيا. وننسى أيضا أنه كان هناك انقلاب في البرتغال عام 1974 أطاح بسلطة كايتانو الفاشية وسهل استقلال المستعمرات البرتغالية وما إلى ذلك. وتحدث هذه الانقلابات في ظروف نضج العوامل الموضوعية للثورة وحيث تكون الظروف الذاتية ضعيفة للقيام بها.

وبطبيعة الحال، لن يتمكن الجيش من الحفاظ على مكاسب الانتفاضات الشعبية ضد الهيمنة الأجنبية دون تدخل القوى التقدمية والثورية، المنظمة لتتولى مسؤولية العملية الثورية.

■ 6. ما هو دور القوى الثورية في منطقتكم، إفريقيا الغربية، في مواجهة الهيمنة الإمبريالية في القارة السمراء؟

إن القوى الثورية في غرب أفريقيا تحارب الهيمنة الإمبريالية في القارة الأفريقية، من خلال الدعاية والتنظيم والتعبئة الشعبية ضد الأعمال العدوانية الإمبريالية التي تجري في جميع أنحاء العالم. وقد نظمت القوى التقدمية والثورية في هذا الجزء من قارتنا نفسها في منظمة وطنية أفريقية تسمى منظمة شعوب غرب أفريقيا (WAPO) التي تأسست في ديسمبر 2022 في غانا.

■ 7. في أي سياق يمكن أن تضع عملية طوفان الأقصى البطولية التي قامت بها المقاومة الفلسطينية في السابع من أكتوبر 2023؟

إن العمل البطولي الذي قامت به المقاومة الفلسطينية يشكل عملا غير مسبوق في تاريخ الشعب الفلسطيني في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني الإسرائيلي. إنه عمل يدخل في إطار الدفاع عن النفس.

وقد حيت كافة الحركات والأحزاب الثورية العملية البطولية التي قام به الشعب الفلسطيني في غزة يوم 7 أكتوبر 2023.

■ 8. تفاعلت غالبية الدول الأفريقية مع عملية «طوفان الأقصى»، وتباينت المواقف بين الدعم الكامل للمقاومة، وبين الانحياز إلى صف (إسرائيل)، ما هو تقييمك لذلك؟

بشكل عام، كان رد فعل غالبية البلدان الأفريقية إيجابيا بدعم هذه العملية.

■ 9. ما تقييمك للتأييد الشعبي للمقاومة الفلسطينية في دول غرب أفريقيا؟

يختلف هذا الدعم حسب البلد. وهو بشكل عام أكثر كثافة في البلدان الأفريقية ذات المنحى التقدمي والتي يهيمن فيها المسلمون.

■ 10. تصدرت دولة جنوب إفريقيا الدعوى الجنائية ضد حكومة بنيامين نتنياهو في الكيان الصهيوني بتهمة القيام بالإبادة الجماعية وارتكاب جرائم حرب في قطاع غزة، هل من الممكن اعتبار ذلك من تداعيات طوفان الأقصى؟

إن موقف جنوب أفريقيا من تقديم شكوى أمام المحكمة الجنائية الدولية ضد حكومة نتنياهو للكيان الصهيوني بتهمة الإبادة الجماعية وجرائم الحرب في قطاع غزة هو عمل نبيل وشجاع، وقد حظي بموافقة كل أفريقيا تقريبا.

■ 11. هل تظن أن التغييرات التي شاهدها العالم على وقع «طوفان الأقصى»، ربما تؤدي إلى تراجع وانحسار المشروع الصهيوني؟

بالتأكيد. لقد كشف المشروع الصهيوني للعالم قذارته ولا يمكن إلا أن يتراجع ويضمحل.

■ 12. هل من كلمة أخيرة توجهها لشعبنا الفلسطيني الصامد في غزة والضفة والقدس وكل فلسطين والشتات؟

في غزة والقدس والضفة الغربية وفي جميع أنحاء فلسطين والشتات، كلمتي الأخيرة هي الدعم في مواجهة عملية إبادة جماعية غير مسبوقة. لكن السعار الحالي للمجموعة الفاشية في السلطة في إسرائيل يظهر قسوتها وهمجيتها التي فضحتها وعزلتها أمام أعين العالم. أنتم شعب بطل! النصر مؤكد لأن القضية عادلة.

العدوان الصهيوني الجديد على قطاع غزة
ما بين السياق التكتيكي والسياق الاستراتيجي

عليان عليان - باحث وكاتب سياسي الأردن

دخل العدوان الصهيو-أمريكي الجديد على قطاع غزة، حتى تاريخ كتابة هذا المقال (26)مارس – آذار الماضي، وسط صمت رسمي عربي مخجل، وعدم ترجمة أي قرار من قرارات قمة القاهرة، وعدم استخدام دول القمة لأي ورقة من أوراق الضغط لديها، بحكم عداء معظمها لنهج المقاومة ،وبحكم تعامل دول القمة مع قراراتها، كتوصيات مقدمة للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، ووسط الغياب التام لمحكمة العدل الدولية حيال الإبادة الجماعية والحصار التجويعي لأبناء القطاع، ووسط تغطية سياسية وعسكرية شاملة من الإدارة الأمريكية، حيث لم ينفك المبعوث الأمريكي « ستيف ويتكوف» عن تحميل حركة حماس مسؤولية استئناف الحرب ضد قطاع غزة، لأنها قامت بإجراء تعديلات عليها، ولأنها رفضت نزع سلاح المقاومة، بما يذكرنا بموقف وزير الخارجية السابق « توني بلينكن « الذي عمل باستمرار على تحميل حركة حماس وفصائل المقاومة مسؤولية استمرار الحرب.

الوضع مأساوي غاية في الصعوبة في القطاع، جراء الحصار التجويعي على مدى 28 يوما حتى الآن، وجراء ارتفاع عدد الشهداء والجرحى، حيث بلغت حصيلة الشهداء والإصابات منذ 18 آذار (مارس) 2025) -وفق تقرير لوزارة الصحة -وحتى 26 مارس-آذار (830)شهيداً و1,787 إصابة / وبلغ عدد الشهداء منذ (7) أكتوبر 2023 (50) ألفا و21 شهيدا، وعدد الجرحى 113 ألفا 274 مصابا.

إدارة المفاوضات

التصريحات التي صدرت عن مختلف مسؤولي حكومة العدو ، ابتداءً من نتنياهو مروراً بوزير الحرب كاتس وبقية المسؤولين الصهاينة، تشير إلى أن الهدف منها إضعاف كتائب القسام وفصائل المقاومة الأخرى (سرايا القدس وكتائب أبو علي مصطفى وكتائب المقاومة الوطنية وكتائب شهداء الأقصى وغيرها) وتجريد قطاع غزة من السلاح، وإجبار المقاومة للإفراج عن الأسرى الصهاينة، عبر الادعاء بعدم التزامها بخطة ويتكوف، متجاهلين حقيقة أن الخطة تشكل انقلاباً على اتفاق المراحل الثلاث بتاريخ 19 كانون الثاني 2025 الممهور بتوقيع «ستيف ويتكوف» نفسه وتوقيع المفاوض الإسرائيلي وتوقيع المفاوض الفلسطيني بالإضافة إلى توقيع الوسيطين المصري والقطري، هذا كله ناهيك أن ويتكوف كشف جوهر خطته بتصريحه أن المفاوضات التي تجري بين اليوم الأول والأخير للخطة التي تمتد 50 يوماً، تتضمن وقف إطلاق النار على قاعدة تخلي حماس والمقاومة عن سلاحها، وخروجها من معادلة حكم قطاع غزة.

المفاوض الفلسطيني لم يقل(بنعم) أو (لا) للخطة، وطالب بتنفيذ الاتفاق الذي تم مع آدم بوهلر – مسؤول شؤون الأسرى في الإدارة الأمريكية – الذي ينص على أن تقوم حماس بالإفراج عن أسير مزدوج الجنسية وعن خمسة من رفات جثث

إسرائيليين ،مقابل تحرير عدد من الأسرى الفلسطينيين ،وتنفيذ البروتوكول الإنساني، قبل الشروع في المرحلة الثانية الأمر الذي رفضه ويتكوف، ما دعا المفاوض الفلسطيني لأن يطرح تعديلات على خطة ويتكوف، وعلى رأسها أن تكون الخطة جزءاً من اتفاق المراحل الثلاث ، وأن يتم تطبيق البروتوكول الإنساني الوارد بكامل بنوده في المرحلة الأولى، وانسحاب قوات الاحتلال من محور فيلادلفيا، وانسحاب نقاط المراقبة العسكرية من محيط محور نتساريم وكذلك السماح لأبناء قطاع غزة في الخارج للعودة إلى القطاع .

لقد طرح المفاوض الفلسطيني هذه التعديلات ،إدراكاً منه أن الخطة تمت بالتنسيق الكامل مع نتنياهو، وأنها تستهدف فقط الإفراج عن كافة الأسرى الإسرائيليين، وإدراكا منه أيضا بأن قبوله بالخطة دون نص واضح وصريح بوقف إطلاق النار، وانسحاب قوات الاحتلال من عموم القطاع، يجعل المقاومة تخسر ورقة الأسرى بوصفها الورقة الرئيسية لديها، ما يتيح للعدو الصهيوني مواصلة الحرب، وصب نار الجحيم على قطاع غزة ،الذي توعد به ترامب بالأسلحة الأمريكية، لتحقيق الأهداف الصهيو أميركية بإنهاء الوجود السلطوي لحركة حماس وتجريد المقاومة من سلاحها .

سؤال الإستراتيجية والتكتيك

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل الحرب العدوانية الصهيونية الجديدة على قطاع غزة بدعم ومشاركة أمريكية، ذات طابع إستراتيجي يستهدف القضاء على حماس وعموم فصائل المقاومة وتجريدها من السلاح، كخطوة مركزية لتنفيذ مخطط التهجير الترامبي، أم هي حرب في السياق التكتيكي لدفع المقاومة إلى تقديم تنازلات في المفاوضات، بمعنى لا يكون لها أي دور مؤثر على الحكومة (لجنة الإسناد المجتمعي- حكومة التكنوقراط) التي تحكم القطاع في اليوم التالي لوقف الحرب، والقبول بتجريدها من السلاح، بحيث لا يشكل قطاع غزة أي تهديد مستقبلي لأمن (إسرائيل)، وبما يمكن حكومة العدو من السيطرة على مساحة واسعة من قطاع غزة .

وفي الإجابة على سؤال الإستراتيجية الإسرائيلية بشأن قطاع غزة، نتوقف أمام الإجراءات الإسرائيلية الرسمية، في إطار خطة حكومة الائتلاف اليمين المتطرف على النحو التالي:

1. إقدام حكومة الائتلاف اليميني المتطرف على تشكيل دائرة لتهجير الفلسطينيين من قطاع غزة في إطار وزارة الأمن الصهيونية.
2. مصادقة هذه الحكومة على تشكيل حكومة انتقالية عسكرية في قطاع غزة .

وفي الإجابة على احتمال أن تكون الحرب العدوانية الجديدة في السياق التكتيكي، نتوقف أمام المؤشرات التالية :

1. لجوء حكومة الائتلاف اليمينية المصغرة إلى إقالة رئيس جهاز الشاباك « رونين بار» الذي ينظر إليه في الكيان الصهيوني، كحامي للديمقراطية الإسرائيلية إلى جانب المحكمة العليا .
2. لجوء المحكمة العليا الإسرائيلية، إلى تجميد قرار الإقالة بناء على التماس مقدم من « يائير لابيد « نيابة عن أحزاب المعارضة الصهيونية.
3. لجوء حكومة الائتلاف اليمينية المتطرفة، إلى إقالة المستشارة القضائية للحكومة جراء رفضها إقالة رئيس الشاباك، باعتباره غير قانوني.
4. تضامن أطياف اجتماعية واقتصادية ونقابية واسعة مع رئيس جهاز الشاباك وبهذا الصدد نشير إلى حجم التضامن مع رونين

من قبل قوى سياسية ونقابية واقتصادية واجتماعية مختلفة، وعلى رأسها نقابة العمال الإسرائيلية (الهستدروت) وشركات الهايتك الإسرائيلي وغيرها من القوى، التي هددت بالانضمام لحركة الاحتجاج الواسعة، التي ترفع شعارات متعددة على نحو : وقف الحرب، وإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين، وعدم اللجوء إلى عمليات إقالة للقيادات الأمنية، ومحاسبة نتنياهو على قضايا الفساد، وعلى فشله في التصدي لهجوم المقاومة في السابع من أكتوبر 2023

5. تداول وسائل الإعلام الصهيونية فضائح نتنياهو ،التي أثارها رئيس جهاز الشاباك «رونين بار» والتي كانت السبب الرئيسي في قرار إقالته ممثلةً: بشأن بالرشا التي حصل عليها نتنياهو والعاملون في مكتبه من قطر، التي تقدر ب 15 مليون دولار عام 2012، و (50) مليون دولار إضافية عام 2018، وتلاعب نتنياهو بقضية مفاوضات صفقة تبادل الأسرى بغية إفشالها، وقضايا فساد متعددة، وبشأن مسؤوليته الرئيسية عن ما حصل في السابع من أكتوبر 2023 ألخ..

ج- ازدياد زخم المظاهرات ضد حكومة العدو التي يشارك فيها أهالي الأسرى ومناصريهم والتي يشارك فيها أيضا الآلاف من الرافضين لاستمرار الحرب، أو المنددين بإقالة نتنياهو لقادة عسكريين وأمنيين، وبإقالته لرئيس الشاباك وللمستشارة القضائية للحكومة ألخ.

في ضوء ما تقدم يمكن ترجيح السياق التكتيكي للحرب العدوانية على قطاع غزة، الذي يدفع ثمنها أبناء القطاع ، قتلاً وتدميراً للبنية التحتية ومجاعةً، إذ إن نتنياهو يوظف الحرب للهروب للأمام من أزمته الداخلية المركبة، وفق تصوره أن الذهاب للحرب يوحد الجبهة الداخلية وراءه، وذلك في إطار سعيه لإطالة أمد الحرب ،من أجل تأجيل استحقاق الانتخابات المقرر إجرائها عام 2026، خاصةً وأن كافة التقديرات تشير إلى أن نتنياهو وتحالفه مع قوى اليمين الديني المتطرفة لن يفوز فيها، ما يعرضه للمحاكمة على مختلف القضايا، التي تدخله السجن وتخرجه من الحياة السياسية للأبد.

أما السياق الإستراتيجي الذي جرى ترسيمه من خلال الحكومة اليمينة المتطرفة، الذي يتضمن إدامة الحرب وهزيمة المقاومة وإقامة حكومة عسكرية انتقالية، تتولى تنفيذ خطة ترامب بشأن تهجير أبناء قطاع غزة، لن يتم تنفيذه ارتباطاً بمجموعة عوامل أبرزها :

1. عدم جهوزية جيش الاحتلال للحرب الممتدة ،من زاوية الإحباط الكبير في صفوف الجيش، وجراء الخسائر البشرية

الهائلة التي لحقت به على مدى (13) شهراً من الحرب، فقد قتل ما يزيد عن عشرة آلاف جندي إسرائيلي ، حسب تقدير العديد من المراقبين العسكريين وإصابة أكثر من 78 ألف جريح في صفوف الجيش وقوات الأمن، 50% منهم يعانون من صدمات نفسية، منذ السابع من أكتوبر 2023- وفق هيئة البث الإسرائيلي - وإصابة 16 ألف جندي دخلوا أقسام إعادة التأهيل منذ 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023 وفق ما جاء في كلمة المدير العام لوزارة الجيش «أمير برعام» في المؤتمر الدولي الأول لقسم إعادة التأهيل.

كما أنه وحسب المصادر الصحفية الإسرائيلية، يوجد نقص في عدد جيش الاحتلال الذي يحتاج إلى (10) آلاف مقاتل، وحسب مراسل الشؤون العسكرية في «القناة 12» الإسرائيلية «نيور دفوري» فإن 177 فقط التحقوا بالـ «الجيش» من الحريديم، بعد إرسال 10 آلاف أمر تجنيد لهم.

2. تردد ورفض نسبة عالية من قوات الاحتياط للمشاركة في الحرب الجديدة ،رغم الإغراءات المادية التي تقدمها حكومة العدو لهم إذ إنه وفق صحيفة « يديعوت أحرونوت» في العشرين من آذار الماضي ،حصل انخفاض في نسبة استجابة الجنود المستدعين للاحتياط بسبب الإرهاق، وبسبب الأعباء المتزايدة، وسط تحذيرات من استمرار هذا التراجع، خاصةً وأن جنود وضباط الاحتياط تركوا وظائفهم في الشركات ،التي كانوا يعملون بها على مدى 13 شهراً، مما عمق من أزمتهم الاقتصادية .

3. إن حكومة العدو التي استخدمت كل أنواع الأسلحة والذخائر المقدمة من الولايات المتحدة ومن الدول الغربية، التي قدرت بحوالي 80 ألف طن من الذخائر والقنابل ذات القدرة التدميرية الهائلة، لم تتمكن من تحقيق أي هدف من أهداف الحرب .

4. إن المقاومة الفلسطينية استثمرت فترة وقف إطلاق النار لإعادة بناء نفسها تنظيمياً وعسكرياً، ووضعت تكتيكات جديدة للقتال، واستوعبت عدة آلاف من المقاتلين الجدد الذين جرى تدريبهم وتأهيلهم للقتال الاحترافي في إطار حرب العصابات .

5. إن استطلاعات الرأي في معظمها، أكدت أن 70 في المئة مما يسمى بالمجتمع الإسرائيلي لا يؤيدون شن الحرب الشاملة، باستثناء استطلاعات القناة (14) الإسرائيلية المتواطئة مع حكومة نتنياهو، التي تقدم استطلاعات مزيفة، بما يخدم توجهات اليمين المتطرف.

خلاصة: يمكن القول من واقع الحيثيات السابقة، أن السياق الاستراتيجي غير ممكن التطبيق وأن الحرب الجديدة تتم في سياق تكتيكي قد تطول مدته، وبهذا الصدد وصف العميد في الاحتياط، «غيورا عنبر « في تصريحات للقناة «الـ12» الإسرائيلية، استئناف القتال في غزة بـ»الخيانة للإسرائيليين وللمقاتلين»، قائلاً إنّه سيضر بثلاثة جوانب: (أولاً) سيروّج عدم قدرة (إسرائيل)على إعادة الأسرى و(ثانياً) لن يساعد على القضاء على حماس و(ثالثاً) سيضر بصدقية القيادة الإسرائيلية أمام جمهورها.

كما عبّر عدد من المسؤولين العسكريين الإسرائيليين عن قلقهم من استئناف القتال ضد قطاع غزّة، مشيرين إلى أنّ «الضغط العسكري الحالي لن يؤدي إلى النتائج الإسرائيلية المرجوّة متمثلةً بإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين من غزة، خاصةً وأن (13) عشراً من الحرب على غزة ، لم تحقق أي هدف من أهدافها.

خبر

سلطات الاحتلال تفرج عن القيادي عمر شحادة

الهدف - القدس المحتلة

أفرجت مصلحة السجون الصهيونية عن القيادي الفلسطيني عمر شحادة من سجن النقب الخميس (2025/3/20).

هذا وقد اعتقل القيادي شحادة لمدة عام ونصف العام إداري، وسبق ذلك اعتقال إداري لمدة ثمانية شهور في عام 2022، حيث خضع لتحقيق قاس في معتقل « المسكوبية»، قبل أن يجري تحويلة للإعتقال الإداري مرتين متتاليتين لمدة ثمانية شهور، وكان قد اعتقل لفترات متعددة قبل ذلك.

وفي تصريح إعلامي قال شحادة إن «الحركة الأسيرة تعيش ظروف صعبة، حيث تواصل إدارة مصلحة السجون الصهيونية وأجهزة مخابراتها شن حملة شرسة على الحركة الأسيرة من خلال العزل والقمع والتنكيل والإهمال الطبي، وخاصة بحق الأسرى الذين يعانون من أمراض مزمنة».

وشدد شحادة على ضرورة الوقوف إلى جانب الأسرى تجاه ما يعانوه من قمع وتنكيل وإهمال طبي.

عناوين وملفات فلسطينية
الاكتظاظ السياسي في المرحلة الراهنة

علي بدوان كاتب سياسي فلسطيني - سورية

الرئيس ترامب أمام مرحلة مختلفة

لن تكون الفترة الرئاسية الثانية للرئيس الأمريكي دونالد ترامب سهلة، او سلسلة، فقد سَبَقَ وسقط مشروعه الذي ««طبَّلَ وزَمَّرَ له البعض» في فترته الرئاسية الأولى والمعنون بـ «صفقة القرن» عام 2017. لكنه الآن يجد أماه خريطة مُعقّدة من الأوضاع ومستجداتها وتداعياتها المتوقعة، فهو يعود لموقع الرئاسة مع طاقمه الخاص الذي شكّله من خبراء وسياسيين وحتى تكنوقراط، للعمل (بزنس) والاستثمار والإنجاز في المنطقة وفي المقدمة السعودية ودول الخليج، بينما تحتاج سوريا ولبنان وغزة إلى إعادة إعمار، وتحتاج المنطقة برمتها لعلاجات في ظل الأزمات المشتعلة هنا وهناك.

والأكيد أن الرئيس دونالد ترامب، وبواقع من تقديرات طاقمه المحيط به، سيسعى لفرض واقعاً جديداً في المنطقة، يعتقد بأنه لا يُمكن تجاهله من قبل طرف اقليمي، أو التعامل معه باستخفاف، بل هو «فرصة قد تكون نادرة» على حد تعبير بعض مستشاريه لإنجاز اختراق كبير في المنطقة على طريقة «صفقة القرن» التي كان طرحها ترامب بدورة رئاسته الأولى، والتي انتهت وماتت في مهدها لأسباب منطقية فلسطينية أولاً، وعربية ثانياً، عندما استهدفت برؤاها تهجير الفلسطينيين من غزة الى سيناء، وجزء من مواطني الضفة الغربية الى الأردن.

المهم عند واشنطن ترامب والمصالح الأمريكية الـــ (بزنس) وطاقم ترامب ديدانها المصالح، وهنا تَكمُن الفرصة في التعامل العربي المطلوب مع الرئيس ترامب بطريقة عربية «ناضجة وليست مُتذيلة ومتخمة بروح الإستجداء»، أي بلغة المصالح العربية الأمريكية، فالولايات المتحدة لها مصالحها الحقيقية على المدايات البعيدة مع العرب وليس مع كيان الإحتلال، وهنا يكمن دور العقلاء واصحاب الرؤية (الحاذقة) القريبة من بناء المصالح ولغة العقل في مواقع وقيادات عالمنا العربي والإسلامي.

وقف إطلاق النار ... المتأرجح

لقد كان التوصل لوقف إطلاق النار والعدوان على القطاع يوم 17 كانون الثاني/يناير 2025 خطوة هامة جداً لكبح يد الفاشية «الإسرائيلية» المُنفلته وصولاً لترتيبات معينة على مراحل لـــ «صفقة تبادل الأسرى»، لكنها أُنجزت بشكلٍ جزئي، فالحرب والعدوان مازال مستمراً على القطاع ولو بوتيرة مختلفة، و «صفقة التبادل» كـــ «البطة العرجاء»، مازالت تنوء، بل وتغرق باشتراطات وتعطيلات من نتنياهو وأركان حكومته الإئتلافية المُشكلة من قوى اليمين الفاشي التي تريد استمرار الحرب على القطاع.

وكانت كواليس التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار في غزة و «صفقة التبادل» قد شهدت ومازالت دوراً أمريكياً استثنائياً (راوح مكانه) بشخص المبعوث

من قبل الإدارة الجديدة وتحديداً من قبل الرئيس دونالد ترامب (ستيف ويتكوف)، دوراً محورياً في تحقيق اختراق لم يحصل حتى الآن بالمفاوضات.

وكشف «مسؤول إسرائيلي» بأنَّ تدخل (ستيف ويتكوف) ودوره كسياسي مُحنّك، كان اللحظة غير المُسبوقة في العلاقة بين الولايات المتحدة و «إسرائيل»، التي شَهدت العديد من اللحظات الاستثنائية. وأضاف أنَّ «ستيف ويتكوف مؤيد لإسرائيل في جوهره، لكنه جاء بآرائه ومواقفه. وكان من الواضح الشعور بزخم الرئيس دونالد ترامب في ذلك الاجتماع في اول زيارة له كمبعوث أمريكي للمنطقة والذي زوده به قبل وصوله كمبعوثٍ له للمنطقة».

القناة الخلفية وراء الكواليس

في هذا السياق، التسريبات التي تمت أواخر شباط/فبراير 2025 وتبعتها معلومات مُكثّفة بدايات آذار/مارس 2025 تحدثت عن حوارات تدور خلف الكواليس برعاية قطرية بين حركة حماس والطرف الأمريكي ممثلاً بشخص (آدم بولر)، تلك التسريبات التي تدفقت بمعظمها قبل وبعد قمة القاهرة الإستثنائية، وفيها محاولات واشنطن حلّ الإستعصاءات المتعلقة بالمرحلة الثانية من «صفقة التبادل» التي تراوح مكانها، بل وتتعقد كل يوم نتيجة المواقف التي يطلقها نتنياهو ويسترضي بها قوى اليمين الفاشي المؤتلفة في حكومته، وهي القوى التي لاتريد وقف إطلاق النار، بل تريد العودة للحرب.

المعلومات تقول ايضاً بأن الموفد الأمريكي بالحوار مع حركة حماس هو شخص (آدم بولر) الذي قال وبكل خبثٍ : «إنَّ «علاقات أميركا مع الدول العربية أقوى من أي وقتٍ مضى، وأن قيادة الفلسطينيين يجب أن تمثل الشعب بما فيها الضفة الغربية». وأضاف «حركة حماس يُمكن التفاهم معها مع أنها من وجهة نظرنا ليست كيانا سياسيا، لكننا ناقشنا معها اليوم التالي في غزة وإعادة الإعمار وهدنة مطولة تشمل تخليها عن السلاح، وملتزمون بإنهاء حرب غزة وإطلاق سراح كل الرهائن وليس فقط الجنود من اصل أمريكي».

وقد ذكرت صحيفة «هآرتس» في تقرير، مساء الأحد التاسع من آذار 2025، أنه «يجري الحديث في إسرائيل عن التوصّل إلى اتفاق، ويُطلق سراح الرهائن الأمريكان وغيرهم من جنود الإحتلال». وأضافت صحيفة «هآرتس» أن المقترح يشمل، أن يتمّ خلاله «نزع سلاح حماس. وستقدم الولايات المتحدة المساعدة من خلال دول إضافية، وتضمن عدم وجود أنفاق، أو أنشطة عسكريّة، وألّا تشارك حماس في السياسة من حينه، فصاعدا». بالرغم من انكشاف أمر القناة التفاوضية السرية عبر الكواليس التي تدور في فلكها. بالرغم من ذلك فإن الإحتلال مازالت مستمراً بكل سياساته القمعية والفاشية تجاه شعبنا في القطاع، ولم تؤثر عليها قناة التفاوض الخلفية، بل وعَمَدَ مؤخراً لقطع الكهرباء وايقاف محطة تحلية المياه الخاصة بالشرب.

المجلس المركزي... وقضايا منظمة لتحرير

الى هنا، يُفترض أن تبدأ اعمال اجتماعات المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة رام الله يوم الحاد والعشرين من نيسان/ابريل 2025. وفق جدول أعمال كامل ومتكامل، وعلى رأسه مايخص المؤسسات الوطنية الفلسطينية وتطويرها والنهوض بها.

المجلس المركزي لمنظمة التحرير، هيئة وسيطة بين المجلس الوطني (البرلمان مجازاً) واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وهو أقرب الى الهيئة الإستشارية الموسعة. وله الرأي تجاه القضايا الأساسية الملحة، ويتشكل من منتمين فصائلياً ومن فعاليات ومستقلين.

وعلى المجلس المركزي في اجتماع عمله القادم، أن يضم جميع من اعضائه، وليت على حركتي حماس والجهاد المشاركة بأعماله، باعتبارها قوى أساسية ورئيسية.

وعلى المجلس النظر بكل الوضع السياسي، والعمل من أجل ترجمة مخرجات قرارات قمة القاهرة العربية وقف مستديم للحرب على شعبنا والقطاع، ورفع الحصار عن القطاع، وفتح معبر رفح. وخطة اعادة اعمار القطاع، وتأتي في هذا السياق، مسائل النظر بالبيت الفلسطيني، والنهوض بكل المؤسسات. وهي مهمة عسيرة تهدف في جانبٍ هام منها الى اعادة (لململة) البيت الفلسطيني ومحاولة انهاء الإنقسام المقيت.

أخيراً، وبالإيجاز، نحن أمام مناخٍ سياسي مُكتظّ في المنطقة، وتحديداً بشأن قطاع غزة، وقضيتنا الوطنية بشكلٍ عام. إنَّ كل تلك التطورات تأتي وسط مناخ سياسي حساس تمر به الساحة الفلسطينية، حيث يرى مراقبون أن استحداث منصب نائب الرئيس قد يكون خطوة تمهيدية لإعادة هيكلة مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، وربما فتح الباب أمام تغييرات أوسع في المشهد السياسي الفلسطيني خلال الفترة المقبلة.

شلّال الدم الفلسطيني يطغى على أعياد المرأة!

إلهام الحكيم كاتبة فلسطينية تركيا

ما إن نسمع كلمة آذار حتى يتوارد للذهن فوراً أنه شهر المرأة والمحبة لارتباطه بالربيع والخصب والجمال .. فيه تحتفل المرأة العربية بعيد الأم بالتزامن مع عيد النيروز للأكراد يوم 21/ 3 من كل عام، إضافة لعيد المعلم العربي يوم السبت الثاني من ذات الشهر وطبعاً للمعلمة منه نصيب كبير .. وإذا حلّقنا قليلاً نحو العالمية نجد النساء يحتفلن بيومهن 3/8 تحت مسمى يوم المرأة العالمي .. يحتفلن بالإنجازات والقوانين التي أنصفتهن في مجتمعاتهن التي كانت ذكورية بحتة لكنها تغيرت نتيجة نضالاتهن المتواصلة للحصول على حقوقهن.

انطلقت شرارة الثورة النسوية من أمريكا بداية القرن الماضي إثر احتجاج العاملات في معمل النسيج في نيويورك والمطالبة بتخفيض ساعات العمل وتحسين الأجور والحصول على حق التصويت في الانتخابات وكان لهن ما أرَدْن، ثم مظاهرة الاحتجاج في سانت بطرسبرغ 1917 التي طالبت «بالخبز والسلام» بما يعني أنهاء الحرب العالمية الأولى.. تدحرجت كرة المطالبة بالحقوق لتجوب مختلف أنحاء العالم بقاراته الخمس وكانت في كل عام تأخذ عنواناً وموضوعاً يلبي احتياجات المرأة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، إلى أن أطلقت الأمم المتحدة اسم «السنة الدولية للمرأة» عام 1975 وفي العام 1977 اعتمدت يوم الثامن من آذار يوماً عالمياً للمرأة .. واصلت المرأة نضالها وتحركاتها السلمية للحصول على مبتغاها حسب التطور المجتمعي بما في ذلك موضوع العنف المنزلي وتعزيز المشاركة السياسية والصحة والعالم الرقمي والحقوق الجنسية والإنجابية .. وضمان مشاركتها في عمليات السلام وعدم السماح بإفلات مرتكبي الفظائع ضد المرأة، وقد حمل في هذا العام شعار «الحقوق والمساواة والتمكين لكافة النساء والفتيات».

• ازدواجية المعايير بين نساء العالم:

بنظرة متأنية على المنجزات النسوية نجد قوانينها تنطبق على المجتمعات الغربية الغنية التي تعتبر هذا اليوم وشعاراته جانباً من الترف والإكسسوار المزيف الذي ينشغل الجميع ببريقه، كما ويسلط الإعلام الضوء عليه وكأن كل نساء العالم يعشن برغد العيش وينعَمْن بالسلام والكرامة الإنسانية مع عائلاتهن ومجتمعاتهن المحيطة، ولا يتعرضن للتحرش والعنف والاعتقال والعدوان والقتل والإبادة الجماعية للنساء والأطفال في الزاوية الأخرى من العالم كما حصل أو ما زال يحصل مع المرأة في « فلسطين،سورية بين 2011 و2024، السودان، ميانمار، رواندا، مجازر الصرب في البوسنة والهرسك نهاية القرن الماضي، » إضافة لمختلف الدول الأفريقية والآسيوية للأسف !..

• يحتفلن ويفرحن تزامناً مع الإبادة الجماعية للفلسطينيين:

هل يمكن للمرأة الفلسطينية أن تغفر أو تسامح النسوة اللاتي رقصن على جراحها وآلامها .. تجاهَلْن واقعها واحتفلن بيوم المرأة في الوقت الذي كانت فيه هائمة على وجهها تفتش عن لقمة تعيد رمق الحياة لأطفالها الذين تحولت أجسادهم لهياكل عظمية وهم يصارعون الجوع والألم للبقاء على قيد الحياة بعد سياسة التجويع التي انتهجها الاحتلال للقضاء على جذوة الأمل بحياة أفضل

إثر نجاتهم من القصف الهمجي والجرائم الوحشية !.

كيف لها الاحتفال مع مجتمع منافق اطّلع على المشاهد المروّعة للمجزرة التي ارتكبها الاحتلال الصهيوني بحق عائلتها التي كانت تتهيأ لتناول طعام الفطور فاختلطت أشلاؤهم مع الحديد المنصهر كما التصقت ببعضها وتم تعبئتها بكيس نايلون و دفنهم كتلة واحدة، وكان من ضمنهم وليدها الرضيع ؟!.

كيف يمكن لزوجة نسيان مشهد تعرية رجال وشباب الحي وجمعهم في حفرة وإعدامهم بوحشية ، وكان ابنها اليافع يتشبث بيد والده المسن ولسان حاله يقول :» لن أتركك يا أبي والجنة موعدنا بإذن الله «، أو المشهد الأبشع لإطلاق الكلاب على الشهداء المدنيين في الشوارع ونهش أجسادهم !

هل يمكن لأم وأخت محو المقطع الأكثر تقززاً ولا إنسانية الذي صوره جنود الاحتلال وسط الضحك والاستهزاء وهم يطلقون كلباً بوليسياً تجاه طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة والتعدي عليه ومحاولة الطفل إبعاده وهو يضحك ظناً منه أنه يلاعبه ؟!.

كيف يمكن لأم أن تنسى مشهد بقر بطن ابنتها الحامل وانتزاع الجنين وذبحه بدم بارد وسط ضحكات هستيرية وألفاظ عنصرية بضرورة قتل الأجنة بالأرحام كي لا يولدوا ويتحولوا لمقاتلين !.وترفض التغاضي عن حالات الإجهاض أو الموت خلال الولادة في الخيمة أو على قارعة الطريق مع انعدام المستلزمات الطبية الضرورية خلال النزوح المتكرر ..

كيف لها العيش بطمأنينة بعد فقدان أولادها الأربعة « يامن، أوركيدا، التوأمين كنان وكرمل « إثر قصف منزلها في خانيونس « 2024/12/13 « وعدم القدرة على انتشالهم من تحت الر كام بسبب وجود الاحتلال وتحويل المكان لمنطقة عسكرية .. كتبت الشاعرة آلاء قطراوي عبر صفحتها على فيسبوك : يامن ..كيف يغدو شعرك الذهبي الآن تحت الحديد وأرتال الباطون؟ وكيف يبدو لون عينيك الزرقاوين؟ هل تعرف كم أنت جميل؟ كم أبدع الله عز وجل في خلق تفاصيلك؟ أنظر إلى عينيك وأسبّح الله عز وجل ..أوركيدا .. أنت يا أوركيدا لست ابنتي، أنت صديقتي وحبيبتي، وأفرح وأنت تلقين عليّ أحياناً ملاحظاتك، ويبهرني ذكاؤك ولباقتك، أحب اهتمامك بأناقتك وفرحك بكونك أميرة صغيرة وأنت تدورين بفستانك المنفوش، أميرة يا أوركيدا، أنت أميرتي لو تعلمين « ..!.

كيف يمكن للمرأة محو مشهد الأجساد والأشلاء المتطايرة من غرف مركز إيواء الأونروا الذي ظنوا أنه سيحميهم لأنه يحمل شعار المنظمة الدولية ؟!

كيف لها نسيان صورة ابنتها وقد تلطخت بدلة زفافها البيضاء بالدماء إثر استهدافها والعريس من قناصَيْن مجرمَيْن ؟!

هل يمكن للجدة الاحتفال والفرح وهي تنتظر انتشال أجساد ابنتها وأحفادها الذين ما زالوا تحت الأنقاض منذ شهور؟ أو الابنة التي تنتظر جسد أمها، تقول آلاء أبو يونس « رصيف 22 – آذار 2024 « استشهدت أمي وخمسة من أبنائها وزوجاتهم و تسعة عشر حفيداً يوم 2023/10/22 !

هل تستطيع الأم التفكير بالاحتفال وقد تاهت مع طفلتها عن جدها الذي كان يحمل طفلها خلال النزوح ولا تعرف مصيرهما؟ كتبت السيدة وفاء دبابش على حائط أحد صفوف مركز الإيواء الذي بقي شاهداً : « يا علي حبيبي يا ماما إنت جعان، يا ريت متت وما تركتك، اشتقت لك ياعلّوش، قلبي محرّق يما « نزحت وفاء مجدداً ولا ندري مصيرها ومصير جدّها وطفليها !!

هل يمكن للأسيرات الفلسطينيات التفكير بيوم المرأة قبل نسيان العذابات التي تعرضن لها على يد السجانين الصهاينة نتيجة التعذيب الجسدي والنفسي وحتى الاغتصاب الوحشي بما فيه الجماعي لكسر شوكتهن وامتهان كرامتهن وإنسانيتهن، فمن يعيد لهؤلاء النسوة جذوة الحياة، هن أكثر الناس حاجة للمساعدة والدعم النفسي للخروج من الكوابيس وهول الحدث الذي مررن به، بحاجة لبذل الجهد لإدماجهن مجدداً بالعائلة والمجتمع ..

- النماذج السابقة قليلة جداً مما تعرضت له المرأة الفلسطينية التي تشعر بالحزن والقهر خلال العدوان الأخير فما بالكم بالحروب السابقة على القطاع، تلك النسوة اللاتي لم يحصلن على الحد الأدنى من حقوقهن الإنسانية والعيش الحر الكريم خاصة في ظل غياب الخصوصية مع انهيار المنظومة الصحية والبنية التحتية، فلا هي قادرة على تأمين العلاج اللازم لها ولعائلتها، ولا هي تمتلك إمكانية الحصول على الماء النظيف لاستخدامه في الطعام أو النظافة الشخصية، افتقادها للأمان في ظل الإبادة الجماعية والمجازر الوحشية بحقها وحق عائلتها ومجتمعها وشعبها ينتزع منها كل مقومات الحياة التي منحتها الحق بها كل التشريعات السماوية والوضعية ومع هذا يستهدفها الاحتلال الصهيوني ممارساً التطهير العرقي والعنصرية الإجرامية ضد الشعب الفلسطيني وفي القلب منه النساء اللاتي لم تحاول المنظمات النسوية العالمية الأخذ بأيديهن أو الدفاع عنهن على أقل تقدير تصالحاً مع أنفسهن كونهن رائدات العمل النسوي الدولي، كما لم يحاولن الضغط على حكوماتهن ومجتمعاتهن لتسليط الضوء على التطهير العرقي والجرائم الوحشية التي يمارسها العدو الصهيوني بحق شعب بأكمله لا لذنب اقترفوه بل كونهم أبناء الأرض الفلسطينية وأصحابها الأصليين وقد احتلها الصهيوني الذي يستخدم معاداة السامية شمّاعة للتغوّل بالإجرام الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً !..

- غياب شبه كامل للمؤسسات والهيئات النسوية الدولية عن المشهد الفلسطيني والانتهاكات الصهيونية ضد المرأة والطفل وعموم الأسرة إذ لا يمكن الفصل بين واقع المرأة وعائلتها المتلاحمة معها !. فهل يمكنها في ظل هذا الواقع المأساوي الذي تعيشه مع أسرتها ومجتمعها الاحتفال بيوم شكلي لا طائل منه ؟!

فلسطين: بين الحرب والقمة العربية والمستقبل

د. حاتم الجوهري ـ أستاذ الدراسات الثقافية ـ مصر

عادت أمريكا ودولة الاحتلال سريعا لمشروع صفقة القرن المعلن منذ فترة ترشح دونالد ترامب الأولى عام 2015م، ودقا طبول الحرب مجددا في شهر رمضان المبارك 2025م، ضاربين عرض الحائط باتفاق وقف إطلاق النار والانتقال لمرحلتيه الثانية والثالثة، ليطرح السؤال الصعب نفسه؛ ما هو مستقبل القضية الفلسطينية بين القمة العربية غير العادية التي عرفت بـ»قمة فلسطين» والبيان الذي خرج عنها وعرف بـ»بيان القاهرة»؟ وبين مشروع صفقة القرن الخشنة والتهجير القسري للفلسطينيين خارج غزة (بعدما كانت الصفقة ناعمة نوعا في ولاية ترامب الأولى والاتفاقيات الإبراهيمية، وباعتبار الفلسطينيين سيكونون عمالة رخيصة للمحتوى الاقتصادي لصفقة القرن التي أعلنت رسميا نهاية ولايته الأولى)، وبعد إغداق المال والسلاح والعتاد على «إسرائيل» لتعود ثانية إلى الحرب والإبادة.

- قمة فلسطين:

الدافع الرئيس والهدف

بداية علينا أن نعرف المتغير الأبرز الذي حدث في المشهد الإقليمي والعالمي الذي دفع البلدان العربية لعقد قمة طارئة غير عادية، ليبرز أمامنا المستجد الأوضح مع عودة دونالد ترامب إلى البيت الأبيض مجددا، ونجاحه في الانتخابات ضد الحزب الديمقراطي الذي فشل في التمايز السياسي وكان باهتا مع جو بايدن، وفشلت كمالا هاريس في طرح نفسها منافسا انتخابيا على الرئاسة أمام دونالد ترامب، وكان ترامب ذكيا/ واقعيا بحيث استخدم خطابا غير واضح ليكسب أصوات العرب الأمريكيين الناقمين على سياسة الإدارة الديمقراطية، ويكسب أصوات اليهود الأمريكيين الذين يعرفون موقفه الصهيوني الأساسي جيدا.

وفور أن تمكن دونالد ترامب من سدة الحكم عاد إلى أسلوبه في السياسات الخارجية، القائم على التصعيد ورفع السقف في كل الملفات، ثم التفاوض والتراجع على قدر استجابة الأطراف المقابلة وأوراقها التفاوضية في كل ملف، تماما مثلما فعل في فترة ولايته الأولى، ليرفع خطابه في ولايته الثانية السقف تجاه أوكرانيا وكندا والمكسيك، والدعوة لضم جرينلاند من الدنمارك معاديا حلفاءه الأوربيين، ومهددا برفع الغطاء العسكري لحلف الناتو عنهم...

وفي ملف فلسطين كشف وجهه سريعا بخطاب سياسي تصعيدي ضد المقاومة الفلسطينية، ولم يتأخر في العودة للب مشروعه لصفقة القرن التي كانت معنونة «السلام من أجل الازدهار» (بعدما كان مشروع السلام الأصلي في «أوسلو» معنونا: الأرض مقابل السلام)، فطالب بالاستيلاء على أرض غزة وتحويلها إلى مشروع اقتصادي باسم «ريفيرا الشرق»! وتهجير أهلها إلى مصر والأردن، بخطاب سياسي فج ووقح مرتفع السقف والعنجهية للغاية، تجسد في لقائه بالبيت الأبيض مع ملك الأردن ووضعه تحت

ضغط أمام وسائل الإعلام، مع رفض مصر لتصريحات ترامب وإعلان الرئيس المصري رفض زيارة واشنطن طالما تضمن جدول الزيارة مشروع التهجير.

من هنا ضغطت مصر والأردن عربيا لحشد سياسي ضد مشروع التهجير، لكن هذا الحشد لم يكن خلفه مشروع جيوثقافي عربي واحد، أو لم تكن هناك سردية عربية موحدة خلفه، إنما شاركت بعض الأطراف تحسسا من الحرج تجاه الرأي العام العربي، وعلى الجهة الأخرى نجد الموقف المعلن لبعض الدول العربية يميل لقبول «صفقة القرن» والمشروع الأمريكي سواء في وجهه الناعم نسبيا في فترة دونالد ترامب الأولى (دول الاتفاقيات الإبراهيمية)، أو وجهه الخشن حاليا في فترة ولايته الثانية القائم على التهجير والحرب، بل إن التسريبات الإعلامية والمواقف المعلنة تؤكد أن هناك دولة خليجية تعلن من وقت لآخر تحفظها على خطة مصر البديلة للتهجير أو خطة إعمار غزة، وتدعم ضمنيا أو صراحة خطة صفقة القرن المعدلة بكل تفاصيلها الخشنة وطرحها الراهن، أو تعديلاتها الممكنة وسيناريوهاتها المحتملة بين الناعم والخشن.

من ثم فإن «قمة فلسطين» حاولت مصر والأردن فيها التحرك وفق «الحد الأدنى» الممكن عربيا لتفكيك السقف المرتفع لدونالد ترامب، لكن حتى هذه اللحظة لم تظهر سردية عربية موحدة في مواجهة صفقة القرن الجديدة، لأن ترامب كان قد نجح في إدارة التناقضات وشق الصف العربي في ولايته الأولى لتمرير الصفقة و»الاتفاقيات الإبراهيمية»، لذا فالتقييم السياسي العام لقمة فلسطين يضعها في سياق أنها كانت بهدف رئيس، يرفض السقف المرتفع لترامب لتهجير أهل غزة باتجاه مصر والأردن.

ما بعد القمة وعودة الحرب

ومثلما تعودنا من ترامب؛ قام بعد القمة العربية وموقفها بتغيير تكتيكاته على أصعدة عدة، متراجعا عن خطاب التهجير المباشر إلى مصر والأردن، لتخبرنا وسائل الإعلام بمحاولته التفاوض مع السودان وأثيوبيا والصومال لاستقبال أهل غزة تحت مسميات مثل «الهجرة الطوعية»، وتمسكت دولة الاحتلال بمشروع التهجير علانية.

وفي الوقت نفسه كان نتانياهو قد لجأ لتخفيف الضغط الأمريكي والداخلي عليه، فقبل بالمرحلة الأولى لوقف إطلاق النار (تماما مثلما فعل في الهدنة الوحيدة التي حدثت في حرب غزة في نوفمبر 2023م)، وعاد بعدها لأسلوبه السياسي نفسه القائم على الحرب والتصعيد والسقف المرتفع، مباشرة بعد القمة العربية وبعد أن دعم ترامب ترسانة جيش الاحتلال بعدة مليارات من الأسلحة والذخائر، ليعلن عودة الحرب على غزة بعمليات قصف جوي يوم 18 مارس سقط خلالها عشرات الشهداء والجرحى.

المستقبل: فلسطين وأزمة السردية العربية، ودولة ما بعد الاستقلال

تعاني السردية العربية المنهكة من التشققات الكبرى، فلقد تفككت سوريا فجأة، ويتهدد السودان الخطر نفسه بإعلان تدشين الحكومة الموازية مؤخرا، وفي الطريق ذاته سارت ليبيا بشرقها وغربها، واليمن مع الحوثيين والجنوبيين والشماليين، والعراق في التسعينيات كانت ضربة البداية، والظروف مهيأة حاليا لانضمام مزيد من الدول العربية لحالة التفكك.

بيت الداء؛ أن «دولة ما بعد الاستقلال» في العالم العربي أصيبت سرديتها السياسية عن «القومية الاشتراكية» بالانسداد، ولم تفلح الثورات العربية في تقديم سردية بديلة نتيجة لأسباب متعددة، والممالك في الشرق العربي حافظت على استقرارها النسبي بسبب الوفرات النقدية التي حققها البترول، ولم تطور مشروعا يتجاوز فكرة «الإسلام العام» التي قدمتها السعودية بعد تفكك «الخلافة الإسلامية»وتبني تركيا للعلمانية الغربية المتطرفة، من ثم فإن الأزمة حاليا هي عجز الذات العربية عن تقديم سردية بديلة، ليس من أجل إنقاذ فلسطين ومقدساتها الدينية فقط، إنما لإنقاذ البلدان الباقية من الدول العربية من خطر الانسداد السياسي والتفكك.

تتفكك الدول بسبب الفشل في ظهور بدائل سياسية جديدة، بسبب العجز عن القيام بعملية «تنخيب طبيعي»، وإصرار التمثلات السياسية سلطة أو معارضة (يمينا ويسارا) على احتكار التمثيل، هنا وفي لحظة معينة نتيجة غياب بدائل سياسية معبرة عن مشتركات «مستودع الهوية» العربي بكافة مكوناته، يحدث التشقق والانهيار والتفكك لصالح سرديات أخرى.

الحقيقة أن فلسطين ليست وحدها هي المعرضة لخطر التفكك، والتهجير لصالح السردية الصهيونية وسردية المركزية الغربية في صورتها الحالية مع نظريات الصدام الحضاري الأمريكية، إنما كل البلدان العربية معرضة لخطر التفكك والهزيمة، نتيجة غياب الوعي العربي بضرورة ظهور سردية جديدة، وتجاوز التمترس والتخندق الذي تمارسه كل التمثلات السياسية حول مشروعها الخاص سلطة ومعارضة.. دونه الفوضى أو الفناء!

«التمثيل الزائف» و«الانشغال بالهتاف»:

مأزق الذات العربية يكمن في غياب القوى الناعمة العربية والمفكرين العرب المنوط بهم إنتاج سردية بديلة؛ ذلك بسبب «التمثيل الزائف» و«الانشغال بالهتاف»...

«التمثيل الزائف» يعني أن الحواضن العلمية والثقافية والسياسية العربية سلطة ومعارضة لا تقوم على التمثيل و«الفرز الطبيعي» لأفضل العناصر الموجودة بالمجتمع العربي، إما بسبب التمترس أيديولوجيا حول مشاريع القرن العشرين التي انسدت بالفعل، أو بسبب «شراء الولاء» سياسيا على المستوى الرسمي

واستقطاب عناصر ضعيفة لا تملك الإمكانيات المطلوبة.

و»الانشغال بالهتاف»؛ يعني على المستوى الثقافي الاشتباك الانطباعي المستمر مع الأحداث اليومية (حالة السوشيال ميديا)، دون وجود اهتمام بالاحتشاد والعمل المنضبط لبناء سرديات كلية بديلة، لتتجه البلدان العربية نحو الانسداد والتفكيك بسبب غياب البدائل السياسية والفشل في إنتاج سردية بديلة.

هل من بصيص أمل:

آخر المراكز التاريخية

ويبقى الأمل؛ يبقى الأمل في تطور وعي سريع بأزمة الذات العربية وسرديتها الراهنة، فلسطين ليست سوى ناقوس الذات العربية (كما كتبت مقالة بالعنوان ذاته منذ سنوات عدة)، فلسطين هي أرفع مكونات «مستودع الهوية» العربي في مستواه الديني، وفي كل الأحوال ستكون دافعا لظهور سردية عربية إسلامية جديدة حتى لو تأخرت بعض الوقت، حتى ولو سقطت القدس، كما سقطت من قبل واستعدناها.

يكمن الأمل الحقيقي في مصر المركز التاريخي للحاضنة العربية الإسلامية ومستودع هويتها، مصر هى آخر دول ما بعد الاستقلال المجاورة لفلسطين والتي ما تزال قائمة (تقع الجزائر جغرافيا بعيدا عن المواجهة)، إذا وعت مصر لنفسها واستطاعت اتخاذ قرارات سياسية قاسية بفك الانسداد السياسي الراهن، أيا كان ثمنه، فإنه يمكن أن تكون لحظة تاريخية لظهور سردية عربية جديدة.

دون ظهور سردية عربية جديدة تملك حلولا وخطابات ناجعة تجاه الجغرافيا الثقافية، والجغرافيا الاقتصادية، والجغرافيا السياسية، بما يرصف الطريق لتجاوز التناقضات التي تفجرت في المشهد القائم، وانسداد المسارات السياسية الخاصة به على مستوى السلطة والمعارضة على السواء، فإن فلسطين ليست وحدها المهددة بالسقوط والتهجير والإبادة.. إنما يبقى الأمل كامنا وممكنا في بزوغ سردية عربية جديدة -وإن تأخرت- رغم كل شيء.

في الهدف

تلك الجديلة عشبة للأرض

أحمد علي هلال كاتب وناقد أدبي فلسطيني سورية

بأصابع مرتعشة تحسس الأب المكلوم جديلة ابنته باحثاً عن نداء للحياة أخير... تلك الطفلة المسجاة إثر قصف وحشي في مقتلة غزة، كانت تحلم وتحلم فقط كيف تصبح على وطن يليق بالشهداء والأنبياء، ولعلها نسيت جدائلها حيث تضفرها أصابع الصباح، صباح غزة الذي لا يشبهه أي صباح، قالت سأدعها عشبة لأرضي تنمو على مهل أغنية وقصيد، يصمت الأب قليلاً كي لا يوقظ طفلته من نوم مفاجئ، وهو يهمس بينه وبين ذاته لعلها ذهبت إلى هناك سبقتنا بحلم ووردتين، ولعلها تحلم أكثر بوطن مبرأ من الغزاة... ذات مساء.. ذات صباح، كانت طيور الفجر تحوم في الأرجاء في طقس غريب، أشبه بالوداع أو اللقاء، لتنهمر الأغنيات لطفلة الجدائل، وينثال الغناء طليقاً زغردي يا ام الجدايل... يارا الجدايلها شقر، لم يعد مهماً اسمها ومن أي منطقة هي لأنها فلسطينية بما يكفي لئن تكون المكان... ذاكرة المكان، بكل براءتها وطفولتها الذاهبة إلى زمن آخر، لا يحتمل وحشاً في الحكايات كي تنام بهدوء، ولا يحتمل ذئاباً آخرين كي تستقبل حلمها، فهل انتهت الحكاية هنا يقول الراوي: لغزة ما يكفي من سردياتها اليومية، سرديات بشر كانوا هنا ولم يزالوا، وعادوا ليحتضنوا التراب إذ هو فضة أرواحهم، واكسير أحلامهم الكبرى، يصغي الأب لرواة التاريخ لكنه يعود للهمس بنحيب متقطع، هي سردياتنا التي تفتتح الحضارة من جديد وتلهم الأسطورة كي تُروى على شفة التاريخ، هي غزة إذن مرة أولى وعاشرة، الجسر إلى فلسطين كلها..

غزة.. إلى أين؟

وفاء حميد - صحفية فلسطينية سورية

إن ما يجري من أحداث ومشاهد يضعنا أمام سؤال وهو إلى أين سيكون مستقبل غزة والمنطقة؟ سؤال طالما تداوله الكثيرون، بعد أحداث السابع من أكتوبر، وما تبعه من عنف مفرط وسقوط العديد من الشهداء والجرحى، ويبرز الدور فيما لعبته المقاومة وتركته من أثر لتشكيل المشهد السياسي في المنطقة...

فنرى أن المجازر الدموية مازالت متواصلة ولا أحد يعرف إلى أين تتجه الأمور وإن الحرب الدموية التي تجري في غزة رغم وقف إطلاق النار، تتجه نحو طريق مسدود. يؤثر هذا المشهد من جحيم الدمار والدماء النازفة إلى منظومة التفكير والعمل السياسي، إذ لا يمكن أن يعود الوضع إلى ما كان عليه من قبل.

وأما إعادة إعمار القطاع المدمر تماما الذي أعلنته قمة القاهرة. نجد أنه من الاستحالة الحصول على ضمانات بأن الاحتلال لن يقوم بتسويته بالأرض مجددا. حيث أن استراتيجية إسرائيل نحو القضية الفلسطينية هو تفريغ القطاع غزة من سكانه، وترحيلهم، فقد فضح الكاتب الصحفي والمراسل العسكري الأمريكي كريس هيدجيز تصريحات «اسرائيل»

قائلا:» أهربوا من رفح كما هربتم من غزة ودير البلح وجباليا وبيت حانون، أهربوا سنقتلكم سنسقط قنابل 39GBU- على مخيماتكم ونشعلها سنقصفكم بالمدفعية وقذائف الدبابات، سنقتلكم بالقناصة، سندمر خيامكم مخيمات اللاجئين، مدنكم وبلدانكم ومنازلكم، ومستشفياتكم، ومدارسكم، ومحطات تنقية المياه، سنمطر الموت من السماء، احزموا ما بقي لديكم من أمتعة لا يهمنا مدى إرهاقكم ومدى جوعكم ومدى رعبكم ومدى مرضكم ومدى كبر سنكم ومدى صغر سنكم، اهربوا وبينما تهربون برعب إلى جزء من غزة سنجعلكم تستديرون وتركضون إلى جزء آخر منها محاصرين في متاهة الموت».

هذا بعض من ما جاء من التصريح، وإن رؤية اسرائيل لا تتوقف عند قطاع غزة فحسب في سياق التوسع الاستيطاني المحتل على أراضي الفلسطينيين، فإن حكومة نتنياهو تسعى إلى تحقيق إستراتيجيات تتضمن السيطرة على مساحات واسعة في الضفة الغربية وقطاع غزة. في هذا الصدد، تتكشف خطط جديدة تعكس نوايا إسرائيلية أعمق لإعادة تشكيل المشهد السياسي والعسكري في المنطقة.

وتشكل رؤية «بنيامين نتنياهو» للشرق الأوسط الجديد تجسيدا لطموحات إسرائيلية تاريخية في التوسع، والسيطرة على ما تبقى من الأراضي الفلسطينية، مستندة إلى أيديولوجية صهيونية، تهدف إلى ضم الأراضي المحتلة، لتحقيق امنها القومي. هذه الرؤية ليست جديدة، بل يمتد منذ أمد، منذ قيام دولة الكيان المحتل.

فقد عرض نتنياهو خلال خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، بتاريخ 26/ أيلول 2024، خارطتين تظهران الضفة الغربية وقطاع غزة كجزء من إسرائيل، تربطها معها اتفاقيات تطبيع مع أخرى هي من ذلك قاب قوسين أو أدنى، وضمت مصر والسودان والإمارات والسعودية والبحرين والأردن، وكتب على الخارطة الأولى كلمة «البركة»، وعلى الخارطة الثانية كلمة «اللعنة».

هذه الرؤية تتوافق مع خطته لتأكيد «صفقة القرن»، التي اعتبرتها دول عديدة وسيلة لتعزيز السيطرة الإسرائيلية، والتي تسعى من خلالها لتغيير الخارطة، السياسية لتشمل المنطقة.

في الوقت الذي تعيش فيها غزة، أوضاعا إنسانية مزرية، ويتفاقم فيها الوضع الإنساني لدرجة لا تحتمل، وفق التصريحات المتتالية، لمسؤولي المنظمات الإنسانية الدولية.

فهي تعتقد أن بهذا تضغط على المقاومة وفي محاولة للتخلص منها، يعني بالضرورة إنهاء المقاومة بشكل عام وتقويض حركة المقاومة برمتها. فإن هدف اسرائيل ليس القضاء على المقاومة، إنما هو بعد

استراتيجي عميق اخذت حجة المقاومة سبيلا لتنفيذ خططها. حتى وإن كانت اسرائيل تريد إنهاء المقاومة والقضاء على حماس، والأمر ما هو الا وقت وينهض فيه جيل جديد من القادة الفلسطينيين». والشعب الفلسطيني المعروف بأصالته وصموده وتمسكه بأرضه.

فان الشعب الفلسطيني اليوم أكثر اصرارا من أي وقت مضى على التخلص من الاحتلال. فالمأساة التي يواجهها والحرمان من تحقيق مصيره وتعرضه للعنف بطريقة ممنهجة جعلت من الحاجة إلى حل أكثر إلحاحا من أي وقت مضى. حتى لو تم إنهاء الاحتلال لوجود حماس فإن مجموعة أخرى ستحل محلها.

وعلى الأمة العربية أن تدرك الخطر الذي يحيطها وعليها أن تشكل جبهة موحدة ضد الاعتداءات الاسرائيلية، وإن التصدي لهذه الأزمات يتطلب إرادة سياسية حقيقية، وإستراتيجية موحدة تحمي الأمن القومي العربي، وتؤكد على أن فلسطين ليست مجرد قضية شعب مضطهد، بل هي رمز للكرامة الإنسانية، وان فكرة وجود التنازلات وسياسة الترضيات لم تعد موجودة في المنطقة، وفكرة تنظيف الأراضي الفلسطينية من آخر جندي إسرائيلي ستتحول الى آليات عمل حقيقي، بما يعني ذلك أن ثمة كيانات سوف تنهار، ودماء سوف تهدر أكثر مما نشاهده حاليا.

لماذا فشلت القمة العربية في وقف الإبادة الجماعية في قطاع غزة؟

رضي الموسوي - كاتب صحفي من البحرين

لم يأبه الكيان الصهيوني بنتائج القمة العربية التي عقدت في الرابع من مارس / آذار الماضي بالقاهرة، فكان أول ردود فعله المباشرة يوم القمة بأن البيان الختامي «لا يعالج الواقع بعد السابع من أكتوبر»، وطالب وزير خارجيته جدعون ساعر، بـ»نزع كامل للسلاح في غزة للانتقال إلى المرحلة الثانية من المفاوضات مع حماس». لقد وجدت تل أبيب بيان القاهرة أضعف مما توقعت، فجاء بلا أنياب وآليات يعمل وفقها ولا خطوات عملية يجسدها على الأرض، فتصرف وفق ذلك بمزيد من المجازر والتطهير العرقي في قطاع غزة وصعّد جرائم القتل والاستيطان ومصادرة الأراضي في الضفة الغربية، وكأن بيان القمة منحها ضوءا أخضر، يضاف إلى مواقف الإدارة الأمريكية المشاركة في العدوان والداعمة والمشجعة على المضي قدما في ارتكاب المجازر.

كأن القمة العربية لم تدرك بعد أن ليس هناك ترف الوقت والبيانات المرسلة والمنمقة وغير القادرة على تمرير قنينة ماء لطفل يعاني العطش والجفاف، وكأن غزة في جغرافيا بعيدة يستحيل الوصول إليها. لم تلتفت القمة العربية لآلاف الشهداء الذين طُمِروا تحت ركام بيوتهم ولم يُصَل عليهم أحد، كما لن يُصلّى على الذين طُمِروا بعد انفضاض القمة وعودة الزعماء إلى بلدانهم محملين ببيان الثلاثة والعشرين بندا. كان البيان إنشائيا بامتياز ولم يخرج عن البيانات التي اعتادتها القمم العربية السابقة، فلم تتمكن حرب الإبادة من تغيير اللهجة بعد سقوط أكثر من 150 ألف بين شهيد وجريح ونحو مليوني مشرد وتدمير كامل للبنى التحتية. هذا البيان جعل الكيان مطمئنا أكثر بأن قمة كهذه لن يرف له جفن على مخرجاتها، فاستمر في تمزيق اتفاق وقف إطلاق النار ورفض الشروع في المرحلة الثانية من الاتفاق مشترطا الإفراج عن أسراه بلا مقابل.

كان يفترض في قمة القاهرة أن تعقد في السابع والعشرين من فبراير/شباط الماضي وفق إعلان القائمين عليها، إلا أنه تم تأجيلها للرابع من مارس بحجة المزيد من التحضير وضمان حضور القادة العرب. لم يتم الاتفاق على تسميتها. هل هي قمة طارئة أو استثنائية أو غير عادية، فقد دب التململ في مفاصل دول القمة قبل أن تبدأ. تشير بعض المعلومات أن التأجيل سببه إتاحة الفرصة والوقت الكافيين «لصياغة رؤية عربية موحدة إزاء غزة ومستقبلها وإعادة إعمارها، والعمل على التفاهم مع الأطراف الفلسطينية حول مستقبل إدارة القطاع». سبق القمة الكبيرة قمة مصغرة في السابع والعشرين من فبراير /شباط الماضي في العاصمة السعودية الرياض للتحضير الجيد للقمة العربية، لكنها انتهت دون بيان ختامي، بل تم تخفيض سقف نتائجها قبل أن تعقد، فاعتُبرت «لقاء أخويا غير رسمي، وأن قراراته ستكون ضمن جدول أعمال القمة العربية الطارئة»، حسب بعض المصادر التي تحدثت عن خلافات بين المجتمعين حول حسم القضايا الرئيسية المفترض طرحها في القاهرة.

هذا التلكؤ ليس جديدا على القمم العربية. فالحسابات القُطرية الضيقة تحكم مواقف كل نظام سياسي دون التعمق في المعطيات التي تؤكد وجود مخططات كبرى لا تستثني أحدا من الدول العربية وحتى الإسلامية، حيث يجهر الكيان الصهيوني بأهدافه في التطهير العرقي وطرد الشعب الفلسطيني إلى مصر والأردن أو أية دولة عربية أخرى سواء كانت قريبة أو بعيدة عن جغرافية فلسطين.

أُثقِلَ البيان الختامي لقمة القاهرة بحشوٍ كثير عن القضية الفلسطينية وكانها قضيةٌ مستجدة على الساحة وليست ساحة حرب إبادة ومشروع لتدمير المزيد من الدول العربية التي تخرج عن بيت الطاعة الأمريكي-الصهيوني. في بنوده الـ23،

عرّج بيان القمة العربية على مفاصل القضية الفلسطينية بدءا من تحقيق السلام العادل والشامل، وحق العودة للاجئين الفلسطينيين، وتكثيف التعاون مع القوى الدولية والإقليمية، بما في ذلك مع الولايات المتحدة الأميركية، وتأكيد الموقف العربي الرافض لأي شكل من أشكال تهجير الشعب الفلسطيني من أرضه أو داخلها، وإدانة القرار الصادر مؤخرا عن الحكومة الإسرائيلية بوقف إدخال المساعدات الإنسانية لقطاع غزة وغلق المعابر المستخدمة في أعمال الإغاثة، والتحذير من أن أي محاولات آثمة لتهجير الشعب الفلسطيني، أو محاولات لضم أي جزء من الأرض الفلسطينية المحتلة، وإعادة إعمار غزة والتأكيد على أولوية استكمال تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار لمرحلتيه الثانية والثالثة، والترحيب بالقرار الفلسطيني بتشكيل لجنة إدارة غزة تحت مظلة الحكومة الفلسطينية، التي تتشكل من كفاءات من أبناء القطاع، لفترة انتقالية بالتزامن مع العمل على تمكين السلطة الوطنية للعودة إلى غزة، تجسيدا للوحدة السياسية والجغرافية للأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، ودعوة مجلس الأمن إلى نشر قوات دولية لحفظ السلام تسهم في تحقيق الأمن للشعبين الفلسطيني و»الإسرائيلي» في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، على أن يكون ذلك في سياق تعزيز الأفق السياسي لتجسيد الدولة الفلسطينية..الى آخر البنود.

لكن خطوة عملية لم تقدم عليها القمة، فماذا لو قررت الدول العربية المطبعة مع الكيان مدعومة بالمجتمعين إيقاف مسيرة التطبيع وسحب سفرائها من تل أبيب والطلب من سفراء الكيان مغادرة العواصم العربية؟

ماذا لو توقفت بعض الدول العربية عن إمداد الكيان بالنفط والسلع التي منعت عليه من البحر الأحمر؟

ماذا لو قررت القمة فتح المعابر والطلب من المجتمع الدولي مراقبة رد فعل الكيان على هذه الخطوة؟

ما الذي جعل رقاب الدول العربية تحت مقصلة الكيان والولايات المتحدة الامريكية؟

غياب الإرادة

ببساطة، أن الإرادة التي تمتع بها أبطال طوفان الأقصى والمقاومة الفلسطينية والبيئة الحاضنة في غزة والضفة الغربية، غير موجودة لدى النظام الرسمي العربي الذي يضم 22 دولة عربية بتعداد سكاني يزيد عن 400 مليون نسمة، وبحجم اقتصاد يبلغ ناتجه المحلي الإجمالي 3.5 تريليون دولار يتقدمه الاقتصاد السعودي بناتج إجمالي يصل إلى 1.1 تريليون دولار، يليه الإمارات بأكثر من 500 مليار دولار، ومصر بنحو 350 مليار دولار.

عجز الدول العربية في مواجهة التحديات الكبرى وفي مقدمتها القضية المركزية للأمة، فلسطين، ينبع من عدم قدرتها على اتخاذ القرارات المصيرية باستقلالية نظرا لغرق أغلب هذه الدول العربية في أزمات اقتصادادية واجتماعية مستفحلة مثل الفقر الذي يبلغ نحو ثلث السكان والبطالة التي تصل بين الشباب العربي نحو27 بالمئة والديون التي تصل في أعلى 10 دول مدينة لقرابة 1.5 تريليون دولار، وتردي الأداء الاقتصادي والسياسي. فالمواطن العربي مُغيب عن اتخاذ القرار في ظل غياب المؤسسات الديمقراطية والاجتماعية وفشل برامج التنمية المستدامة بسبب استفراد الأنظمة بالقرارات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دون مشاركة مجتمعية، ما اغرقها في ديون عامة تبوأت في بعضها الباب الأول لمصروفات الميزانية العامة للدولة.

يضاف للواقع الاقتصادي المتردي حالة التفتت والتشردم وتساقط العديد من الدول في قائمة الدول الفاشلة أوالمفتتة، فضلا عن مخرجات الحروب والتطاحن الداخلي الذي أدى إلى هذا المستوى من الانحدار كما هو الحال في الصومال والسودان وسوريا والعراق وليبيا، فيما تسير بعض الدول إلى ذات المستنقع. وحيث تتحفز الإدارة الأمريكية الجديدة التي يتحكم في العديد من قراراتها اللوبي الصهيوني، فان على بعض الدول العربية أن تتحضر لقرارات ضاغطة من أجل التطبيع مع الكيان وخصوصا دول مجلس التعاون الخليجي. فلم يكن صدفة أن تشن إدارة الرئيس ترامب هجوما ظالما على الكويت وتطلق تصريحات مرسلة على عواهنها وتتهم الدولة الخليجية بفرض ضرائب اضافية على السلع الأمريكية، وتدعّي بأن امريكا دفعت 100 مليار دولار من أجل تحرير الكويت في 1991، بينما تفيد البيانات بغير ذلك، فالكلفة المقدرة رسميا لحرب تحرير الكويت بلغت 60 مليار دولار، دفعت الكويت ودول خليجية منها نحو 55 مليار دولار ولم تدفع الولايات المتحدة سوى 5 مليارات دولار وعوضتها أضعافا عبر صفقات التسلح مع دول الخليج. إن هذه التصريحات الهجومية هي مقدمة لضغوطات أكبر على الكويت وعلى السعودية أيضا، تهدف للتطبيع الكامل بين الكيان ودول مجلس التعاون الخليجي، للفوز بأكبر كعكة نفطية في المنطقة والعالم.

في ضوء هذا الواقع المزري والتفكير المطوق بشعار «القُطر أولا» إنزلقت العديد من الدول العربية نحو الهويات الفرعية القاتلة والاحترابات الداخلية والفتن الدينية والطائفية والمذهبية، وركنت على الرف قضية فلسطين. كيف يمكن اتخاذ قرارا جريء يلجم اندفاعة الكيان في القتل والتدمير، حتى لا نقول محاربته، لمواجهة حرب الابادة في فلسطين، بينما يعاني الوضع الداخلي العربي من هذا الكم الهائل من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية؟! إن الإدارة الأمريكية ومن ورائها اللوبي الصهيوني يمارسون أقصى درجات الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويهددون بزعزعة الاستقرار الهش في العديد من البلدان العربية التي تعاني من مصاعب اقتصادية وسياسية، وما أكثرها. وهل يمكن إيقاف التطبيع وتجميده مع الكيان بينما تمعن بعض النظم العربية في فتح الجسور البرية والبحرية والجوية للتعويض عن ممر البحر الأحمر وباب المندب المغلق على الكيان؟

في هذا الشأن فإن نمو التجارة بين الكيان وبعض الدول العربية يكشف

بعض الوقائع. تشير البيانات الصهيونية إلى أن حجم التبادل التجاري بين دولة الاحتلال والدول العربية الخمس المطبعة معها (مصر، الأردن، الإمارات، المغرب والبحرين) قد سجل ارتفاعا ليصل إلى 4.524 مليار دولار في العام 2024 (دون حساب واردات مصر من الغاز الطبيعي) بزيادة قدرها 15 بالمئة عن العام الذي سبقه، في الوقت الذي كان يفترض أن تتوقف هذه التجارة حيث يطبق الحصار على قطاع غزة لدرجة التجويع والعطش ومنع الدواء والمحروقات!!

كيف للمعابر أن تُفتح في ظل عدم القدرة على اتخاذ قرار بهذا الحجم بينما رقاب الأنظمة تحت مقصلة ترامب الذي يتصرف كامبراطور على العالم ويضرب على وتر نقاط ضعف النظام الرسمي العربي المهترئ في بنيته الداخلية وقاعدته الاجتماعية والشعبية؟

إن هذه المعطيات تقود بالضرورة إلى مخرجات باهتة للقمة العربية، وهي مخرجات لا يمكن التعويل عليها في إسناد الشعب الفلسطيني مادامت الأوضاع على ما هي عليه من تردٍ وتراجعٍ وتواطؤ مع العدو الصهيوني. فحين تُسلب إرادة الدول وتصادر سياداتها لصالح الكارتيلات المالية الكبرى والدول المتحكمة فيها، لا يمكن لها أن تتخذ قرارات مستقلة تلبي مصالحها ومصالح شعوبها، بقدر ما تخضع لإرادة ومصالح الأطراف المقررة في مفاصل الاقتصاد والسياسة المتعارضة حتما مع المصالح الوطنية والقومية.

على هذا الأساس لم يكترث الاحتلال لقرارات القمة، حيث تيقن وتأكد أنها قرارات إنشائية غير قادرة على وقف ما يحضر له من جولات جديدة من الإبادة وفرض التهجير على أهالي غزة والضفة الغربية وسعيه لإخفاء جرائمه بتصعيد استهدافه للصحفيين وعائلاتهم بهدف طمس الحقيقة ومنع انتشارها للرأي العام العالمي، الذي بدأ يعي أن هذا الكيان ليس سوى قاعدة عسكرية متقدمة للولايات المتحدة وحلفائها، وأنه كيان أبارتهايد عنصري يقتل أكثر مما يتنفس منذ تأسيسه قبل 77 سنة.

مساع أميركية للتطبيع بين لبنان وإسرائيل تُفاقم الانقسام الداخلي

أنيس محسن ـ صحافي فلسطيني ـ لبنان

بخلاف الادعاءات الإسرائيلية، فإن هدف البقاء على احتلال خمس تلال مشرفة حدودية في جنوب لبنان، ليس احتلالاً أمنياً، وهو أمر تؤكده الوقائع التقنية، وتعرفه الأوساط الرسمية والسياسية في لبنان، وتجاهر به مبعوثة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى لبنان مورغان أورتاغوس: إنه عنصر من عناصر الضغط لفرض التطبيع بكل ما يحمل من معانٍ صهيونية؛ أي الرضوخ للشروط الأسرا - أميركية من دون نقاش، والعودة إلى اتفاق 17 أيار/ مايو 1983 الذي ألغته انتفاضة 6 شباط/ فبراير 1984!

خدعة وقف الأعمال العدائية

باشر حزب الله معركة إسناد لقطاع غزة في اليوم التالي لعملية «طوفان الأقصى» التي شنتها «كتائب عز الدين القسام» في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، أي في 8 من الشهر نفسه، واستمر الاشتباك حدودياً على مسافة نحو 5 كلم من جهتي خط الحدود بين لبنان وشمال فلسطين المحتلة، حتى يوم 17 أيلول/ سبتمبر 2024، حين نفذت إسرائيل اعتداء واسعاً عبر تفجير آلاف أجهزة الاتصال «بيجر» التي يستخدمها عناصر من حزب الله وموظفون مدنيون في مؤسسات مدنية يديرها الحزب، موقعة آلاف الشهداء والجرحى، ليلي ذلك في 19 أيلول/ سبتمبر شن الطائرات الإسرائيلية مئات الغارات على مواقع في جنوب لبنان والبقاع، وفي اليوم التالي شنها غارات على الضاحية الجنوبية لبيروت. وتصاعدت الاعتداءات الإسرائيلية ووصلت إلى ذروتها بعملية اغتيال الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله في 27 أيلول/ سبتمبر وبعد 3 أيام عملية اغتيال ثانية طاولت الأمين العام المنتخب سراً السيد هاشم صفي الدين، ورافق الاغتيالين وسبقهما اغتيال عدد كبير من قادة الصفين الأول والثاني، ثم الثالث، من الحزب، فضلاً عن استهداف البنى التحتية والمباني في الضاحية، ثم في بيروت نفسها، بعد أن جرى تدمير قرى الحافة الأمامية اللبنانية المحاذية لفلسطين المحتلة، وأحياء كاملة في مدينتي صور والنبطية. وفي المقابل، أمطر حزب الله المستعمرات الإسرائيلية

بآلاف الصواريخ، وصولاً إلى تل أبيب، وبلغت بعض الصواريخ مستعمرات في الضفة الغربية، كما تصدى مقاتلوا حزب االله، وتشكيلات من المقاومة الفلسطينية واللبنانية للعملية البرية التي باشرتها قوات الاحتلال في 1 تشرين الأول/ أكتوبر 2024، ليستمر القتال عنيفاً وسط مساع أميركية لوقف لإطلاق النار، قادها المبعوث الرئاسي آموس هوكشتاين، نجحت في تحديد فجر 27 تشرين الثاني لبدء وقف للأعمال العدائية (وليس وقفاً للنار كما يُشاع).

وقد نص الاتفاق على تنفيذ الطرفين القرار 1701 بالكامل، كما أعطى إسرائيل ولبنان الحق بـ «الدفاع عن النفس»، مشدداً على حصرية السلاح للقوى المسلحة الرسمية اللبنانية التي ستنشر 10 آلاف جندي في منطقة جنوب نهر الليطاني، وأن تعمل الأطراف الثلاثة المعنية بتنفيذ الاتفاق، لبنان وإسرائيل وقوات اليونيفيل، بوجود ممثلين عن الولايات المتحدة وفرنسا على مصادرة الأسلحة غير المصرح بها، ومنع وجود أي سلاح أو مسلحين غير القوات المسلحة اللبنانية الرسمية، وأن تبلّغ إسرائيل ولبنان قوات اليونيفل عن أي انتهاكات مزعومة.

منذ اللحظة الأولى لم تستجب إسرائيل للاتفاق، وبدل أن تباشر انسحاب منظم من جميع المساحة التي احتلتها في قرى الحافة الأمامية، عملت على التوسع باتجاه مناطق لم تتمكن من دخولها خلال القتال البري، وباشرت تدميراً ممنهجاً للبنى التحتية والمباني، ورفضت تنفيذ الجدول الزمني للانسحاب وفق الاتفاق، زاعمة أن الجيش اللبناني لا ينفذ المطلوب منه، وهو أمرٌ كذبته تقارير اليونيفل، لتستقر في 18 شباط/ فبراير 2025 على انسحاب جزئي مع الحفاظ على تواجد جيشها في 5 تلال تتحكم بجنوب لبنان، أي بعد أكثر من 45 يوماً من التاريخ الذي نص عليه الاتفاق للانسحاب من مختلف المساحة التي احتلتها في الجنوب، فيما يظهر أن الاتفاق كان مجرد خديعة لتحقيق سلماً ما لم تستطع تحقيقه حرباً، بتواطؤ أميركي واضح، على الرغم من أن ضابط أميركي عُيّن للسهر على تنفيذ الاتفاق، بل ليظهر أن الهدف الحقيقي هو أبعد من الجغرافيا، ويُلامس المسألة السياسية.

التطبيع ثمناً بتواطؤ أميركي

ما أُخفي خلال مفاوضات التوصل إلى اتفاق وقف الأعمال العدائية، وما بعد التوصل إلى هذا الاتفاق، هو الثمن السياسي المطلوب إسرائيلياً وأميركياً من لبنان؛ فلا يخفى على أحد، حتى لو لم يكن عسكرياً، أن الاحتفاظ بتلال داخل لبنان بذريعة حماية المستعمرات الإسرائيلية ومراقبة أي خرق يمكن أن يجري داخل لبنان، هو محض هراء، فالتكنولوجيا الحديثة المحملة عبر الطائرات المسيّرة باتت قادرة على كشف أي تحرك في أنحاء لبنان وليس فقط في جنوبه، وليس خافياً على أحد أن إسرائيل هي من يخرق الاتفاق، وقد خرقته أكثر من ألف مرة، وحتى نهاية آذار/ مارس 2025، تسببت بمقتل أكثر من مئة وجرح أكثر من 300 منذ وقف الأعمال العدائية، على الرغم من التزام حزب الله الصارم بالاتفاق.

لقد بلغت الوقاحة الأميركية في النطق باسم إسرائيل مدى غير مسبوق. أولاً حين زارت المبعوثة الخاصة إلى لبنان، مورغان أورتاغوس البلد أول مرة في 7 شباط/ فبراير 2025، وصرحت من القصر الجمهوري عن امتنانها «لحلفيتنا إسرائيل لهزيمة حزب الله»، ثم في 19 آذار/ مارس كشفت قناة «الجديد» التلفزيونية اللبنانية أن أورتاغوس «اتصلت بكل من رئيس الجمهورية جوزاف عون ورئيس الحكومة نواف سلام وحضتهما على ضرورة تشكيل لجان مدنية للتفاوض مع إسرائيل تحت طائلة سحب اليد الأميركية من لجنة المراقبة وإعطاء إسرائيل حرية التصرف.»

هذا الموقف قابله رفض رئاستي الجمهورية والحكومة في لبنان، وموقف واضح من رئيس مجلس النواب نبيه بري برفض أي تفاوض بعيداً عن المفاوضات الأمنية التقنية. وفي هذا السياق، صرح بري لجريدة «الشرق الأوسط» في 23 آذار/ مارس بأن «لدى إسرائيل نيّة لاستدراجنا للدخول في مفاوضات سياسية لتطبيع العلاقات بين البلدين، ولكننا لسنا في هذا الوارد»، مضيفاً «لدينا اتفاق يحظى بدعم دولي وعربي وبتأييد الأمم المتحدة، ونحن نطبقه ونلتزم بحرفيته، وإسرائيل هي من يُعطل تنفيذه وتسعى للالتفاف عليه.»

خطر الداخل يؤازر خطر الخارج

ليس بسيطاً أبداً الضغط الأميركي والإسرائيلي على لبنان، سواء عبر فرض معادلة التطبيع مقابل الانسحاب، أو ربط إعادة الإعمار بإقصاء حزب الله، ومعظم الطائفة الشيعية، عن مركز القرار في السياسة اللبنانية، وتهميش ممثلي الطائفة متمثلين بحزب الله وحركة أمل.

لكن ما يُمكن أن يُعتبر خطراً أكبر، هو استخدام الانقسام السياسي الداخلي، العميق والذي هو أبعد من حرب تشرين الأول/ أكتوبر 35، والممتد إلى زمن تأسيس لبنان وتوزيع السلطة فيه على الطوائف.

ففي مقالة نشرها موقع «التقرير العربي» الإلكتروني في 23 آذار/ مارس ينقل الصحافي والكاتب اللبناني قاسم قصير مشاعر قلق تسود معظم مكونات الطائفة الشيعية، ويقول إن «تحديات كبيرة خارجية وداخلية» تواجه لبنان «قد تؤدي إلى انهيار الآمال التي عُلِّقت على العهد الجديد بعد انتخاب العماد جوزيف عون رئيساً للجمهورية وتشكيل حكومة جديدة برئاسة الدكتور نواف سلام»، اللذين وصلا إلى الحكم بضغط شعبي داخلي وبدفع عربي ودولي بعد الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، شبيهة «إلى حد ما مرحلة الرئيس الياس سركيس الذي انتخب في سنة 1976 بعد حرب السنتين وبدعم عربي ودولي من

أجل إنقاذ لبنان من الصراعات الداخلية والخارجي.»

ويلفت قصير إلى «بروز خلافات لبنانية داخلية بشأن كيفية مواجهة كل هذه التحديات، وإصرار بعض الأطراف اللبنانية على الدعوة لنزع سلاح حزب الله بالقوة إذا لم يتم الاتفاق على ذلك بالتراضي، وتبرير البعض للعدوان الاسرائيلي على لبنان باستمرار وجود سلاح الحزب في مناطق شمال نهر الليطاني.»

ويشير إلى «مخاوف جديّة من عودة الفتنة الداخلية، مع رهان بعض القوى السياسية على تدخلات خارجية لنزع سلاح حزب الله، وكذلك منع إعادة إعمار المناطق التي دمرها الجيش الاسرائيلي، وسط سجالات داخلية، تثير مخاوف لدى غالبية الطائفة الشيعية من وجود مشاريع داخلية وخارجية لاستهدافها.»

إن من يُراقب أداء القوى السياسية في لبنان، يستنتج أن المرحلة خطيرة للغاية، وليست تحذيرات قصير، الصحافي والكاتب والشيعي العابر للطائفة، والمشارك في الكثير من مبادرات التقريب بين الأديان والطوائف في لبنان، سوى مؤشراً إلى حقيقة الوضع، والشعور الذي يعتري أكثر من ثلث عدد اللبنانيين من مسعى لتهميشهم، وبالتالي دفعهم نحو التقوقع، أو الانفجار مجدداً في إستعادة لتاريخ انتفاضة 6 شباط/ فبراير 1983، لكن في سياق وضع أكثر تعقيداً محلياً وإقليمياً ودولياً، الأمر الذي يُفاقم من الخطر، وخصوصاً إذا تساوق بعض الداخل مع بعض الخارج الذي يختزن حقداً على لبنان لما أصابه فيه من هزائم سابقة، وتحقيقاً لهدف السيطرة الكاملة على الإقليم كله، بواسطة إسرائيل، ولمصلحة الغرب عموماً، والولايات المتحدة خصوصاً، الأمر الذي يتطلب تفكيراً من خارج الصندوق من قبل القوى المُستهدفة في هذه الهجمة الساحقة، سواء في لبنان، أو فلسطين، أو باقي المنطقة.

الحروب التجارية وأثرها على الأمة العربية

مسعود أحمد ـ صحافي وكاتب سياسي ـ عُمان

إن الحروب التجارية والاقتصادية هي أداة رئيسية من أدوات السيطرة حيث تستخدمها - عادة – الدول الكبرى لغايات متعددة، منها ذات طبيعة تجارية ومنها ذات أهداف استعمارية، و مهما كانت المظاهر التي ترتديها تبقى صفتها الطبقية هي الأساس، وإن فهمها خارج هذا الإطار يعني الانسياق خلف المحاولات التضليلية التي تسوقها البرجوازية على الدوام بحيث تضفي على حروبها اللصوصية أبعاد وطنية مقدسة تمكنها من تجييش العاطفة الشعبية وتوظيفها في خدمة أجندتها الأنانية الخاصة،

وإذا كانت الامبريالية هي أعلى مراحل الرأسمالية وأن خاصيتها الرئيسية هي الاحتكار فإن هذا المبدأ يستدعي بالضرورة الحروب التجارية والعسكرية، وفي هذا السياق سيكون من الصعوبة رؤيتها بمعزل عن جوهرها وأهدافها الطبقية العدوانية والتوسعية، و بما أن أضرارها تطال جميع الشرائح والطبقات وأن بأشكال متفاوتة فهذا يكسبها أحياناً الطابع الاجتماعي، غير ان ذلك لا ينفي أهمية تحليل الحالة الموضوعية للطبقات المسيطرة واستخراج مضمونها الطبقي، و إذا اقتصرت الرؤية على هذا الفهم فإن الحروب التجارية الراهنة بما انها تجري على أرضية الإيديولوجية الرأسمالية فانها تعتبر وجها آخر من وجوه الهيمنة والاستغلال، ولن تغير الحملات الإعلامية الممنهجة من حقيقة الفهم العلمي لطبيعة الحروب التجارية الراهنة باعتبار مظهرها الرئيس هو صراع رأسمالي / رأسمالي، وإن كانت أقطابها تحرص على إخفاء أهدافها الإجرامية التي قد تنطلي على القطاع الجماهيري العريض وذلك لغياب مضمونها الطبقي والفكري والسياسي، وبطبيعة الحال فإن تلك الحروب بصرف النظر عن أشكالها وأبعادها التي قد تبدو متناقضة، تعد في هذه الفترة بمثابة جولة صراعية يراد بها قطع الطريق على التوازنات الأخذة في التشكل، بيد أن سمتها البارزة تبقى من حيث المضمون هي حرب نهب وسلب واستعباد وتنافس بين الرأسمالية التقليدية والرأسمالية النامية بادرت إليها الامبريالية الأمريكية بشكل استباقي عبر فرض العقوبات والقيود على انتقال السلع ورفع الرسوم الجمركية واحتكار الأسواق الاستهلاكية الداخلية وغيرها من الإجراءات التي تعتقد بانها كافية لتعطيل تقدم الرأسمالية الحديثة التي يظن البعض بأنها أقل وحشية، وأن هذا النوع من الحروب ربما يعيد العالم إلى مناخات ما قبل الحرب العالمية الثانية بحيث تولد إرهاصات اولية لهزات عنيفة في بنية المنظومة الرأسمالية المأزومه و التي لم تعد قادرة على الاستمرار وفق صيغها وآلياتها السابقة، ولاريب بأن تصاعد آفاق الحروب التجارية باتت تأخذ منحى أكثر سخونة في ظل القيادة الأمريكية الترامبية المهووسة بالمحافظة على القطبية الأحادية للإمبريالية الأمريكية التي تستحوذ تقريباً على ربع الاقتصاد العالمي، ومن الطبيعي أن ينعكس أثرها على بقية دول العالم مما يضاعف من حدة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على كافة الصعد المحلية و الدولية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنها قد تفرز بدورها ظروف

موضوعية جديدة يمكن أن تفتح عصر التحرر الوطني من السيطرة الرأسمالية الكولنيالية على الصعيد العالمي، بينما على الصعيد العربي الذي ما زالت معظم تفاعلاته قائمة على أساس استمرار التبعية الاقتصادية والسياسية وعلى أساس الترابط العضوي بين البرجوازية العربية و البرجوازية الغربية التي اتضحت على نحو أكثر وضوحاً من أي وقت مضى، والتي استقرت على قاعدة تقاسم الأدوار والمهمات بشكل علني بحيث يناط بالكيان الصهيوني وبعض أطراف النظام الرسمي مهمة خلق الوقائع المادية في حين تتولى الأطراف الأخرى إضفاء الشرعية على نتائجها الواقعية علاوة على الثبات في خندق الامبرياليات الغربية ومجاراة الإمبريالية الأمريكية ومقارباتها الخاصة في الحفاظ على مكانتها على رأس النظام الدولي والتي تجري عملية استنهاض محاورها الإقليمية والدولية، وفي هذا السياق فان الملامح المقبلة أصبحت واضحة وتتمثل بالدرجة الأولى في المزيد من الخضوع والاستسلام للإرادة الأمريكية من جانب و تلبية مطالب الكيان الصهيوني التوسعية الذي استنفد كافة منافذه التسويقية والامتيازات التي توفرت له في المراحل السابقة من جانب آخر، وعلى ضوء هذه الحيثية فان الكيان الصهيوني لم يعد أمامه خيار سواء فتح المجال العربي طوعا أو كرها، غير أن مفاعيل هذه السياسة بالنسبة للنظم العربية البرجوازية والإقطاعية ربما ستكون أكثر صعوبة في المرحلة المقبلة، خصوصاً بان التحالف الطبقي البرجوازي الكمبرادوري الخاضع بالمجمل للهيمنة الإمبريالية الأمريكية والغارق حتى اذنيه في مستنقع العمالة للإمبريالية والصهيونية فان انخراطه في الحروب التجارية العالمية ستزيد من تعقيد أوضاعه الداخلية لجهة تقليم ما تبقى من عناصر سيادته الوطنية، الأمر الذي سيضاعف من أزماته الطبقية و السياسية والتي من المتوقع أن تفرز شروط الوضع الثوري بحيث تتمكن القوى الطبقية النقيضة من الإطاحة بهذا التحالف اليميني الرجعي .

النسوية التونسية/العربية وحرب الإبادة في غزة

كوثر الباجي ـ منظمة مساواة تونس

في ظل العدوان المستمر على غزة وعموم فلسطين، برزت الرؤية النسوية العربية كموقف نضالي إنساني وأخلاقي للتعاطي مع معطيات العدوان وتطوراته ، وذلك في أفق فهم أعمق للمعاناة الإنسانية التي يعيشها الشعب الفلسطيني، وخاصة النساء والأطفال. فهذه الرؤية لا تقتصر على تحليل الدمار الجسدي والمادي، بل تسلط الضوء على الأبعاد النفسية والثقافية والتداعيات الاجتماعية التي تعاني منها هذه الفئات في ظل الاحتلال والقصف المستمر.

لقد حاولت الرؤية النسوية العربية التفاعل المركب بين القضايا النسوية والنضال الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال والاستعمار الاستيطاني، لذلك فهي تتجاوز البعد الإنساني والحقوقوي السائد لتسلط الضوء على العنف الجندري المضاعف الذي تتعرض له النساء الفلسطينيات في ظل العدوان المستمر على غزة. فالنساء في غزة يواجهن قمعاً مزدوجاً؛ الأول يتمثل في الاحتلال الصهيوني الذي يفرض حصاراً وتجويعاً وقتلاً ممنهجاً على الجميع، والثاني ينبع من القهر الاجتماعي الناتج عن الهياكل الذكورية التقليدية التي تُقيّد حركتهن وأدوارهن في المجتمع.

في هذا السياق، تقدم الرؤية النسوية قراءة نقدية ترى في الإبادة الجماعية في غزة محاولةً للقضاء ليس فقط على الشعب الفلسطيني، بل أيضاً لتدمير النسيج الاجتماعي، حيث تكون النساء هن الرابط الأساسي في الحفاظ على الوجود أصلا وعلى الهوية الثقافية والمقاومة اليومية لمنطق الإلغاء الاستعماري. فالنساء الفلسطينيات يتعرضن للعنف الجندري من الاحتلال الإسرائيلي، الذي يستخدم العنف الجنسي والترهيب كأدوات استعمارية لكسر النسيج الاجتماعي الفلسطيني. كما أن القصف العشوائي والتهجير القسري يؤديان إلى فقدان النساء لأسرهن، مما يدفعهن إلى أدوار جديدة كمعيلات رئيسيات في ظل غياب الرجال الذين يُستهدفون بشكل ممنهج. كما يستعمل جيش الاحتلال أنواعا خاصة من القنابل وعناصر التدمير التي تستهدف النساء والإناث أساسا مهما كان عمرهن والتي تتجه لنسف القدرة على الحمل والولادة الآن وغدا،قنابل تشوه رحم البنات والنساء من أجل القضاء على استمرار الشعب الفلسطيني، فلقد كانت الواجهة الديمغرافية على الدوام واجهة صراع مع العدو.

إضافة إلى ذلك، تحلل الناشطات النسويات الاحتلال الإسرائيلي كشكل من أشكال العنف الجندري، حيث يستهدف البنى الاجتماعية والاقتصادية التي تعتمد عليها النساء، مثل تدمير المنازل، والمدارس، والبنى التحتية الحيوية بما فيها الزراعة البيتية والمنزلية كآلية من آليات الصمود والمقاومة. كما تشمل الممارسات الاحتلالية الاعتقالات التعسفية للنساء والأطفال، والاستخدام الممنهج للعنف الجنسي كأداة قمع، وفقاً لتقارير منظمات حقوقية فلسطينية ودولية.

ولم يطل التنكيل في الأسر رجال المقاومة المسلحة فحسب، بل طال أيضا رموزا نسائية طالها تنكيل فظيع مثل ما صار مع أيقونة نساء فلسطين الرفيقة خالدة جرار التي منع عليها التنفس من أجل قتلها. لكن شموخها رغم وضعها الصحي الصعب أعطى

للشعب الفلسطيني رموزا أخرى لتدوين سردية الصمود، رموزا هو ونحن في أشد الحاجة إليها.

وترى النسوية العربية أن الجسد الفلسطيني، وخاصة جسد المرأة، أصبح ساحة للحرب والاستهداف، فالنساء الفلسطينيات لا تواجهن فقط القصف والدمار، بل أيضاً العنف الجنسي، والحرمان من الرعاية الصحية، والموت أثناء الولادة بسبب نقص الخدمات الطبية نتيجة الحصار. في هذا السياق، يصبح الجسد الفلسطيني رمزاً للصمود والمقاومة، وهو ما يجعل استهداف النساء جزءاً من استراتيجية الإبادة الثقافية والبيولوجية للشعب الفلسطيني. ولقد كان جسد خالدة جرار رمزا رغم هزاله وإنهاكه، أنه يقاوم مثلما يقاوم شعب فلسطين رغم الاختلال الرهيب في ميزان القوى.

علاوة على ذلك، تشير الرؤية النسوية إلى أن الأمهات الفلسطينيات يحملن عبئاً مضاعفاً في ظل العدوان، حيث يتحملن مسؤولية حماية أطفالهن في ظل القصف، وتوفير الحد الأدنى من الأمان والاحتياجات الأساسية، مع فقدان الأزواج والأبناء. وبهذا، تتحول الأم الفلسطينية إلى رمز للصمود ولإعادة إنتاج الحياة رغم الموت والدمار المحيط بها. هذه التجربة تعكس قوة المرأة الفلسطينية كقائدة للمجتمع في أحلك الظروف. فالمرأة التي ترضع رغم خواء الثدي و شحّ الحليب الذي تحول في مرات عدة إلى دم ينتقل من جسد منهك إلى آخر أكثر إنهاكا بما قدم للضمير العالمي صورا لم يألفها رغم انتشار فظاعات الإمبريالية في أماكن عدة من العالم.

في هذا الإطار، تسلط الحركات النسوية العربية الضوء على التضامن العابر للحدود، حيث يتم الربط بين نضال النساء في فلسطين ونضال النساء ضد العنصرية والعنف الإمبريالي في مناطق أخرى. كما يتم دعم حملات المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات كأداة نسوية لمقاومة الاحتلال.

ومن جانب آخر، عملنا كنسويات عربيات باعتبارنا فصيلا من حركة الإسناد الأممي التي برز فيها النساء والشابات في كل العالم بشكل واضح و ذا دلالات عميقة ، ربط النضال الفلسطيني بالنضالات النسوية ضد الاستعمار والاستبداد في مناطق أخرى من العالم العربي. وحاولنا أن لا يقتصر هذا التضامن على البيانات السياسية، بل يشمل حملات الدعم النفسي، والمساعدات الإنسانية، وتوثيق الجرائم والانتهاكات التي تتعرض لها النساء الفلسطينيات.

كما تُعارض الأصوات النسوية التطبيع مع الاحتلال، مؤكّدات أن التحرر الجندري لا ينفصل عن التحرر الوطني. وتتبنى الحركات النسوية العربية خطاباً مناهضاً للاستعمار يرفض تصوير المرأة الفلسطينية كضحية فقط، بل كفاعلة وكمقاومة في النضال الوطني والاجتماعي، مع التركيز على تجارب النساء في تفاصيل العمل المقاوم المرئي منه واللامرئي، سواء كنا ناشطات سياسيات، أو مقدمات للرعاية في ظل انهيار النظام الصحي والاجتماعي.

ورغم الصعوبات، تُبرز الروايات النسائية دور النساء الفلسطينيات كصانعات حياة ومقدّمات رعاية في مجتمع مشرد، مع الإشارة إلى المبادرات النسوية المحلية لتنظيم الإغاثة، وتوثيق الانتهاكات، والحفاظ على الحياة اليومية تحت الحصار. لقد حملت صور النساء وهنّ يرعين أوراق المقدنوس والملوخية في أركان الخيام المقطعة وتحت زئير الرعد والأمطار التي أنهكت الغزاويين في شتاءين قارسين. لقد أينعت الأمطار حشائش رعتها النساء فكانت خضرا للحساء و ضمائد للجرحى.

وفي نهاية المطاف، تتبنى الرؤية النسوية العربية في سياق غزة عدالة ثورية تربط بين الاحتلال الإسرائيلي، والنظام الأبوي، والنيوليبرالية العالمية التي تكرس الفقر والهشاشة الاقتصادية. فاللاجئات والناجيات من العدوان يعانين من اضطهاد مزدوج؛ كفلسطينيات تحت الاحتلال، وكنساء في مجتمعات ذكورية.

لذلك تدعو الحركات النسوية إلى توفير دعم نفسي واجتماعي للنساء الناجيات، بالإضافة إلى تعزيز شبكات الدعم المجتمعي التي تقودها النساء.

كما وجب الانتباه إلى أهمية تفكيك الخطاب الإعلامي الاستعماري الذي يبرر الارهاب ضد الفلسطينيين تحت ذرائع أمنية، و يتجاهل المعاناة الإنسانية للنساء والأطفال وكبار السن، مع ضرورة كشف النفاق العالمي الذي يدّعي الدفاع عن حقوق المرأة في سياقات معينة ترتبط بمصالح قوى كبرى ومتنفذة، بينما يصمت أمام الجرائم والفظاعات التي تُرتكب بحق النساء الفلسطينيات.

إن الرؤية النسوية الثورية تقدم فهماً أشمل وأدق للمقاومة، لا يقتصر على الكفاح المسلح، بل يشمل كل أشكال المقاومة الثقافية، والتعليمية، والنفسية. فالمرأة الفلسطينية التي تزرع الأرض، وتعلّم أطفالها التاريخ الفلسطيني، وتحافظ على التراث الثقافي، هي جزء لا يتجزأ من النضال ضد الاستعمار. المرأة التي تحبل وتلد و تمول المقاومة بالبشر مقاومين وأسرى، قادة في كل ساحات الفعل الوطني التحرري.

لقد أثبتت النساء مرة أخرى أنهن مركز للمقاومة والصمود، بما يشكل ضربة أخرى للمقاربات الرجعية الليبرالية منها والظلامية التي لا ترى في المرأة إلا ضلعا ثانيا وثانويا، بينا هي ضلع أصلي وأساسي وجوهري، بل هو ضلع الأضلاع.

إن نساء تونس فخورات بنساء فلسطين، نساء غزة والضفة والقدس والداخل المحتل والشتات والمنافي. فخورات وفي الآن ذاته متحرّجات من حجم الإسناد الذي كان هذه المرة دون المأمول رغم الجهد المبذول، وهو ما يعود في تقديرنا إلى تراجع الحراك النضالي في بلادنا على وقع الهدير الشعبوي الذي ادعى احتكار القضية الفلسطينية دون أن يقدم شيئا ذا معنى لشعب الجبارين الذي يخوض نضالا شاقا ضد البربرية والوحشية نيابة عنا جميعا، نيابة عن كل الإنسانية الحرة.

«الهدر الغذائي» في رمضان واقتصادات الخليج

د. منى عباس فضل ـ باحثة وكاتبة سياسية ـ البحرين

في مشهديّة المجتمع الخليجي اليوم تبرز ثقافة الاستهلاك والتبذير في ظاهرة مجتمعيّة لا يمكن التغاضي عنها، وفي السياق تفعل العولمة فعلها بقوة في صياغة تجلياتها المتمثلة في الابتذال والبهرجة التي تنعكس على سلوكيّات الأفراد واتجاهاتهم، لتشكل بحق نموذجًا من «ثقافة التفاهة»؛ تمامًا كما حللها «آلان دونو» في كتابه «نظام التفاهة».

فالمجتمع يكشف عن مظاهر جوفاء محملة بحقائق ذات أبعادٍ خطيرة على مستقبل بلداننا واقتصاداتها، وتبعًا لمنصة «إيكومينا» المختصة بالبيئة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط؛ لم يعد أمر «الهدر الغذائي» مجرد عادات مجتمعيّة وثقافيّة بل صار مشكلة بنيويّة ذات تأثير عميق في ميزانيات هذه الدول الغنية. وماذا أيضًا؟

تفاقم الوعي الاستهلاكي

بلدان الخليج لا تزال تعيش بحبوحة «دولة الرعايّة» وسكرة الترف وتفاقم الوعي الاستهلاكي في إطار «الهدر الغذائي» الذي يستنزف اقتصاداتها المحليّة، لم لا والإنفاق على الطعام والشراب في شهر رمضان الكريم، يرتفع باطراد وبنسب دراماتيكية ما بين «200%-50%»، لاسيما مع مد موائد الإفطار العامة والخاصة، وعلى الرغم مما تعكسه هذه الموائد من روح التعاضد والتواصل الاجتماعي في مجتمعاتنا المحليّة؛ إلا إنها من أسف مقترنة بهدر كبير للطعام والشراب. في هذا الصدد؛ يشير خبير اقتصادي «بأن متوسط إهدار الفرد في هذه البلدان يزيد عن المتوسط العالمي البالغ «90 كيلوغرامًا» للفرد، ليصل إلى «184 كيلوغرامًا» حيث تقدر قيمة الهدر بدول الخليج مجتمعة قرابة «20 مليار دولار» سنويًا، وفي تقارير حديثة أخرى تصل إلى النسبة «30%» والرقم بالطبع يتضاعف في الشهر الفضيل كما تؤكده الشواهد؟

لدى مراجعة التقارير والتحقيقات؛ تبين أن ظاهرة «الهدر الغذائي» بأرقامها ومؤشراتها فاقعة وصادمة؛ وتمثل معضلة اقتصاديّة وبيئية خطيرة في بلدان التعاون؛ فالخسائر لا تقتصر على الموارد الفرديّة، وإنما تمثل إهدارًا لموارد الدول وتؤدي إلى خسائر تقدر بمليارات الدولارات، لكن المفارقة هنا تكمن من كون هذه البلدان تستورد أكثر من «98%» من احتياجاتها الغذائية؛ ما يعني تحمل تكاليف باهظة وخسائر ماليّة واستنزافًا وهدرًا مناخيًا أيضًا؛ لماذا؟ لأن نفايات الطعام المهدور المعد للاستهلاك في المنازل والمتاجر والمطاعم مآلها إلى صناديق النفايات، والمثير للأمر أن نسبة «60%» منها مصدرها البيوت؛ وحسب خبراء البيئة فهي تمثل أحد مصادر انبعاث الغازات الدفينة التي تلوث المناخ وترفع من نسب الاحتباس الحراري. وتبعًا للأبحاث؛ بلدان الخليج تتحمل مسؤوليّة «10%-8%» من غازات الاحتباس الحراري العالمي، وهي تُصنف من أعلى معدلات الهدر عالميًا من حيث نصيب الفرد. من كل هذا وذاك؛ تقف وراء هذه «الظاهرة الاجتماعيّة» الخطيرة دوافع وأسباب

تناولتها مراكز الدراسات والأبحاث بالتفصيل؛ وقبل الخوض فيها؛ لندقق النظر فى بيانات «الهدر الغذائي» المرعبة.

بيانات مرعبة

في دراسة حديثة لمعهد «الموارد العالمية الأمريكي»؛ قدرت تكلفة «الهدر الغذائي» في السعودية وحدها بحوالي «10.7 مليار دولار» سنويًا، وذكرت بأن هذا الرقم يتفاقم في شهر رمضان بنسب تتراوح ما بين «100%-50%»، وإن السعودية تأتي في المرتبة الأولى من حيث الهدر الذي وصل معدله عام 2021 إلى «184 كيلو غرامًا» من الطعام للفرد سنويًا وبتكلفة «40 مليار ريال سعودي»، وبالتالي فهي تفوق ضعف المعدل العالمي حسب دراسة رسميّة «للمؤسسة العامة للحبوب»، أما بحث مشابه أعدته مجلة

«ذي إيكونوميست» البريطانية فيشير، إلى إن نسبة الهدر فيها تبلغ «33%» أي نحو «8 ملايين طن سنويًا»؛ فيما قدرت «الهيئة العامة للإحصاء السعودية» بأن ما يهدره المواطن السعودي سنويًا يصل إلى «427 كيلوغرامًا من الطعام، وتكلف فاتورة «الهدر الغذائي» نحو «13 مليار دولار سنويًا!»، ووفق تقديرات «وزارة البيئة والمياه والزراعة السعودية»، فإن هدر المملكة من الدقيق بلغ «917 ألف طن»، و«557 ألف طن» من الأرز، و«22 ألف طن» من اللحوم، و«13 ألف طن» من لحوم الإبل، و«41 ألف طن» من لحوم الأبقار، و«444 ألف طن» من لحوم الدواجن، و«69 ألف طن» سنويًا من الأسماك، ونحو «600 ألف طن» من الخضروات.

أما البحرين فقد صنفت بالثانية عام 2020 وبمعدل هدر للطعام وصل إلى «132 كجم» للفرد سنويًا تبعًا لتقرير «مؤشرات هدر الغذاء» في برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) وبمجموع «230 ألف طن سنويًا» بتكلفة تفوق «100 مليون دينار سنويًا»، وفي تقارير حديثة مماثلة، بلغ حجم الهدر اليومي للطعام «400 طن، بما يعادل «146 ألف طن» سنويًا، بقيمة «251 مليون دولار»، وفي شهر رمضان وصل إلى «600 طن» يوميًا، حسب جمعية «حفظ النعمة». وفي الإمارات التي تعد الرابعة عالميًا فأن نسبة «38%» من الطعام المعد فيها مصيره النفايات التي تقدر بحوالي «3.27 ملايين طن» سنويًا، وترتفع النسبة ما بين «60%-40%» في شهر رمضان؛ وحسب تقارير أخرى؛ فهي تهدر ما يتجاوز قيمته الـ«2.7 مليار دولار»، وإن الفرد الواحد بالدولة يهدر «179 كيلو غرامًا من الطعام سنويًا».

كذلك سجلت الكويت وفق تقرير لقناة (CNBC) يستند إلى بيانات من إدارة شؤون البيئة؛ بأن «الهدر الغذائي» يقدر بنحو «مليون و528 طنًا سنويًا» ويبلغ نصيب الفرد منه حوالي «95 كيلو غرامًا»، وبحسب رصد لـ«الخليج أونلاين» يستند فيه إلى بيانات رسمية أيضًا فأن معدلات الاستهلاك للمواد الغذائية ترتفع بنسبة «40%» خلال شهر رمضان، فيما تبلغ كمية الطعام المهدور سنويًا في قطر «1.4 مليون طن» حسب برنامج «أصدقاء الطبيعة القطري» وبشكل عام ترتفع نسبة الاستهلاك في رمضان للسلع إلى «20%»؛ فيما أفادت بيانات سلطنة عُمان بأن قيمة الغذاء المهدور وصلت إلى «300 مليون دولار سنويًا.

تأثيرات وأبعاد متناقضة

وعلى النقيض مما يجده بعض المحللين الاقتصاديين من إن الاستهلاك المرتفع للطعام يحقق على المدى القصير معدلات إيجابية على الحركة التجاريّة في بلدان الخليج وعلى ارتفاع مداخيل تجارها، إلا إن تأثيراته البعيدة برأي أغلبهم يستنزف سيولة اقتصادات بلدان الخليج لمصلحة البلدان المنتجة للمواد الاستهلاكيّة، خصوصًا وقد سبق الإشارة إلى إن هذه البلدان تستورد أكثر من «98%» من احتياجاتها من الخارج، حيث وصلت قيمة الواردات الغذائية لها في عام 2023 إلى «61 مليار دولار» مقارنة بـ«30 مليار دولار» في عام 2016، كما يتوقع تقرير لشركة «آلبن كابيتال» في 2023 أن ينمو استهلاك الغذاء في دول التعاون بمعدل نمو مركب نسبته «2.8%» ليصل إلى «56.2 مليون طن بحلول 2027.

عند إمعان النظر في ظاهرة «الهدر الغذائي» وتأثيراتها على اقتصاديات بلدان مجلس التعاون الخليجي؛ ثمة أسباب يستوجب التركيز عليها من منظور تحليلي؛ لاشك أن الأسباب تتعدد وتتنوع، من جهتها تشير «مؤسسة المهندسين الميكانيكيين» البريطانية في تقرير لها إلى إن المواد الغذائية أصلاً معرضة للتلف بسبب سوء التخزين، وصرامة الإلتزام بموعد الصلاحية، وعروض البيع بالجملة، وعادات الاستهلاك السيئة، وترفع بعض المستهلكين عن الشراء بسبب شكل المنتج... إلخ، بيد إنه وفي بلدان الخليج يبقى السبب الأبرز يتمثل في هشاشة السلوك الاجتماعي الاستهلاكي وإلى ارتفاع المداخيل والقدرة الشرائية نسبيًا عند شعوب المنطقة التي تنفق أموالاً طائلة على شراء المواد الغذائية، بأكثر من حاجتها، وطبيعة تناول وإعداد الأطعمة بكميات كبيرة مبالغ فيها بالولائم وحتى في الوجبات الاعتياديّة، إضافة إلى النمو السكاني الذي بلغ «0.8%» عام 2021 حسب المركز الإحصائي لدول مجلس التعاون.

وثمة من يعزو «ظاهرة الهدر» والإفراط في النزعة الاستهلاكيّة في رمضان إلى العادات والتقاليد المتوارثة؛ لكن الأمر أبعد من ذلك بكثير؛ إذ تفاقمت النزعة مع متطلبات العولمة وأسواقها وانعكاساتها التي أنتجت انفتاحًا لا حدود له وتزييفًا للقيم وأنماطًا للسلوك وتنافسًا مُفرطًا خاضعًا لرأس المال وفلسفة الاستهلاك التي تمظهرت بين الفنادق وفي الأسواق والإعلانات والدعايات للمطاعم وأسواق «الهايبر ماركت» حيث تتزاحم الأسر الخليجيّة على الشراء بكميات مُفرطة من الأغذية واحتياجات السفرة الرمضانيّة من الضروريات والكماليّات التي قد لا يستخدمون أغلبها وليسوا بحاجة إليها، في اتجاه يعبر عن ضعفًا في أنماط سلوك التسوق العشوائي عند الأفراد وعدم قدرتهم على التحكم في الشراء، إلى جانب مظاهر البذخ والإسراف على الموائد والتباهي بتقديم ما لذ وطاب في الوجبات الرمضانية حيث أصبح ذلك معيارًا للقيمة والوجاهة الاجتماعيّة في التباري والتباهي الاستهلاكي سواء أكانوا في وضع مادي مترع أم في وضع معيشي متوسط مما يضعهم كأفراد في مأزق مادي لتلك المظاهر والسلوكيّات، ومما فاقم من هذه الحالة دخول «السوشيال ميديا» على الخط، حيث التصوير والعروض الترويجية التي لا تتوقف لتحضير الوجبات والموائد ونشرها في حسابات التواصل الاجتماعي.

خلاصة الأمر؛ تقف بلدان الخليج اليوم أمام تحديات كبيرة ومنظورة؛ تتطلب أخذ مبادرات جادة تعمل على تحقيق «الأمن الغذائي» والحد من ظاهرة «الهدر» وهذا يتطلب العمل على تغير الثقافة الاستهلاكيّة المجتمعية الباذخة حيث الكماليّات تتحول إلى ضروريات، وإلى اعتماد سياسات عامة وتشريعات تكثف الوعي على ضرورة ترشيد الإنفاق الاستهلاكي.

فلسطين تفرض نفسها على الانتخابات الأمريكية رغم كل محاولات الإقصاء (3-3)

د. رباب ابراهيم عبد الهادي
المديرة التأسيسية للبرنامج الأكاديمي لدراسات الجاليات العربية والمسلمة في المهجر

الاستمرارية والتغيير في السياسات الأمريكية

هناك قواسم مشتركة ما بين ترامب وبايدن\هاريس تستند إلى قاعدة كونهما يمثلان مصالح الطبقة الحاكمة والمتسلطة في الولايات المتحدة ولو اختلفا في تنفيذ وفلسفة إدارة المشروع الرأسمالي الإمبريالي فيما بينهما. فلم يخيب بايدن الظن في فساده واستغلال سلطته لمصالح شخصية حيث اتخذ قراراً بالعفو الرئاسي عن ابنه كما فعل ترامب تجاه حلفائه وأصدقائه في ولايته الاولى وفعلاً قام بذلك في اليوم الثاني لتولي ولايته الثانية فقد عفا عن 1600 متمرد حاولوا يوم 6 يناير\كانون الثاني 2020 الانقلاب على السلطة بالولايات المتحدة بناء على رفضهم لنتائج الانتخابات التي كسبها بايدن. وفق ذلك اعتبرهم ترامب شهداء وبهذا فقد قلب السردية التي أجمع عليها صناع السياسة في السلطات الثلاث القانونية والتشريعية والتنفيذية.

وبالنسبة للسياسات الإمبريالية التي تهدد السلم العالمي وتؤجج نار الشوفينية والعداء العالميين فقد اتفق الاثنان بما في ذلك التنافس الإستراتيجي مع روسيا والصين والذي كان سياسة أمريكية من ولاية أوباما وبالأخص العداء للصين وتعزيز الوجود العسكري الأميركي شرق آسيا وفرض الرسوم الجمركية على الصادرات الصينية.

بينما اختلف ترامب عن بايدن بعدائه المكشوف للدول الأخرى لتطبيق شعاره «لنجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى» فأعلن عن فرض الرسوم الجمركية بنسبة 25% على المكسيك وكندا التي ترتبط الولايات المتحدة معهما اتفاقية نافتا NAFTA و 10% على الصين. ولكن هذه الدول تصدت له بالمرصاد. فأعلنت رئيسة المكسيك كلوديا شاينبوم أن حكومتها ستقابل السياسات الأمريكية بالمثل وتفرض الرسوم الجمركية على كل الصادرات المكسيكية إلى الولايات المتحدة والواردات الأمريكية كذلك كما ذكرت ترامب بالمصالح التجارية الأمريكية في بلادها.

وقد هدد ترامب بإبعاد ملايين المهاجرين بأرقام لم يشهدها العالم من قبل. فأرسل إلى كولومبيا طائرتين على متنهما مهاجرون رفضت في البدء استقبالهم ولكنها بالنهاية رضخت تحت شروط واتفاقيات. كما هدد بترحيل المهاجرين إلى قاعدة غوانتانامو العسكرية التي تحتلها الولايات المتحدة على أراضي كوبا. ويجدر بالذكر هنا أن رغم سمعه أوباما بالتعاطف مع المهاجرين والتي ما هي إلا خرافة أمريكية أخرى فقد أبعد أوباما أعداداً من المهاجرين أعلى مما أبعد ترامب خلال ولايته الأولى.

وبينما اختلف ترامب عن بايدن بسحب الولايات المتحدة عن تعهدات اتفاقية باريس للبيئة فقد تقاعس بايدن عن إلغاء سياسات ترامب العدوانية تجاه كوبا فاستمر بتشديد الحصار الاقتصادي ورفض إلغاء تعريف كوبا كدولة مساندة للإرهاب حتى آخر أسبوعين من رئاسته الأمر الذي ألغاه ترامب بمجرد انتقاله إلى البيت الأبيض. واتفق الطرفان بأولوية استمرارية الهيمنة الأمريكية العالمية بينما اختلف ترامب عن بايدن بإصرار الأول على سياسة انعزالية تلتزم

بمحدودية للحروب الخارجية يشير إلى أنه بينما قد يقوم ترامب ببعض التحولات الحادة في السياسات، خاصة تجاه روسيا وأوكرانيا، فإن تعقيدات السياسة العالمية من المرجح أن تؤدي إلى استمرار أكثر من التغيير في نهجه.

أما بالنسبة إلى تعامل قيادة بايدن و ترامب مع القضية الفلسطينية، بينما اتخذ ترامب موقفاً أكثر صرامة في دعم إسرائيل، فإن بايدن لم يلغِ سياسات ترامب في حكمه الماضي الاعتراف بالقدس كعاصمة للاحتلال الإسرائيلي ونقل السفارة الأمريكية إليها، وإقامة علاقات التطبيع بين إسرائيل وعدد من الدول العربية. وتصاعد الدعم الأمريكي السياسي والدبلوماسي والعسكري كلما تصاعدت حملة الإبادة الجماعية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني. ولم يختلف بايدن وترامب في عدائهما لإيران وتشديد الحصار والعقوبات الاقتصادية وتشريع الاغتيالات والهجمات العسكرية الصهيونية ضده إلى جانب العديد من المؤشرات بما فيها التوسع الصهيوني واحتلال أراضٍ عربية سورية.

هذا يعكس كيف سارعت إسرائيل بالتهليل لنتائج الانتخابات الأمريكية والتسريع في عملية قضم الأراضي والاستيطان، مما يعزز موقفه القديم-الجديد حول شرعية المستوطنات. تتناغم سياسة ترامب مع سياسات حكومة نتنياهو اليمينية في سياسة الضم، وتهويد القدس، وتعزيز مفاهيم يهودية الدولة.

وهنا نلحظ سرعة ترامب في اختيار فريقه المفضل لتشكيل إدارته الجديدة، حيث أعاد توظيف أبرز الأشخاص اليمنيين والموالين له خلال ولايته السابقة. وعلى رأسهم ستيفن ميلر الصهيوني المعادي للمهاجرين من دول العالم الثالث. سيباستيان غوركا، الصحفي المعروف بدعمه لسياسات ترامب المتعلقة بحظر اللاجئين المسلمين، ليعود نائبًا مساعدًا للرئيس ومديرًا أول لمكافحة الإرهاب بعد مغادرته البيت الأبيض سابقًا. يشتهر بتأييده الشديد لإسرائيل وإنكار وجود فلسطين، بالإضافة إلى تصريحاته الاستفزازية ضد المقاومة الفلسطينية عقب 7 أكتوبر. واختار ترامب ملياردير لقيادة وزارات اقتصادية رئيسية، مما يدلل على سعة الهوة ما بين ولائه لأصحاب الأموال وتعهده بتحسين وضع الطبقة العاملة. سكوت بيسنت، المرشح لوزارة الخزانة، وهوارد لو تنيك، المرشح لوزارة التجارة، لديهما علاقات وثيقة مع وول ستريت وساندا خطة ترامب لفرض الرسوم على الواردات. كما سيقود إيلون ماسك رافع التحية النازية وفيك راماسوامي «وزارة كفاءة الحكومة»، وهي مبادرة جديدة تهدف لتقديم مشورة المسؤولين الفيدراليين بعد طرد مجموعة منهم وتقليص الحكومة.

وتم ترشيح مايك هاكابي حاكم ولاية أركنساس السابق لمنصب سفير أميركا في إسرائيل، يعكس النفوذ المتزايد للصهيونية المسيحية في السياسة الأمريكية، خصوصًا داخل الحزب الجمهوري. فهو مهندس التحالف المسيحي لدعم إسرائيل ((CUFI (Christian Coalition for Israel)) مما أدى إلى «احترافية» ساعدت في تعزيز نفوذها بواشنطن، وفقًا للمؤرخ دانيال هوميل والتي أثرت على قرارات كبرى، مثل نقل السفارة الأمريكية إلى القدس وتعيين ديفيد فريدمان سفيرًا. ترشيح هاكابي يعزز هذا الإرث، حيث أصبحت مواقف الدعم لإسرائيل مطلبًا أساسيًا للمرشحين الجمهوريين الجادين.

وتظهر نوايا ترامب جليّة في ترشيحاته وتعييناته من ستيفن ميلر مستشارًا أولاً وكاتبًا لخطاباته، إذ يعرف ميلر بعدائه للمهاجرين المسلمين وتأييده للفصل بين أطفال المهاجرين وعائلاتهم. أما الصحفي سيباستيان غوركا العائد لقواعده السابقة مساعدًا للرئيس ومديرًا أولاً لمكافحة الإرهاب، فهو ينكر الوجود الفلسطيني والمؤيد - حتى النخاع- للكيان الصهيوني ومعروف بآرائه عن حظر الهجرة من الدول ذات الأغلبية المسلمة. كذلك أضاف ترامب مجموعة كبرى من التعيينات ممن خدموا في المناصب العليا خلال إدارته الأولى. تم اختيار بعضهم بأدوار تتعلق مباشرة بوظائفهم السابقة. على سبيل المثال، كان توماس هومان المدير بالإنابة لخدمة الهجرة والجمارك الأمريكية (ICE) خلال ولاية ترامب الأولى، وقد تم تعيينه الآن لمنصب «القيصر الحدودي»، وهو منصب لا يتطلب تأكيدًا من مجلس الشيوخ.

خلال حملته الانتخابية، نفى الرئيس المنتخب دونالد ترامب علاقته بـ»مشروع 2025»، الذي يهدف لإعادة هيكلة الحكومة الفيدرالية. لكنه الآن يعين داعمين للمشروع للإشراف على قضايا رئيسية مثل الميزانية والاستخبارات والهجرة، كرسل فوتر، أحد مؤلفي مشروع 2025، لقيادة مكتب الإدارة والموازنة، و ستيفن ميلر وتوماس هومان، وكلاهما متورط في المشروع الذي يوصي بإنشاء معسكرات احتجاز وإلغاء القيود على الاعتقالات في المدارس والكنائس. ورغم علاقة ترامب الوثيقة مع القائمين على «مشروع 2025» فقد كان نشر ترامب في يوليو 2024 أنه لا يعرف من يقف وراء المشروع.

بالإضافة إلى التشكيل الذي باشر به ترامب في حكومته القادمة، والمشروع 2025 المحتمل، فإن عوامل أخرى تثير القلق من الأربع السنين المقبلة. فقد وافق مجلس النواب الأمريكي في 21 نوفمبر 2024، على تشريع يسمح للحكومة بسحب الإعفاء الضريبي للمؤسسات غير الربحية التي تتهمها المؤسسات الصهيونية بدعم المنظمات الفلسطينية التي تقدم «دعماً مادياً للإرهاب.» ومما يؤكد على تواطؤ الديمقراطيين والجمهوريين في دعم الأجندة الصهيونية أن نواب الحزبين قدموا مبادرة ثنائية بتأييد الأغلبية في المجلس في أبريل\نيسان 2024، مما أدى إلى التصويت لصالحه في لجنة الوسائل في سبتمبر. ولكن بعد انتخاب ترامب، عارض نواب الحزب الديمقراطي هذا القرار والتصويت ضده ليس حباً بالقضية الفلسطينية وإنما تخوفاً من أن يستغل ترامب هذا القانون لمعاقبة خصومه السياسيين، بما في ذلك المنظمات غير الربحية التي يعتبرها معادية له، مثل المنظمات البيئية وحقوق الإنسان.

وفي ظل استمرار حرب الإبادة

الصهيونية على غزة وإمكانيات سيادة الفاشية لا يمكن أن يستمر الليبراليون والتقدميون بالاستمرار في سلوكهم السابق والاعتماد على إمكانيات التغيير الموسمي عبر صناديق الاقتراع كل أربع سنوات. لا بد من العمل قبل فوات الأوان كون النضال ممارسة يومية طويلة الأمد تحتاج صبراً ومعنويات عالية وحراكاً جماعياً. فبدلاً من فتح بيت العزاء على خسارة البيت الأبيض الذي كان خاسراً أصلاً فربما تتعلم القيادات المخضرمة واليائسة درساً قيماً من المقاومة الفلسطينية والحراك الفلسطيني والتضامني.

استمرارية الانتفاضة الطلابية مع تغيير تعبيراتها:

إن عدوى الانتفاضة الطلابية لم تتوقف عند حدود المدن الكبرى مثل نيويورك بل امتدت كالنار اشتعلت شرارتها في جامعات في مناطق أقل صخباً رغم السيطرة التاريخية للقوى الصهيونية عليها. فعلى سبيل المثال قام ائتلاف سحب الاستثمارات في كلية سارة لورانس بمطالبة هذه الجامعة الخاصة العريقة بسحب كافة استثماراتها من الشركات المتواطئة مع عنف الدولة الإسرائيلية والفصل العنصري في فلسطين. وطالب الائتلاف الذي شكله الطلاب من أجل العدالة في فلسطين (SJP) إدارة الجامعة أن تعكس استثماراتها التزامها بالقيم الإنسانية وحقوق الإنسان العالمية بينما سلط الضوء على الأزمة الإنسانية في غزة وانتقد مجلس الأمناء لتناقض أفعالهم مع هذه القيم. وكانت الخطوة الاولى المطالبة الرئيسية هي الإفصاح الكامل عن الاستثمارات والانسحاب من الشركات المتورطة في دعم الجيش الإسرائيلي أو صناعة الأسلحة. وأكد الطلاب أن هذه المطالب غير قابلة للتفاوض وأيد الطلاب أنهم لن يسمحوا أن تمول رسومهم الدراسية «آلة الإبادة».

في محاولة لزيادة الضغط على إدارة الكلية، قام الطلاب بشهر نوفمبر باحتلال أحد مباني الإدارة وأقاموا مخيماً اعتصامياً بالمبنى. وأعلن الطلاب أن الجامعة اضطرتهم تصعيد احتجاجهم بعد مرور أكثر من عام من المحاولات لإقناع الجامعة بتلبية مطالبهم، مع تجاهل الإدارة لها. على الرغم من أن الكلية تقع في مقاطعة ويستشستر وهي ضاحية ثرية تعد إحدى القواعد الصهيونية المنظمة العنصرية والشرسة والأقل نشاطاً تضامنياً فلسطينياً مقارنة بمدينة نيويورك، فقد أوضح الطلاب أن مطالبهم هي الحد الأدنى الذي لن يتفاوضوا عليه. وتجدر الإشارة أن الكلية لم تستخدم أكثر أساليب قسوة مثل جامعة كولومبيا الخاصة وجامعة نيويورك العامة إلا أنها هددت الطلاب بتعليق منحهم الدراسية وطردهم من الجامعة ولكن صمود الطلاب أرغم الإدارة بعد 24 ساعة لتقديم حماية قانونية والوعد بالاجتماع مع الطلاب لمناقشة الإفصاح عن الاستثمارات إذا غادر الطلاب المبنى. ووافق الطلاب على المغادرة، ولكن رفضوا تقويض المخيم الاعتصام الطلابي حتى تستجيب الادارة وتقدم لهم تقرير إفصاح عن استثماراتهم. وهذا ما وعدتهم به لاحقاً الجامعة.

تحدي الاستعمار الاستيطاني العنصري في فلسطين جزيرة السلحفاة

وعلى صعيد آخر احتج متضامنون مع القضية الفلسطينية مسار موكب ما يسمى «عيد الشكر» الأمريكي وهو عيد اخترعه المستوطنون للادعاء بأن أهل البلاد الأصليين رحبوا بهم على أراضيهم. ففي أكبر مهرجان تموله متاجر ميسي في مدينة نيويورك رفع المتظاهرون لافتة كبيرة عليها «فلسطين حرة» واعترضوا أفضل موقع إستراتيجي بالمهرجان أمام بالون ماكدونالدز حيث اعترض خلفهم متظاهرون آخرون رفعوا لافتات تطالب بإرجاع الأرض لأصحابها. ومن ثمة اعتصم المتظاهرون على أرض الشارع حيث اعتقلتهم الشرطة على الفور بينما كانوا جالسين في وسط الشارع.

حركة الشباب الفلسطيني تواجه أدوات الإبادة ميرسك

وقامت حركة الشباب الفلسطينية (PYM) بحملة أمريكية وعالمية استهدفت شركة ميرسك إحدى أكبر شركات اللوجستيات في العالم والتي تورطت بنقل ما يزيد عن 300 مليون دولار من مكونات الأسلحة والمعدات العسكرية إلى إسرائيل. وأطلق الشباب والصبايا الفلسطينيون الحملة بعنوان «كشف القناع عن ميرسك: استهداف عملاق اللوجستيات لدوره في الإبادة الجماعية في غزة». و قد نظمت الحملة مجموعة من الأنشطة المختلفة عبر أربع جبهات رئيسية في الحملة كوسيلة ضغط ضد ميرسك وهي الإعلام والتوعية، التعبئة والمظاهرات، العمل والنقابات، والأنشطة الطلابية والمجتمعية. وطالبت الحملة شركة ميرسك بالتوقف عن نقل الأسلحة ومكونات الأسلحة وقطع جميع العقود المتعلقة بالإبادة الجماعية في غزة، وفرض حظر على الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل.

تراجع جمعية الدراسات النسوية الأمريكية عن خرق المقاطعة الأكاديمية والتأكيد على التضامن النسوي مع فلسطين

ومن ناحيتها فقد حققت الحركة التضامنية مع فلسطين انتصاراً آخر في صفوف الحركة النسوية الذي عكس تراكم عقود من النضال خاضتها النساء الفلسطينيات وخصوصاً اتحاد جمعيات المرأة الفلسطينية في أمريكا الشمالية (1986-1995) وتصدر التجمع الفلسطيني النسوي قيادة النضال منذ 7 اكتوبر 2023 حيث كثف نشاطه بالمظاهرات وجمع التبرعات وإصدار البيانات وأهمها بيان العهد ضد الابادة الجماعية الذي طالب التجمع وحصل بالفعل على توقيع الآلاف- الأمر الذي كان ضرورياً في ظل الدعايات الصهيونية التي زعمت أن المقاومة الفلسطينية قامت باغتصاب النساء الاسرائيليات خلال طوفان الأقصى. ومن ناحية أخرى فقد اتخذت القيادة الجديدة لجمعية دراسات المرأة في الولايات المتحدة المتمثلة برئيستها د. هايدي لويس ومديرتها العامة د. كريستيان كونتريراس

موقفاً واضحاً وحاسماً بإدانة حرب الإبادة الجماعية الصهيونية على غزة. وقد كان هذا الموقف متوقعاً بالماضي حيث كانت الجمعية قد صوتت عام 2015 بأغلبية الثلثين لصالح قرار المقاطعة BDS وأكدت أن فلسطين قضية نسوية ولكن رئيسة الجمعية السابقة كانت تنتمي إلى جماعات الصهيونية المسيحية كما اتضح لاحقاً وقامت بزيارة الأراضي المحتلة على أساس أنها أراض وبلدات إسرائيلية «جميلة» ولم تتطرق من قريب ولا بعيد إلى الشعب الفلسطيني الذي تتضامن معه الجمعية التي تقودها ولا إلى مقاطعتها لكيان مستعمر فضربت بعرض الحائط مواقف الجمعية الديمقراطية. ولم تكتفِ بإصدار رسالة اعتذار واهية في وسط حرب الإبادة الجماعية على غزة وإنما تواطأت مع عضوات أخريات لإصدار بيانات خاطئة في ذكرى النكبة وأخرى تعتبر أن مناهضة الصهيونية تضر بتحرر المرأة. ولهذا فقد قام تجمع النسويات من أجل العدالة في فلسطين مطالبة الجمعية قيادة وقاعدة برفض مواقف الرئيسة السابقة علنياً والتأكيد على التضامن التام والشامل مع فلسطين ليس بالكلام فقط وإنما بالفعل عبر مجموعة من الخطوات العملية التي تثبت مصداقيتها. والجدير بالذكر أن تجمع النسويات من أجل العدالة في فلسطين تألف عام 2014 ويضم العضوات اللواتي قدن حركة المقاطعة داخل الجمعية حتى التصويت عام 2015. وتجاوبت القيادة الجديدة مع هذه المطالب وبياناتها في صفحتها الإلكترونية الرئيسية بشكل صريح وواضح وربطت الحركة السوداء الراديكالية بالتحرر الفلسطيني وخصصت الجلسة الرئيسية لمؤتمرها الرئيسية لنضال المرأة الفلسطينية وساندت عقد معهد خاص لأساتذة الجامعات والكليات للتدريب حول تدريس فلسطين وإدراجها في المناهج الأكاديمية وحددت ثلاث ندوات رئيسية عن مواضيع خاصة بفلسطين. وبهذا كان مؤتمر جمعية دراسات المرأة المنعقد في مدينة ديترويت بعد بضعة أيام من الانتخابات الأمريكية مهرجاناً تضامنياً نسوياً مع الشعب الفلسطيني وكفاح المرأة الفلسطينية بعد ازدراء كاملا هاريس لهموم الشعب الفلسطيني ورفض إدانة الإبادة الجماعية ووقف شحن أسلحة الموت الأمريكية وترويج الدعايات الصهيونية الكاذبة عن المقاومة الفلسطينية.

لقاء إدارة ترامب مع حماس.. التوقيت والدلالات

حمزة البشتاوي - كاتب وإعلامي فلسطيني لبنان

بعد أن أرسلت الإدارة الأمريكية الشريكة في بداية حرب الإبادة على قطاع غزة سفينة القيادة والسيطرة التابعة للأسطول السادس (ماونت ويتني) وحاملتي الطائرات (يو أس أس أيزنهاور) ومجموعة السفن الحربية التابعة لها والحاملة (جيرالد فورد) ومن ثم إرسال أنظمة دفاع صاروخية مثل نظام (ثاد) وبطاريات (باتريوت) ووحدات خاصة من قوة (دلتا)، قامت بإرسال مبعوثها لشؤون الرهائن آدم بولر بعد أن أصبح إطلاق الأسرى الإسرائيليين لدى المقاومة في قطاع غزة بالقوة العسكرية أمراً مستحيلاً، ولهذا السبب وقبل أن يمنح ترامب نتنياهو الضوء الأخضر للعودة مجدداً إلى الحرب بدعم قوي وانسجام بالرأي والأسلوب لدفع حماس إلى القبول بخطة ويتكوف عبر الضغوط العسكرية والنفسية، سبقها عقد بولر إجتماعات مباشرة مع قيادة حركة حماس في الدوحة، بعد أن كان ترامب يهدد بفتح أبواب الجحيم على حماس وقطاع غزة، لكن أبواب الجحيم لم تفتح في ذلك الوقت وفتحت بدلاً عنها أبواب المباحثات المباشرة والتفاوض مع إدارة ترامب، وهذا ما اعتبرته حماس حينها فرصة لكسر محاولات نتنياهو التهرب من تنفيذ المرحلة الثانية من اتفاق تبادل الأسرى ووقف إطلاق النار، وكان من الممكن يؤدي هذا التفاوض المباشر الذي لا ترفضه حماس في أدبياتها إلى تحقيق نتائج على صعيد إنهاء الحرب ولكنه لم ينتهي إلى هذه النتيجة، ومع ذلك ترى حماس بأن هذا المسار مهم بتوقيته ودلالاته باعتباره نقطة تحول مهمة بعد الفشل الإسرائيلي في الحرب والمفاوضات والعودة مجددا لارتكاب المجازر بحق الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، و الأهمية مرتبطة بعدم تقديم تنازلات في المباحثات المباشرة التي جرت من دون قنوات خلفية أو شخصيات غير رسمية كما كان يحدث سابقاً.

والمطلوب من حماس في التواصل مع إدارة ترامب خلال المرحلة المقبلة الحذر من الإنزلاق إلى مفاوضات تستهدف التوصل إلى إتفاق جديد، وأن تتمسك باستكمال تنفيذ الإتفاق الذي تم التوقيع عليه بحذافيره، خاصة وأنها تظهر الكثير من المرونة التكتيكية لإدراج مقترح مبعوث ترامب للشرق الأوسط ستيف ويتكوف ضمن المرحلة الثانية من الإتفاق أو التعامل معه باعتباره مرحلة من المراحل التي قال عنها آدم بولر أن أهميتها تكمن في العرض الذي قدمته حماس ويشمل إطلاق جميع الأسرى الإسرائيليين لدى المقاومة في هذه المرحلة بين المراحل مقابل هدنة تتراوح مدتها بين خمس وعشر سنوات، وهذا العرض ما زال موجوداً على الطاولة طالما أن الباب ما زال مفتوحاً لعقد المزيد من الإجتماعات بين حماس وإدارة ترامب وفق عدة تقديرات، وذلك بهدف إنهاء الحرب على قطاع غزة، على أن تكون البداية بحل قضية الأسرى الإسرائيليين الذين يحملون الجنسية الأمريكية، مقابل بدء مفاوضات المرحلة الثانية التي تشمل الإفراج عن كل الأسرى الإسرائيليين مقابل وقف دائم لإطلاق النار وانسحاب شامل لجيش الإحتلال.

و مازلت الإدارة الأمريكية الشريك الأساسي في الحرب تدعي دور الوسيط مع تركيز خاص على إطلاق الأسرى الإسرائيليين الذين يحملون الجنسية الأمريكية، وهذا يندرج ضمن إختصاص آدم بولر كمبعوث لشؤون الرهائن، ولكن بولر لم يكتفي بذلك بل تطرقت مباحثاته مع حركة حماس كما قال إلى بحث هدنة طويلة الأمد، وهذا الأمر لا يتوقع أن ترفضه حماس التي تريد صفقة شاملة تنهي الحرب التي يعود نتنياهو إليها مجددا بهدف تعطيل الإتفاق خاصة فيما يتعلق بالمرحلة الثانية.

وفيما يتعلق بالتوقيت والدلالات فإن محادثات إدارة ترامب مع حركة حماس تعني إعترافاً صريحاً وإدراكاً لأهمية دور حماس وتأثيرها في المعادلة السياسية والعسكرية الفلسطينية خاصة في قطاع غزة، وصعوبة تجاوزها إضافة لعدم

إمكانية القضاء عليها ومنعها من أن تكون موجودة في غزة، وما سبق يفتح الباب للحديث عن اليوم التالي للحرب وسط إعتراف ضمني أميركي إسرائيلي بالفشل في تحقيق الأهداف من خلال الحرب، وهذا ما دفع إدارة ترامب بطلب اللقاءات المباشرة مع حماس والتي كانت قد توقفت منذ العام 1997، وكذلك مع منظمة التحرير الفلسطينية التي يعترف بها العالم بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني منذ العام 2018.

ولكن ترامب قرر أن يتعامل مع القوة الموجودة في غزة والتي تمسك بزمام الأرض وما فوقها وما تحتها وتقوم بالإحتفاظ بما لديها من الأسرى وتملك قرار الإفراج عنهم أو ابقائهم لديها إلى حين التوصل إلى إتفاق، دون أن ترضخ لأي تهديد خاصة من قبل ترامب الذي تراجع عن كل تهديداته وراح يدافع عن التفاوض المباشر مع حماس حين قال: نحن لا نفعل أي شيء فيما يتعلق بحماس نحن لا نقدم المال يجب عليك أن تفاوض، وهناك فرق بين الدفع والتفاوض، نحن نريد الإفراج عن هؤلاء الرهائن. وهذا الكلام ينسجم مع خلفية وأسلوب ترامب كرجل صفقات وعقارات، ولكن الإشارة الأهم من وراء هذه التهديدات التصريحات انها أظهرت ضعف قوة الردع الأمريكية و الإسرائيلية أمام الشعب الفلسطيني ومقاومته.

وكانت المباحثات المباشرة بين إدارة ترامب وحماس التي لم تقل يوماً بأنها لن تتفاوض مع واشنطن قد حصلت في وقت تراجع فيه دور معظم النظام الرسمي العربي تجاه القضية الفلسطينية، ولا يتوقع أن تقبل حماس كل طروحات إدارة ترامب التي لم تأتي على ذكر الضفة الغربية إلا بما يخدم السرديات الإسرائيلية، وتركز على غزة في مسارات تنتقص من حقوق الشعب الفلسطيني مع إنحياز مطلق لما يريده اليمين الأكثر تطرفاً في حكومة نتنياهو، ولذلك يمكن القول بأن المفاوضات المباشرة التي جرت مع حركة حماس لم تحمل أبعاداً استراتيجية أو جيو سياسية، بل مجرد مناورة تكتيكية تهدف إلى اظهار ترامب أمام الرأي العام في مظهر الحريص على وضع المصالح الأمريكية والإسرائيلية فوق أي إعتبار، وعلى حساب الدم الفلسطيني والعودة مجددا إلى الحرب وأبواب الجحيم والتفاوض تحت النار.

رسالة ترامب الى إيران: تهديد سياسي ام عسكري!!

كاظم الموسوي باحث سياسي وأكاديمي عراقي

أثارت رسالة الرئيس الاميركي دونالد ترامب الى القيادة الايرانية، والموجهة بأسم قائد الثورة السيد علي خامنئي لغطا واسعا في وسائل الاعلام وخاصة الناطقة بالعربية، او التي تاسست اساسا لشن حروب الاعلام على الجمهورية الاسلامية في إيران. ومنذ وصول رسالة ترامب واستلامها في طهران عبر طرف عربي، هو هذه المرة، الجار لايران في الساحل المقابل من الخليج، دولة الإمارات العربية، والتي سربت اجزاء منها، او الاصح فبرك منها ما يراد او يتفق مع كل اعلان خبري من مصادر مكلفة بواجبها، لا تذكر لوسائل الاعلام الا ما هو مطلوب منها، دون تاكيد من المرسل او المستلم لتلك الرسالة. وكان ترامب اول المتحدثين عن رسالته قبل ايام من وصولها الى ايران. حيث صرح في مقابلة تلفزيونية مساء (7/3/2025)، بأنه كتب رسالة إلى «المرشد الإيراني علي خامنئي في محاولة لإطلاق محادثات بشأن البرنامج النووي لإيران». ولم يصدر عن الجانب الايراني اي خبر عنها.

لكن المتحدث باسم الخارجية الايرانية اسماعيل بلقائي صرح يوم (17/3/2025) عن استلام رسالة ترامب ولا نية لنشر فحواها، وما يتم تداوله ليس دقيقا، لافتا الى ان « الولايات المتحدة لم تكن وفية لالتزاماتها». واضاف ان محتوى رسالة ترامب لايران مماثل لتصريحاتها العلنية، وان الرسائل التي نتلقاها من إمريكا متناقضة.

اما وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي فرأى أن الرسالة التي بعث بها الرئيس الأميركي دونالد ترامب الى الجمهورية الإسلامية بشأن برنامجها النووي هي "أقرب الى تهديد"، وأن طهران سترد عليها خلال فترة قريبة. وقال عراقجي في تصريحات للتلفزيون الرسمي إن الرسالة تزعم توفير "فرص"، لكنها كانت "أقرب الى تهديد"، مشيرا الى أن إيران تقوم حاليا بدراستها وسترد عليها "خلال الأيام المقبلة".

وصف القائد خامنئي دعوة ترامب للتفاوض بأنها خداع للرأي العام، قائلا إذا أردنا إنتاج سلاح نووي «فلن تتمكن واشنطن من إيقافه، ونحن أنفسنا لا نريد أن نفعل ذلك». وذكر: «إن قول الرئيس الأميركي إننا مستعدون للتفاوض مع إيران ودعوته للمفاوضات هو خداع للرأي العام العالمي». وأبرز: «التفاوض مع الحكومة الأميركية الحالية لن يؤدي إلى رفع العقوبات بل سيجعل عقدة العقوبات أكثر تعقيدا». وأكد: «إيران لا تسعى للحرب، ولكن إذا أقدم الأميركيون وعملاؤهم على خطوة خاطئة، فإن إجراءات إيران المضادة ستكون حاسمة ومؤكدة، والخاسر الأكبر هو امريكا».

واضح ان محتوى هذه الرسالة، وما احاطه من فبركات الاعلام وتضليله، لم يكن جديدا، في الإستراتيجية التي اختارها ترامب منذ عهده الاول، وما ان اعلن عن فوزه في الفترة الثانية ودخوله البيت الابيض لعهد جديد ظهرت اسئلة كثيرة حول الموقف من ايران، ودورها في منطقتها، وما قام به عمليا، من تنفيذه لخطط عدوانية صريحة، كشفت عنها مصادر مطلعة، لصحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية، إنه ينوي فرض عقوبات أكبر على إيران وخنق صادراتها النفطية، ضمن «استراتيجية تهدف إلى تقويض برنامجها النووي ودعمها لوكلاء لها في الشرق الأوسط» (!). وأضافت المصادر أن الفريق الجديد الذي شكله ترامب للتعامل مع ملف إيران، «سيتحرك سريعا لاستهداف صادرات النفط الإيرانية، عبر وسائل من بينها ملاحقة الموانئ الأجنبية والتجار الذين يتعاملون مع نفط طهران». اي بمعنى إحياء الاستراتيجية التي تبناها ترامب خلال ولايته الأولى، والتي تعتمد على سياسة أطلق عليها اسم «سياسة الضغوط الأقصى» على إيران. وموقفه المعارض من المعاهدة التي تمت وصادق عليها مجلس الامن الدولي وانسحب منها، اضافة الى ارتكاباته المخططة من جرائم اغتيال الشهيدين قاسم سليماني وابو مهدي المهندس، وقيادات عسكرية وسياسية اخرى، وما يشبهها من جرائم حرب ومجازر ابادة، الى مواقفه من ممارسات وحشية، توصم ترامب وعهده الثاني، بشكل صارخ.

ومنذ دخوله البيت الابيض مرة ثانية اهتم علنا وسرا بما سمي باستراتيجية ترامب تجاه إيران، التي اكدت على أن العقوبات الاقتصادية يمكن أن تجبر طهران على الخضوع، إذ تسببت خلال فترة ولاية ترامب الأولى، في أضرار اقتصادية شديدة في إيران، مما أدى إلى خفض صادراتها النفطية إلى جزء بسيط من مستوياتها التي كانت عليها ما قبل العقوبات، وارتفعت معدلات التضخم، ومعدلات البطالة، وتراجع الاستثمار الاجنبي وتصاعدت الضغوط السياسية والاقتصادية بشكل عدواني سافر. واعترف الاعداء لايران قبل غيرهم ومن بينهم الادارة الامريكية ومستشارو ترامب، على الرغم من هذه التأثيرات الاقتصادية، في مقاومة إيران وعدم تقديم تنازلات كبيرة، وبدلاً من ذلك، ضاعفت برنامجها لتخصيب اليورانيوم، وسعت إلى أساليب جديدة للتهرب من العقوبات، وواصلت دعمها لكل القوى المناضلة من اجل تحررها والتصدي لسياسات الامبريالية الامريكية في الاحتلال والاستغلال والحروب والدمار، وتطوير امكاناتها الرادعة وتحالفاتها مع الدول الاخرى، مثل الصين والاتحاد الروسي وكوريا الشمالية، واعضاء مجموعات شنغهاي والبريكس ودول اخرى من امريكا الجنوبية وافريقيا، فضلا عن الاتفاقيات الأمنية وحسن الجوار مع محيطها الجغرافي.

هناك اشارات سابقة تشير الى تركيز ترامب على الملف الإيراني، حتى قبل أن يتسلم السلطة رسميا، منها مثلا، ارساله الملياردير إيلون ماسك، الذي اختاره لوزارة سميت ب»الكفاءة الحكومية» ضمن ادارته الثانية، للقاء سفير الجمهورية الاسلامية لدى الأمم المتحدة في نيويورك أمير سعيد إيرواني، وكذلك اختياره لاشخاص معادين لايران في مواقفهم وتصريحاتهم المعلنة. مثل السناتور ماركو روبيو، الذي اختاره وزيرا للخارجية، وهو يؤيد اتباع سياسة خارجية صارمة ضد إيران، كذلك مايك والتز، الذي اصبح مستشاره للأمن القومي، وكان قد دعا إلى اتخاذ موقف أكثر حزما ضد ايران. مما يعني ان الملف الايراني كان قائما وبارزا على طاولة رئاسة ترامب في البيت الابيض، وكذلك المواقف الرسمية المخططة سلفا والسعي لتنفيذها لاحقا، او ما يمكن ان يحصل في العلاقات الامريكية الايرانية والمنطقة التي تقع ايران فيها.

قبل ان ينشر خبر الرسالة الجوابية للقيادة الايرانية على رسالة ترامب، أكد وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي مسبقا ومبكرا،(2025/2/5) أن سياسة «الضغوط القصوى» التي أعاد الرئيس الأميركي ترامب فرضها ضد إيران ستنتهي بالفشل كما حدث خلال ولايته الأولى. وقال عراقجي عقب اجتماع للحكومة: «الضغوط القصوى تجربة فاشلة، وتجربتها مرة أخرى لن تؤدي إلا إلى فشل آخر»، مشددا على أن إيران لا تسعى إلى امتلاك أسلحة نووية. وبالتاكيد لا تتضمن الرسالة التي ستكون ردا ايرانيا ما هو ابعد عن الموقف الايراني الواضح من سياسات الولايات المتحدة وما نقل من تصريحات قائد الجمهورية الإسلامية في إيران ورئيس الجمهورية مسعود بزشكيان في خطابه في عيد النوروز، راس السنة الجديدة في ايران، وصولا الى تصريحات وزير الخارجية عراقجي والناطقين الرسمين باسم السلطات والوزارات المعنية بالامر، قبل وبعد رسالة ترامب.

سياسيات ترامب وادارته ضد ايران وتسميتها بالضغوط القصوى، تستهدف تجريد ايران من قوتها العسكرية والاقتصادية من خلال فرض مزيد من العقوبات، التي تعمل على حرمان إيران من الأسلحة النووية والحد من برنامجها للصواريخ الباليستية ووقف دعمها لمحور المقاومة والدول المساندة للمقاومة الاسلامية ضد الاحتلال والغزو والاضطهاد والاستيطان والتهجير والابادة الجماعية. وكان قد وقع ترامب على مذكرة بهذا الخصوص، جاء في المذكرة

تعقيدات المفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية
انكشاف النيات والأهداف الصهيو- أمريكية

د. محمد عياش - كاتب وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

بعد الإفلات الصهيوني من استحقاقات المرحلة الثانية واستبعادها أو استبدالها، باستئناف الحرب صبيحة الثلاثاء 18 / 3 / 2025 / مارس/ آذار، وجد ما يسمى رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو نفسه في وضع مريح نتيجة الضغوط التي تحيط به من كل جانب، أو بعبارة أخرى في مواجهة سبع جبهات حسب زعمه، وذلك فاسحاً المجال أمام الآلة العسكرية لتحقيق ما عجز عنه طيلة الخمسة عشر شهراً قبل توقيع الاتفاق على وقف إطلاق النار16 / 1 / 2025 بينما تمسكت قوى المقاومة بالاتفاق الذي ينص في مرحلته الثانية على وقف إطلاق النار والانسحاب الكامل، وإعادة الإعمار.

الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يعترف بتعقد القضية، ويقر بحجم الكراهية بين الطرفين، ويأمل أن تسير الأمور على ما يرام، وذلك بإرسال مبعوثه الخاص وصديق ملاعب الغولف والعقارات ستيف ويتكوف، ومدير شؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجلس الأمن القومي الأمريكي إريك تريجر، اللذان مكثا في الدوحة ثلاثة أيام متواصلة في محاولة لتجسير الهوة ورأب الصدع التفاوضي، وتقريب وجهات النظر بين طرفي الصراع، الوضع الذي نتج عنه تمديد الهدنة من المرحلة أولى إلى آخر شهر رمضان ونهاية عيد الفصح اليهودي، مع إطلاق سراح الأسير مزدوج الجنسية عيدان الكسندر بالإضافة إلى أربعة جثامين مزدوجي الجنسية أيضاً، الأمر الذي أزعج قادة الكيان الصهيوني، متهمة واشنطن بالاستفراد وتفضيل أسراها عن بقية الرهائن الصهاينة، ومازاد الطين بلّة تصريحات المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي، أدم بولر الذي وصف محادثاته مع وفد التفاوض التابع لحركة حماس بالمفيد جداً ، وزاد على ذلك بقوله، لسنا عملاء لإسرائيل ولدينا مصالح. تلك التصريحات كانت سبباً بخروجه من المشهد السياسي بعد حملة الغضب الصهيوني الفاعل في الولايات المتحدة .

رؤية الكيان للعملية التفاوضية تتمثل بوجود «إطار عمل» يفضي لوقف إطلاق النار في اليوم الأول، وإطلاق سراح خمس رهائن من بينهم عيدان الكسندر، ومن ثم يتم تركيز المفاوضات لوقف دائم، وإطلاق باقي الرهائن، وهذه المدة تحدد بخمسين يوماً مع دخول المساعدات الإنسانية ووقف الطيران الحربي فوق القطاع، وضمان كل من الولايات المتحدة ومصر وقطر هذا الاتفاق والعمل على تنفيذه.

لقد كان رد حركة حماس على المقترحات، وجود «آليات» بدلاً من الإطار التي طرحته «إسرائيل» لما فيه من الإيهام والإبهام!، واستمرار التفاوض (غير المباشر) برعاية الوسطاء مع حرصها على تفضيل الأمور الإنسانية وفتح المعابر وإيصال المساعدات قبل الإفراج المتفق عليهم، ومطالبة الكيان الصهيوني بالانسحاب من محور صلاح الدين (فيلادلفي) والسماح لسكان غزة بالعودة، والانسحاب من محور نتساريم أيضاً .

وفي سياق الرد الصهيوني على مطالب حماس، طالبت «إسرائيل» بالإفراج عن 11 من الرهائن الأحياء و16 من الرفات مقابل الإفراج عن الأسرى الفلسطينيين، وبعد التبادل؛ الشروع بمفاوضات غير مباشرة بعد 40 يوم وعلى الوسطاء أن يضعوا الآليات المناسبة لإيصال المساعدات للمدنيين من غير العسكريين والمقاومين، بالإضافة إلى تلقي تقارير طبية عن الأحياء والأموات من الرهائن

مع التزام الضامنين بتحقيق وتوقف دائم لإطلاق النار .

تسعى الولايات المتحدة وقت الهدنة لإيجاد حل دائم لوقف إطلاق النار مع رؤيتها "غياب حماس" عن المشهد السياسي، أو انتهاء إدارتها للقطاع. وفي تصريح لترامب يقول فيه، لا أحد يريد تهجير الفلسطينيين من غزة، ليعطي الأمر أكثر غموضاً من ذي قبل، لأن ما يشاع في الأخبار عن الحديث أن السودان وأرض الصومال مكانان مناسبان لاستقبال الفلسطينيين باعتبارهما دولتان فاشلتان لا يمكنهما أن يعترضا على الرؤية الأمريكية، وربما يتم إغرائهما بالمال، لأن الوزير الصهيوني المتشدد بتسلائيل سموتريتش والذي يحمل حقيبة المالية، يُحرض ويحُض رئيس العدو الصهيوني نتنياهو بالبدء بتنفيذ خطة ترامب بالترحيل واستئناف الحرب، وعودة المتطرف الآخر ايتمار بن غفير زعيم حزب عوتسما يهوديت وزير الأمن القومي، إلى الحكومة تزامن مع استئناف الحرب مشترطاً على نتنياهو القضاء على أشكال المقاومة في غزة حتى آخر مقاتل من حماس.

تصميم «إسرائيل» على نزع سلاح المقاومة، ونفي القادة إلى الخارج، يمثل خطاً أحمر. وزيرخارجية الكيان جدعون ساعر يقول، إن «إسرائيل» لن توافق على أي شيء أقل من نزع السلاح بشكل كامل، وإنهاء حكم حماس. واستئناف الحرب بالشكل الهمجي البربري، يؤكد مزاعم الصهاينة، بدورها المقاومة تؤكد على أن الرهائن لن يخرجوا إلا عبر صفقة وبالشروط التي تراها مناسبة، فالقضية دخلت في منعطف خطير، لأن المسافة بين الطرفين تعد بالصفرية، وحجم الكراهية وتباينات المواقف بين الطرفين تفضي إلى المكاسرة العسكرية والسياسية.

الهجمات التي شنتها الولايات المتحدة مع بريطانيا على اليمن الشقيق، تأتي نتيجة الاستعصاء السياسي الذي بدوره قدم الحلول العسكرية على الدبلوماسية في أقله أن المواقف لا تكاد أن تصل إلى حلول وسط أو ما يسمى بالرجوع عن الأهداف المعلنة، فالولايات المتحدة مصممة هذه المرة على إحداث ما يسمى كسر الإرادة اليمنية ومنعها من استهداف الملاحة الدولية، والتهديد والتلويح بعمل عسكري أيضاً لإيران باعتبارها الراعية لجماعة أنصار الله والمزودة الوحيدة له بالسلاح والعتاد وربما بالرجال، في حين تصر جماعة أنصار الله أن تفتح جبهة الإسناد لمناصر الأشقاء الفلسطينيين المظلومين، لأنه مبدأ ديني وأخلاقي..

تتوجس الولايات المتحدة من الانزلاق بالحرب على الجبهة اليمنية، وذلك، يعود للذاكرة التي لا تكاد أن تنطفئ وما جرى لها في أفغانستان، حين قررت الانسحاب وترك الميليشيات التابعة لها، وعودة العلاقات الأمريكية الأفغانية، والاعتراف بحكومة طالبان، وهي التي قصفت بأم القنابل من المرحلة الأولى من حكم ترامب، وبالتالي وصفت هذه المرحلة بالبراغماتية الأمريكية الساعية إلى تصفير المشاكل، واستبدالها بإقامة علاقات دبلوماسية من شأنها أن تنفع البلدين! لكن الحقيقة تقول غير ذلك، واشنطن هربت نتيجة صمود حركة طالبان ومرونتها على تضاريسها، وصرف المليارات التي تذهب هباءً منثوراً، وصعوبة إيجاد شخصية كـ «حامد قرضاي» تكون موالية لواشنطن تنفذ ما يطلب منها .

واشنطن و«إسرائيل»، تجربان ما يطلق عليه «نظرية الرجل المجنون»، فـ «إسرائيل» بشخص نتنياهو الذي يعاني من المساءلة القانونية لقضايا تتعلق بالرشى والفساد، يجد نفسه مرغماً للهروب إلى الأمام بافتعال الحروب وديمومتها، وهو الذي يخشى من تنفيذ الاستحقاقات الموقعة مع المقاومة، لأن من شأن ذلك أن ينهي مسيرته، ويذهب بقدمه إلى غياهب السجون، لذلك أقدم على عزل وزير الحرب يوآف غالانت، وبعض القادة الأقل رتبة، وليس آخرهم بالطبع رئيس الشاباك رونين بار، الذي يتابع بنفسه التحقيقات والملابسات جراء الفشل الاستراتيجي العسكري في السابع من أكتوبر العام الماضي، وصادق الكنيست على عزل المستشارة القانونية جالي بهراب ميارا، في خطوة وصفها رئيس العدو الصهيوني الأسبق إيهود باراك، رصاصة الرحمة على دولة الكيان، ودعا إلى إضراب شامل يهدف إلى شل المؤسسات.

ترمب يتقمص شخصية ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي الأسبق السابع والثلاثين. مبتكر نظرية الرجل المجنون الذي بموجبها العمل على شيء لا يمكن تصديقه، وإدخال الخوف والرعب لكل من يتعامل معه، وخصوصاً الدول التي تعارضه أو تحاول أن تشرح وجهة نظرها في موضوع ما، إلا أن نيكسون في نهاية المطاف لم يكمل ولايته لأنه أزيح من منصبه نتيجة الأخطاء الكارثية (ارجع لأسباب إزاحته عن الحكم) عن طريق البحث، وبالتالي فإن ترامب يسير على ما يبدو على نهجه، عمل على تنظيف البيت الأبيض من الحرس القديم، وأولهم جون بولتون صقر الجمهوريين، ليأت بأشخاص تمثل شريحة الكارتلات، وملوك العقارات، وملوك الغولف والسيارات الكهربائية، إذ أحاط نفسه بالاليغاريشية التي لا همّ لها إلا الصفقات والقفز فوق العادات والتقاليد، وعينه على الدولة العميقة التي وعد بحملته الانتخابية بالقضاء عليها وتطهير الولايات المتحدة من غير البيوريتانيين الذي يرون في أنفسهم حق القيادة، بعيداً عن المهاجرين الدخلاء الذين يشكلون خطراً كبيراً كما يزعمون .

ترامب ونتنياهو، لا يمكنهما أن يشذا عن القاعدة الغامضة في التاريخ التي تقول، أن لكل شيء ذروة، وعندما تنتهي تبدأ بالتلاشي والأفول، وأعتقد أن «إسرائيل» دخلت مرحلة المسادا (الانتحار اليهودي الجماعي)، وذلك بافتضاح أمرها وارتكابها لجرائم إبادة مسجلة على الهواء مباشرة، الوضع الذي ربما في الأيام القادمة تجد واشنطن نفسها مرغمة على القبول بمبدأ المحاسبة والمساءلة التي كانت من التابوهات المستحيلة، وهذا نلمسه بجامعاتها التي كانت بالأمس تجُرم من يذكر المظلومية الفلسطينية .

الشرق الأوسط الكبير
بين شمعون بيرز، و كونداليزا رايس، ونتنياهو
الأهداف والدوافع

د. أدهم فندي شقير - باحث في الشأن الاقتصادي سورية

قبل أنْ تتبنّى وزيرة خارجيّة الإدارة الثانية لجورج بوش الابن كونداليزا رايس مصطلح «الشّرق الأوسط الجديد»، نشر شمعون بيريز سنة 1992 كتابا بعنوان "الشرق الأوسط الجديد"، وكان يومها وزيرا للخارجية الإسرائيلي، تحدث فيه عن مفاوضات السلام التي بدأت في مدريد نهاية عام 1991، والتي أفضت إلى اتفاقية أوسلو عام 1993؛ أي بعد صدور الكتاب. وعن الآفاق التي سيفتحها الشرق الأوسط الجديد الذي سينقل المنطقة من الحرب إلى السلام، وتكون فيه إسرائيل المحركة والموجهة والقائدة، وعن دورها في ضمان أمن المنطقة وازدهارها واستقرارها، واستقرار أنظمتها "غير الديمقراطية"!

وكانت رايس، خلال فترة الحرب الإسرائيليّة على لبنان (2006)، كأنّها انتقلت من برنامج «الشّرق الأوسط الموسّع» الذي أعلنته الولايات المتّحدة إلى تبنّي الرؤية الإسرائيليّة بشكلٍ كامل عن إعادة «هندسة» الشّرق الأوسط (التّعيس)، وإنْ شكّك باحثون في أنّها قالت ذلك، وأرجعوا تداول الجملة إلى سوء التّرجمة، لكنّ ذلك ليسَ مهمًّا الآن، فها هو نتنياهو يعيد الجملة إلى الواجهة، حينَ قالَ وهو يبدأ مهاجمة لبنان: «الآن... بدأنا خطّة مُمَنهَجَة لتغيير الشّرق الأوسط»، وأعلن عن محاور ما سمّاه «الخير والشّر» من نيويورك، حيثُ منظمة الأمم المتّحدة ومجلسُ أمنها، وحيثُ القوانين التي لا طائِل منها، والتّوحّش «البربري» الذي يرتدي ثوبَ الحضارة، ويقدّم تصوّره الأصولي حول شكل التّحضُّر

لماذا يعتبر الشرق الأوسط مهمًا جدًا للاقتصاد العالمي؟

النفط والغاز الطبيعي هما المحركان الرئيسيان لاقتصاد الشرق الأوسط. تضم المنطقة أكثر من 50% من احتياطيات النفط الخام المؤكدة في العالم، كما تضم ما يقرب من 40% من إجمالي احتياطيات الغاز الطبيعي المعروفة.

وطوال السّنواتِ الماضية، تضع دولة الاحتلال الإسرائيليّ ومن خلفِها الولايات المتّحدة بإداراتها المتعاقبة خططًا لتغيير (هذا) الشّرق الأوسط، أو تجديده أو تدجينه، وكأنّ الأمر أصبحَ لازِمة سخيفة لأيّ إدارة أميركيّة، ثمّ تكتشف أنّ خططها للتغيير الاستراتيجيّ لم تكن إلّا فوضى غير منظّمة.

مشروع «الشرق الأوسط الجديد» هو خطة استراتيجية تهدف إلى إعادة تشكيل الخارطة الجيوسياسية للشرق الأوسط بما يخدم مصالح إسرائيل والدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة. هذا المشروع لا يقوم فقط على الصراعات العسكرية أو السياسية، بل يتغلغل في الاقتصاد، التحالفات الإقليمية، والأنظمة الاجتماعية للدول العربية. هذه الخطة التي تعزز النفوذ الإسرائيلي تشمل عدة أهداف استراتيجية سنوضحها هنا بالتفصيل.

الأهداف الاستراتيجية لمشروع «الشرق الأوسط الجديد»

1. تقسيم الدول العربية:

من أكثر الوسائل فعالية في تعزيز الهيمنة الإسرائيلية هو تفتيت الدول العربية الكبرى إلى كيانات أصغر ضعيفة وغير قادرة على مواجهة إسرائيل عسكريًا أو سياسيًا. الفكرة هنا تعتمد على أن ضعف الدول المحيطة بإسرائيل يعزز من أمنها وتفوقها. يتم تفكيك هذه الدول بناءً على الطائفية والعرقية، كما شهدنا في العراق وسوريا وليبيا.

ويتم انجاز ذلك عبر استخدام الصراعات الداخلية كأداة لإضعاف الحكومات المركزية وتشجيع النزاعات الطائفية والعرقية. كما يتم التدخل عبر دعم فصائل معينة على حساب أخرى، مما يؤدي إلى تفكيك الوحدة الوطنية.

2. تعزيز الهيمنة الإسرائيلية:

أحد الأهداف الرئيسية للمشروع هو تثبيت إسرائيل كقوة إقليمية عظمى في المنطقة، عبر تطبيع العلاقات مع دول عربية وتحويل إسرائيل من دولة تواجه «عداءً» إلى دولة حليفة للدول العربية. هذا يعني أن إسرائيل لن تظل فقط «موجودة»، بل ستصبح لاعبًا أساسيًا في صنع القرار الإقليمي، يتمتع بمكانة رائدة في مجالات مثل التكنولوجيا، الأمن، والاستخبارات.

يتم تعزيز هذا الهدف عبر التحالفات الاستراتيجية مع دول الخليج وشرق المتوسط، وتطبيع العلاقات الاقتصادية والعسكرية. أيضًا، استخدام النفوذ السياسي والإعلامي العالمي لتشويه صورة المقاومة الفلسطينية وتوجيه الأنظار إلى

قضايا «الإرهاب» والتهديدات الخارجية.

3. التطبيع الاقتصادي:

يسعى المشروع إلى دمج إسرائيل في الاقتصادات العربية، ليس فقط عبر التجارة التقليدية، بل من خلال إقامة شراكات في التكنولوجيا، الطاقة، والبنية التحتية. الهدف هنا هو تحويل إسرائيل إلى مركز اقتصادي رئيسي في المنطقة بحيث يعتمد جيرانها العرب على اقتصادها.

تتم صفقات التطبيع الاقتصادي عبر شراكات تكنولوجية (مثل التعاون في مشاريع البنية التحتية والطاقة المتجددة) واتفاقيات التجارة الحرة، إضافة إلى تعزيز الاستثمار الإسرائيلي في الدول العربية.

4. السيطرة على الموارد الطبيعية:

الشرق الأوسط غني بالموارد الطبيعية، خاصة النفط والغاز، ويمثل ذلك جزءًا كبيرًا من الاستراتيجية التي تسعى إلى ضمان سيطرة القوى الغربية وإسرائيل على هذه الموارد الحيوية. الهدف هو تأمين مصادر الطاقة بشكل يخدم الاقتصاد العالمي ويعزز نفوذ إسرائيل على حساب دول المنطقة.

عبر التحالفات الاقتصادية التي تضمن تدفق الموارد إلى الغرب وإسرائيل، واستغلال حالة الفوضى في الدول المنقسمة لتوقيع عقود استثمار طويلة الأمد في قطاع الطاقة.

ما هي القوى الفاعلة في تشكيل المشروع:

باعتبار إسرائيل وإيران الأكثر فاعلية في تشكيل الشرق الأوسط وهندسته، من كل النواحي،هنا سنستعرض بعض النقاط المهمة في المشهد للدولتين :

مساحة إيران أكبر من /إسرائيل/ فلسطين بـ60 مرة، وهي من حيث عدد السكان ثمانية أضعافها. في حين أن الفارق كبير بينهما في المجالين الاقتصادي والعسكري، إذ إن اجمالي الناتج المحلي السنوي لإيران 386 مليار دولار، في مقابل 540 مليار دولار لإسرائيل. وبينما يبلغ نصيب الفرد في إيران 4400 دولار سنويا، فإنه في إسرائيل 55 ألفا. وتبلغ نسبة البطالة في إيران 9.6 في المئة، أما في إسرائيل فهي 3.9 في المئة. وفي حين تصدر إيران بضائع (ضمنها النفط) بقيمة 71 مليار دولار سنويا فإن صادرات إسرائيل بلغت 73 مليار دولار، مع فارق أن إسرائيل تعتبر من الدول المتقدمة تكنولوجياً.

فارق آخر لغير صالح إيران يكمن في عزلتها في محيطها، بما لا يقل عن عزلة إسرائيل، إن لم يكن أكثر، بخاصة مع اظهارها كفوة تهدد جوارها، كدولة تدخلية، تسعى للهيمنة، على جوارها، وهي عوامل باتت تشتغل لصالح إسرائيل، التي تتميز أيضا بعلاقات وطيدة مع معظم دول العالم، ومنها الصين والهند وروسيا، هذا إضافة إلى تمتعها بضمانة الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة، لأمنها وتطورها وتفوقها في كل المجالات.

وقد يفيد التذكير هنا بأن الحديث عن الطرفين الإقليميين الفاعلين لا يقلّل من مكانة أطراف أخرى، سواء في العالم العربي، أو تركيا، وهي دولة قوية ومؤثرة في الإقليم، لأن الأمر هنا يتعلق بالطرفين اللذين ينتهجان الحرب التي تتجاوز بتأثيراتها وتداعياتها السياسية والأمنية حدود الإقليم.

لا ينفي حقيقة أن تلك المنطقة ما زالت تخضع لشبكة علاقات الهيمنة الأميركية، سياسيا واقتصاديا وأمنيا، وضمن ذلك تحكمها بعلاقات القوة فيها.

لا تستطيع الولايات المتحدة الأميركية والدول الأوروبية وإسرائيل تغيير وجه الشرق الأوسط، وإعادة تشكيل خريطته الجيوسياسية، وتشذيب بنيته الثقافية دون وجود بيئة داخلية مهيأة لهذا التحول. فهشاشة الأنظمة، وفسادها، واستبدادها، وفي ظل أنظمة تقايض بقاءها بهضم حقوق شعوب بأكملها، واضطهاد مكوناتها، وتحكم قبضتها على السلطة عبر نشر الإرهاب الإسلامي وتغذيته، لم تعد القوى الخارجية، بحاجة إلى شنّ حروب طويلة أو فرض سياسات معقدة، يكفيها أن تحرّك خيوط اللعبة، فتنهار الدول من الداخل، واحدة تلو الأخرى، بينما تواصل الأنظمة المتواطئة نهجها في دعم التطرف الديني، وتحويله إلى أداة لقمع شعوبها، والتغطية على فسادها تحت رايات مزيفة باسم الدين والسيادة .

والثقافة المدمرة التي تم زرعها بين شعوبها، جعلت المنطقة برمتها ساحة مفتوحة للتحولات الجذرية والتدخلات الخارجية، وبهذا، باتت القوى الكبرى قادرة على إعادة رسم مصير هذه الدول وفق مصالحها، وهو ما تتقبله، بل وتسعى إليه، شريحة واسعة من شعوب المنطقة التي ترى في التغيير الخارجي فرصة للخلاص من استبداد الداخل.

الخاتمة: التحديات والمواجهة المستمرة

مشروع «الشرق الأوسط الجديد» ليس مجرد خطة لتحقيق مصالح اقتصادية وسياسية، بل هو مشروع طويل الأمد يهدف إلى تحويل المنطقة وتثبيت إسرائيل كقوة مهيمنة. يعتمد هذا المشروع على تقسيم الدول العربية وإضعافها، والسيطرة على مواردها الطبيعية، وإعادة صياغة التحالفات السياسية بما يخدم أهداف الغرب وإسرائيل.

لكن الفلسطينيين، الذين يمثلون قلب هذه المعركة، يمتلكون القدرة على مواجهة هذا المشروع من خلال الوحدة الوطنية، وتطوير رواية إعلامية

قوية، وتعزيز المقاومة، وتوطيد علاقاتهم الدولية. فهم لا يقفون فقط ضد الاحتلال الإسرائيلي، بل ضد مشروع يستهدف تصفية القضية الفلسطينية واستبدالها بنموذج جديد للشرق الأوسط يهمش حقوقهم التاريخية.

المعركة طويلة وتحتاج إلى استراتيجيات متجددة تعتمد على التنسيق والتكامل بين الجهود الداخلية والدولية. ومع تزايد الضغوط والتحديات،

فإن قدرة الفلسطينيين على الصمود والتكيف مع المتغيرات ستكون العامل الحاسم في تحديد مسار هذه المعركة. الفلسطينيون، كما كانوا دائمًا، في طليعة المقاومة، ويظلون الرمح الذي يواجه هذا المشروع الإقليمي والدولي بكل تحدياته .

قلق الوجود الصهيوني
(من طوفان الأقصى إلى طوفان التحرير)

د. سامي الشّيخ محمد أكاديمي وباحث فلسطيني سورية

ما سر هستيريا التدمير والتهجير المهيمنة على الذهنية الصهيونية الأمريكية على نحو غير مسبوق منذ احتلال فلسطين في العام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف إلى يومنا هذا؟

أضحت الذهنية الصهيونية مسكونة بهاجس الخوف المزمن من جراء بقاء وتشبث الملايين من أبناء شعبنا الفلسطيني المقاوم على الأرض الفلسطينية، كنتيجة مباشرة من النتائج العملية والنفسية التي أحدثها طوفان الأقصى منذ السابع من أكتوبر العام الماضي، ونجاح المقاومة الفلسطينية في غزة في الاحتفاظ بالأسرى الصهاينة لديها، في ظل عدم قدرة آلة التدمير والموت والإبادة الصهيونية بحق أبناء شعبنا الأعزل في مدن وأحياء ومخيمات غزة، بعشرات آلاف الأطنان من الأسلحة والذخائر المتفجرة جواً براً وبحراً.

إن الفشل الذريع الذي منيت به المؤسستين العسكرية والاستخباراتية الصهيونيتين، في السابع من أكتوبر قبل سنة وخمسة أشهر من هذا التاريخ، وعجزهما عن القضاء على المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، واتساع رقعة المواجهة إلى مخيمات اللجوء في الضفة الغربية، وقبولهما بالتفاوض لاسترداد الأسرى والرضوخ لمطالب المقاومة رغم الانتهاكات الصهيونية حيال تنفيذ الاتفاق المبرم بين الطرفين عبر الوسطاء القطريين والمصريين والأمريكيين في تنفيذ المرحلة الأولى من الاتفاق.

لقد أيقن الصهاينة وإدارة الرئيس ترامب بأن تشبث شعبنا بأرض وطنه، ورفضه المطلق لمحاولات التّهجير القسري خارج فلسطين، يشكل الأساس المادي المتين للاستمرار في مقاومة الاحتلال حتى الرحيل عن فلسطين، أو قبوله للعيش بأمن وسلام في ظل الدولة الفلسطينية الديمقراطية المنشودة على عموم الأرض الفلسطينية الممتدة من البحر إلى النهر.

أجل أجل أجل إن ما يخشاه الاحتلال الصهيوني ومستوطنيه، هو العجز المتوقع عن مواجهة طوفان الدخول والتحرير القادم لا محالة، حيث سينهار الكيان الصهيوني وهروب قادته العسكريين والأمنيين إلى خارج فلسطين، وترك المستوطنين اليهود يواجهون مصيرهم الأخير، وجها لوجه مع مئات آلاف المحررين الفلسطينيين والعرب من دول الطوق وصولا إلى اليمن الشقيق.

هذا هو سر التخبط والجنون الصهيوني وراء تدمير مخيمات اللاجئين الفلسطينيين من أبناء شعبنا في الضفة الغربية، والتصريحات المحمومة لغلاة المتطرفين في حكومة رئيس الوزراء المجرم نتنياهو، بوجوب العمل على طرد وتهجير الملايين من أبناء قطاع غزة والضفة الغربية إلى مصر والأردن ودول المنطقة والعالم، رغم رفض هذه الدول والجامعة العربية لمخططات التهجير، والمطالبة بإقامة دولة فلسطينية مستقلة على الأرض الفلسطينية كسبيل لإنهاء الصراع والعيش بأمن وسلام من وجهة نظرها.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة حيال ذلك، هل تنجح مخططات التهجير، وضم الأراضي والقرى والمدن الفلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية بعد إرغام سكانها على إخلائها بالقوة كما هو عليه الحال في مخيمات اللجوء في الضفة الغربية اليوم؟ .

من المؤكد فيه أن مخططات التهجير الصهيونية المدعومة أمريكيا، لن تجد سبيلها للتنفيذ من الناحيتين الذاتية المتعلقة بشعبنا الرافض، ترك أرض وطنه من ناحية، والموضوعية المتمثلة في الرفض التام للتهجير القسري من جانب الأردن ومصر وباقي الدول العربية من ناحية أخرى.

ولا يفوتنا هنا الإشارة لمسألة غاية في الأهمية تروع قادة الكيان الصهيوني، وتعمق قلق بقاء (دولة إسرائيل) المستقبلي لديهم، وهي انعدام ثقة الجمهور والمستوطنين بقادتهم السياسيين والعسكريين والأمنيين، بعد حدث طوفان الأقصى، وعدم المبالاة حيال المختطفين الأسرى المدنيين والعسكريين لدى حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية، وموت قسم منهم بالغارات التي نفذها الطيران الحربي الصهيوني على قطاع غزة، الأمر الذي سيكون له مفاعيله في الفترة المقبلة بعد استعادة الأسرى في المرحلة الثانية من تنفيذ اتفاق التبادل والانسحاب من قطاع غزة وإنهاء الحرب والبدء في عملية إعادة إعمار القطاع، حيث عزوف مستوطني غلاف غزة عن العودة للمستوطنات التي غادروها منذ السابع من أكتوبر خشية تكرار سيناريو مشابه لما جرى في المستقبل، ونشاط سيكون ملحوظاً للهجرة العكسية لليهود من فلسطين إلى دولهم وبلدانهم الأصلية التي ينحدرون منها، سيما أنهم لم يتخلوا عن جنسياتهم الأصلية التي لا يزالوا يحتفظون بها، مما يهدد الوجود الديمغرافي لدولة الكيان الصهيوني في فلسطين والمنطقة، أمام تعاظم الوجود الديمغرافي الفلسطيني المقاوم للاحتلال على أرض وطنه.

إسرائيل بين الإقالات والتصعيد في غزة

نبال عمر كاتبة صحفية فلسطينية سورية

تمر إسرائيل بمرحلة غير مسبوقة من الأزمات الداخلية، حيث تتوالى الإقلات في المؤسسات الأمنية والقضائية، وتتفاقم الخلافات بين أركان الحكومة، وسط تصعيد اقتصادي يهدد بشلّ المرافق الحيوية. تزامن ذلك مع استمرار العدوان على قطاع غزة، حيث تحاول الحكومة الإسرائيلية تصدير مشاكلها الداخلية عبر تصعيد عسكري دموي يستهدف المدنيين العزل.

جاءت إقالة رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك) رونين بار، وما تبعها من تهديدات منتدى رجال الأعمال بشل الاقتصاد، لتكشف عمق الأزمة التي يواجهها رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد قرر أيضًا إقالة المستشارة القضائية للحكومة، غالي بهراف ميارا، في خطوة أثارت ضجة كبيرة وأعادت الحديث عن محاولات نتنياهو للسيطرة على السلطة القضائية.

إقالة رئيس الشاباك أثارت استياءً واسعًا داخل المؤسسة الأمنية، حيث اعتبرتها القيادات العسكرية محاولة سياسية لإبعاد الأصوات المعارضة داخل أجهزة الأمن، مما قد يؤدي إلى تراجع الكفاءة الأمنية في التعامل مع التحديات المتزايدة. في الوقت ذاته، جاءت إقالة المستشارة القضائية كضربة أخرى لاستقلال السلطة القضائية، حيث كانت معروفة بمواقفها المستقلة ورفضها لبعض السياسات المثيرة للجدل داخل الحكومة. اعتبرت المعارضة الإسرائيلية أن هذه الخطوة تهدف إلى إحكام نتنياهو سيطرته على القضاء، وهو ما أثار احتجاجات واسعة في الشارع الإسرائيلي، حيث خرج الآلاف رفضًا لما وصفوه بمحاولة «قتل الديمقراطية».

عضو الكنيست أفيخاي بورون من حزب الليكود، الذي قدم المقترح لإقالة ميارا، اتهمها بتجاوز حدود صلاحياتها وعرقلة سياسات الحكومة عبر اختراع عوائق قانونية لا أساس لها. وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير، علّق على هذه الخطوة عبر منصة «إكس» (تويتر سابقًا)، قائلاً: «الخطوة التالية هي عرض إقالتها على الحكومة لمناقشتها، وينبغي أن تتخذ الحكومة الإسرائيلية هذا القرار». كما نشر وزير الاتصالات، شلومو كرعي، توقيعات 13 وزيرًا من أصل 33 في الحكومة، يطالبون بإقالتها، مؤكدًا أن «سلوك المستشارة القضائية يعرقل عن عمد سياسة الحكومة لأسباب سياسية مع اختراع عوائق قانونية لا أساس لها من الصحة وتجاوز حدود التفويض القانوني الممنوح لها». في المقابل، أدان الرئيس الإسرائيلي إسحاق هرتسوغ الهجمات على ميارا، مؤكدًا على ضرورة احترام استقلالية المؤسسات القضائية.

على الصعيد الاقتصادي، لم يلتزم رجال الأعمال الصمت، بل صعّد منتدى رجال الأعمال الإسرائيلي موقفه بإعلان رفضه لهذه الإقالات، محذرًا من تداعياتها الاقتصادية. هدد المنتدى باتخاذ إجراءات تصعيدية قد تشمل تجميد الاستثمارات، ووقف العمليات التجارية، وتعطيل المرافق الاقتصادية الحيوية إذا لم تتراجع الحكومة عن قراراتها الأخيرة. هذه التهديدات تشكل ضغطًا كبيرًا على الحكومة، حيث تعتمد إسرائيل بشكل كبير على القطاع الخاص في دعم اقتصادها.

في ظل هذه الأزمات، عاد وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير إلى الواجهة، مستغلًا هذه الاضطرابات لتعزيز نفوذه داخل الحكومة، وداعيًا إلى تشديد القمع ضد الفلسطينيين، وزيادة الاستيطان، وفرض مزيد من القيود على الحريات داخل إسرائيل. مطالباته بإجراءات أكثر صرامة ضد المتظاهرين الإسرائيليين المعارضين لسياسات نتنياهو، عمّقت الانقسامات داخل المجتمع الإسرائيلي، وزادت من التوتر السياسي والاجتماعي. على المستوى الدولي، تزايدت الإدانات لسياسات الحكومة الإسرائيلية، حيث عبرت دول غربية عن قلقها من التوجه الاستبدادي لحكومة نتنياهو، خاصة بعد سلسلة الإقالات الأخيرة ومحاولات تقييد استقلال القضاء.

في الوقت الذي تعيش فيه إسرائيل أزمة داخلية حادة، يدفع الفلسطينيون في قطاع غزة الثمن الأكبر، حيث يواصل الاحتلال قصف الأحياء السكنية والبنية التحتية والمرافق الصحية، مما أدى إلى سقوط مئات الشهداء والجرحى. القطاع الصحي في غزة يشهد انهيارًا غير مسبوق بسبب القصف المستمر والحصار المفروض منذ سنوات، حيث تفتقر المستشفيات إلى الأدوية والمعدات الطبية، بينما تعمل الطواقم الطبية في ظروف بالغة الصعوبة وسط نقص في الكهرباء والمياه النظيفة.

تفاقم الحصار جعل الحصول على المواد الغذائية الأساسية أمرًا شبه مستحيل، حيث تمنع إسرائيل دخول المساعدات الإنسانية، ما أدى إلى نقص حاد في الغذاء والمياه الصالحة للشرب. الكهرباء منعدمة في معظم أنحاء القطاع، والمياه النظيفة أصبحت عملة نادرة، مما زاد من معاناة السكان.

إسرائيل اليوم في مفترق طرق خطير، حيث تتراكم الأزمات الداخلية بوتيرة غير مسبوقة، بينما تتزايد العزلة الدولية بسبب السياسات الاستبدادية والتصعيد العسكري ضد غزة. استمرار الاحتجاجات وتهديدات رجال الأعمال قد يجبر الحكومة على التراجع عن بعض قراراتها، مما سيضعف موقف نتنياهو سياسيًا، لكن في المقابل، قد تلجأ الحكومة إلى تصعيد أوسع على غزة لتشتيت الأنظار عن الأزمة الداخلية، وهو ما سيؤدي إلى كارثة إنسانية أكبر، وفي حال تفاقمت الخلافات داخل الحكومة، قد تنهار التحالفات مما قد يؤدي إلى انتخابات جديدة تعيد رسم المشهد السياسي الإسرائيلي.

إسرائيل اليوم تعيش واحدة من أعقد أزماتها السياسية والاقتصادية، حيث تفاقمت الخلافات الداخلية مع تزايد الإقالات والخلافات بين أركان الحكم، بينما يعاني الفلسطينيون في غزة من عدوان مستمر يزيد من مأساتهم اليومية. في ظل هذه الأوضاع، يبقى السؤال: هل يستطيع نتنياهو النجاة من هذه العاصفة، أم أن إسرائيل مقبلة على مرحلة جديدة من عدم الاستقرار الداخلي والتدهور الدولي؟

اتفاق وقف إطلاق النار
بين التكتيك والأهداف الكبرى الإسرائيلية

محمد حسين كاتب وصحفي فلسطيني سورية

يبدو أن معظم وسائل الإعلام العربية والفلسطينية، وحتى غالبية المحللين، وصناع القرار يقعون ضحية اللعبة السياسية الداخلية الإسرائيلية، والتي تروج لها وسائل إعلامية إسرائيلية، والمستندة إلى معزوفة مفادها أن نتنياهو هو الشخص الوحيد المعطل لاتفاق وقف إطلاق النار في غزة لقضايا تتعلق بتهم الفساد التي تلاحقه، أعتقد هذا جزء بسيط من المشهد، لنتذكر أنه عندما بدأت الحرب على غزة شكل نتنياهو تحالف بعد عدة أيام من الحرب مع بني غانتس - رئيس حزب معسكر الدولة - وخاضا الحرب سويا واختلفا حول إدارة الحرب لا على الحرب وأهدافها. يقول المفكر عبد الوهاب المسيري (إن بعض العرب من المحللين وصناع القرار يبنون آراءهم ومواقفهم وحتى خططهم على ما يقوله الإعلام الصهيوني)،

أولاً: علينا أن ندرك أننا أمام حكومة أكثر يمنية مدعومة من اليمين الديني المتطرف، وهذه الحكومة لها أهدافها، وخططها القديمة، والجديدة التي تعمل على تحقيقها ونتنياهو على رأس هذه الحكومة.

ثانياً: ينبغي أن نعي أن اتخاذ القرارات ذات الطابع الاستراتيجي في إسرائيل يشارك فيها المستوى السياسي، المستوى الأمني بكل تشعباته الموساد. الشين بيت. الشاباك. المستوى العسكري، مراكز الأبحاث الاستراتيجية، وعند الضرورة يتم التشاور مع المعارضة وهذا ما بات واضحاً من اللقاءات التي تعقد بين فترة وأخرى بين زعيم المعارضة لابيد ونتنياهو.

لماذا أفشل نتنياهو اتفاق وقف إطلاق النار؟

باعتقادي أن نتنياهو وحكومة المتطرفة يدركون أنهم لم يحققوا نصراً واضحاً سوى القتل والتدمير، وأن توقيع الاتفاق كان الهدف منه الحصول على المزيد من الأسرى الصهاينة، وتقديم ورقة دعم للرئيس الأمريكي، حصلوا في مقابلها على خطته الرامية بتهجير سكان غزة.

إن الحكومة اليمينية المتطرفة تعتقد أنها إذ لم تحقق أهدافها كاملة والمتمثلة، أولا بالقضاء و تدمير البنية العسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية وهذا لم يتم إنجازه بعد، وهذا ما بدا واضحاً من خلال ظهور هذه الفصائل وبقوة، وبتنظيم عالي المستوى أثناء عملية تبادل الأسرى. ثانيا مشروع الجنرالات القاضي بتفريغ سكان شمال قطاع غزة ودفعهم إلى الجنوب ناهيك عن مشروع التهجير القصري أو الطوعي خارج قطاع غزة.

ثالثاً: فشل اسرائيل في إيجاد بدائل محلية تابعة لها لقيادة قطاع غزة في اليوم الثاني لانتهاء العدوان.

لقد باتت اسرائيل على قناعة أن أي بديل لقيادة غزة في اليوم التالي لا يمكن أن يقوم بأي مهمة تخدم معالمها مادامت حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية موجودين فيها،

كل هذه المعطيات جعلت الحكومة الاسرائيلية تتراجع وتذهب مرة أخرى للخيار العسكري لأن كل مؤشرات الاتفاق الذي جرى التوقيع عليه تشير بشكل واضح إلى هزيمة أهداف العدوان الإسرائيلية بشكل كامل وهذا الشيء سيترتب عليه قضايا ذات طابع استراتيجي تقترب من فكرة استمرار وجودها كقوة احتلال، في الأراضي المحتلة عام 1967.

إننا أمام حرب مفتوحة بين المقاومة والشعب الفلسطيني من جهة واسرائيل من جهة أخرى، وهذه الحرب باعتقادي ستذهب إلى نهاياتها فإسرائيل تريد نصراً واضحاً يكرس باتفاق يتجاوز حدود تدمير القدرات العسكرية للمقاومة إلى نزع سلاحها وإبعادها خارج غزة، وهذا ما ألمح إليه ويتكوف المبعوث الخاص للرئيس ترامب عندما قال(يجب نزع سلاح حماس وإبقائها كجسم سياسي) وزادت اسرائيل على هذا المطلب بضرورة إبعاد قيادات حماس من قطاع غزة.(تكرار تجربة بيروت مرة أخرى)

تعتقد الحكومة اليمينية المتطرفة أن النصر الواضح والمرسم باتفاق سيفتح الطريق أمام ترتيبات قد تتجاوز غزة باتجاه المنطقة وهذا ما قاله ويتكوف (الآن هناك إمكانية لتوقيع اتفاق سلام يشمل لبنان وسوريا والسعودية وإسرائيل.)

والمقاومة تريد إفشال أهداف العدوان وضمان الانسحاب الشامل في قطاع غزة وإعادة ما دمره الاحتلال.

الفاشية الصهيونية والإجرام الممنهج لاستهداف الأسرة الفلسطينية

أحمد عويدات - كاتب وباحث فلسطيني ـ السويد

لم يكن العالم على موعد مع هذا الكم الهائل من الجرائم الإسرائيلية التي لا تُعد ولا تُحصى، والتي أخذت أشكالاً وصنوفاً متعددة اخترقت من خلالها سجلات غينيس للأرقام القياسية. ولم تكن البشرية بأسرها تتوقع فظاعة وبشاعة هذه الجرائم ضد الأطفال والنساء الذين أصبحوا هدفاً دائماً لطائرات الكيان المغتصب فترامت أشلاؤهم هنا وهناك تحت خيمةٍ ممزقةٍ أصبحت بديلاً لمنزلهم المدمّر أوتحت أنقاض منزلٍ متهاوٍ إلا من بعض جدرانه.

حدث ذلك كل يوم وكل ساعة، لكن ذاك اليوم كان الذي أعلن فيه المجرم نتنياهو استئناف الحرب بعد هدنةٍ قاربت الشهرين فكان الأعنف دموية؛ إذ سقط أكثر من 450 شهيدا بينهم 150 طفلا، ونحو 500 جريح كان جلّهم من الأطفال والنساء. إن هذا الإجرام الصهيوني المستمر والمتجدد كماً ونوعاً يعبر عن طبيعة الكيان وتأصله في البنية الفكرية والسيكولوجية والشخصية الدينية التوراتية المتطرفة التي لا تعيش ألا على دماء الفلسطينيين ، هذه الشخصية التي طالما دعت إلى قتل الطفل والمرأة والرجل والغنم والبقر..... وكل شيء له صلة بالحياة الفلسطينية، ولعل الباحث الإسرائيلي الياهو يوسيان عبر عن ذلك بقوله «إن الطفل عدو والمرأة الحامل عدو لأنها تحمل طفلا عدوا»، لذلك إن استهداف الأطفال والنساء جاء ترجمة للعقيدة الصهيونية المتطرفة التي يُنشئ أطفالهم عليها في المدارس، وعليه فإن ما ورد في نشيدهم «الوطني» المزعوم «هاتكفاه»، إنما هو تجسيد واقعي لتلك الحقيقة، وهناك عامل آخر يقف وراء استهداف الأسرة الفلسطينية هو العقلية العسكرية العدوانية المدفوعة بمفهوم «الخطر الوجودي» التي تروّج له القوى اليمينية المتطرفة متمثلة بإيتمار بن غفير وزير الأمن القومي الإسرائيلي الذي اشترط العودة إلى الحكومة باستئناف نتنياهو الحرب وعدم توقيع صفقة مع المقاومة لتبادل الأسرى، وأيضا سموتريتش الذي طالما هدّد بالخروج من الحكومة إذا تم الانتقال إلى المرحلة الثانية من صفقة تبادل الأسرى .

وفي هذا السياق، تعصف الإنقسامات والخلافات الحادة بالكيان الصهيوني على خلفية تعطيل الاتفاق مع المقاومة لإتمام المرحلة الثانية من الصفقة، وكذلك من خلال الاحتجاجات والتظاهرات الحاشدة والصاخبة لذوي الأسرى وأحزاب المعارضة والطلبة وأساتذة الجامعات والنقابات والهيئات المجتمعية المطالبة باستقالة الحكومة بسبب إقالة نتنياهو لرئيس الشاباك رونين بار، الذي اتهم نتنياهو بمسؤوليته عن تعطيل صفقة تبادل الأسرى ، وقيام المحكمة العليا بتجميد هذا القرار، وما أعقبه من مصادقة حكومة نتنياهو على حجب الثقة عن المستشارة القضائية للحكومة بهدف تعطيل التحقيقات بتهم الفساد واستغلال السلطة الموجهة إلى نتنياهو، ولجوء هذا الأخير إلى الطلب من الكنيست المصادقة على «قانون تغيير تشكيلة لجنة تعيين القضاة «، في سعيه الدائم إلى تقويض السلطة القضائية ؛ استجابة لطلب المتطرفين المتدينين الذين ضموا في صفوفهم منظمتين إرهابيتين محظورتين من قبل القضاء الإسرائيلي مهمتهما ترويع وإرهاب الفلسطينيين والاعتداء على ممتلكاتهم وأراضيهم ، وبالنهاية قتل

الأسرة الفلسطينية الممنهج

من خلال تسليح المستوطنين وحمايتهم ؛ مما أجج الشارع الإسرائيلي غضباً، و دفع برئيس وزراء إسرائيل السابق أيهود أولمرت إلى القول «نحن أقرب إلى حرب أهلية أكثر بكثير مما يدركه الناس، وأن نتنياهو مستعد للتضحية بكل شيء من أجل بقائه على سدة السلطة».

بينما أشار في هذا السياق رئيس المحكمة العليا السابق أهارون براك «أن نتنياهو انتهك عدداً لا يحصى من القواعد من أجل البقاء في السلطة والهروب، من مقاضاته».

وهناك عامل آخر وراء قتل الأسرة الفلسطينية هو الروح الانتقامية والثأرية لقوات الكيان الغازية ؛ نتيجة ما وقع بها من خسائر فادحة وهزائم متتالية على يد المقاومة. وهناك قتل من نوع آخر وثقت جزءاً منه نافي بيلاي رئيسة اللجنة الدولية المستقلة للتحقيق في انتهاكات «إسرائيل» للقانون الدولي يفيد: « بمسؤولية إسرائيل التسبب بإيذاء بدني ونفسي للنساء والفتيات له تداعياته المباشرة على الصحة النفسية والبدنية الإنجابية «. ولا بد من التذكير هنا بأن الاعتداء على «مركز البسمة للإخصاب وأطفال أنابيب» الذي تم قصفه في 17نيسان /أبريل 2024 قد الحق إيذاء بنحو5000 جنين وتسبب بتدمير جميع المواد الإنجابية المخزّنة لمساعدة الأمهات على الحمل والإنجاب، وهذا ما يشكل برهاناً ساطعاً على السياسة الفاشية الممنهجة لقتل الأسرة الفلسطينية باكراً والقضاء على المستقبل ، وهذا بالتأكيد يرقى إلى جريمة ضد الإنسانية ويعتبر شكلاً من أشكال الإبادة الجماعية. يضاف إلى تلك العوامل محاولة القوات الإسرائيلية والمستوطنين النيل من كرامة وصلابة الشخصية الفلسطينية بكسر عنفوانها وكبريائها عندما «عمدت إلى ممارسة العنف الجنسي الممنهج والعنف القائم على النوع الاجتماعي»، كما جاء في تقرير رئيسة لجنة التحقيق الدولية المستقلة الذي حمل عنوان : «أكثر ما يحتمله أي إنسان». وكان آخر اعتداء جنسي حصل على شقيقين فلسطينيين- يفترض أنهما طفلين- في شهر كانون الثاني حسب ما أوردته صحيفة هآرتس العبرية ، التي أشارت إلى تعرضهما للخطف وللتعذيب والاعتداء الجنسي. وقد سبق ذلك تلك الجريمة التي وقعت في الزنازين الإسرائيلية عندما تم الاغتصاب الجماعي للمعتقلين الذكور في العام الماضي من قبل السجّانين والمستوطنين الإسرائيليين وقد تم عرض مشاهد من هذه الجريمة على شاشات التلفزة لبعض القنوات الإخبارية. إن هذه الممارسات والانتهاكات ليست جديدة على الجيش الإسرائيلي، فقد شهدت بلدات الصفصاف ودير ياسين والجش إبان نكبة 1948 قتل نحو 250 فلسطينياً بعد الاعتداء عليهم جنسياً ، معظمهم من الأطفال والفتيات والنساء.

واليوم، تتعرض الأسرة الفلسطينية إلى جريمة التجويع والتعطيش لتشكل شاهداً حيّاً على نازية وفاشية الكيان الصهيوني، وهي شكل آخر من جرائم الإبادة الجماعية ، ناهيك عن تدمير كل مقومات الحياة وبناها التحتية ؛ فقد مضى أكثر من 30 يوما على إغلاق كافة المعابر ومنع دخول المساعدات إلى غزة وهي الفترة الأطول منذ بدء طوفان الأقصى وهي الأسوأ فتكاً بالتزامن مع غضب الطبيعة من أمطار ورياح وبرد ، ومع تزايد الإجرام الصهيوني قصفاً بالغارات الجوية للطائرات الحربية وقذائف الدبابات والمدفعية وتوغل القوات الإسرائيلية وحصارها للمناطق الآهلة بالسكان في تل السلطان وبيت لاهيا وغيرها ؛ لارتكاب المزيد من مجازر الإبادة الجماعية، كما أشار إلى ذلك وزيرالدفاع الإسرائيلي السابق موشيه يعالون:»ان الجيش ينفذ تطهيراً عرقياً في غزة «.

كل هذا يحدث مع انعدام الأمل بوقف هذه الحرب الفاشية خاصة مع انكشاف الترابط النازي الإجرامي بين نتنياهو وإدارة ترامب بفرض تحقيق الأهداف بالقوة ؛ وأية أهداف غير قتل الأسرة الفلسطينية ، وتهجير من تبقى قسرياً بالضغط الإنساني والعسكري ، و الاستيلاء على الأراضي في قطاع غزة كسياسة تبناها نتنياهو مؤخراً لفرض شروطه على المقاومة ، وفرض الاستسلام عليها بتسليم سلاحها ، وتحريض أزلام السلطة والعملاء ضدها للنيل من حاضنتها الشعبية ومن صمودها الأسطوري. كل ذلك يتم والعالم غير آبه لصور أشلاء الأطفال وصرخات الأمهات الثكالى وآهات ومعاناة 80 % من ذوي الأمراض المزمنة والجرحى الذين يفتقدون إلى أدنى العناية الطبية والدوائية، هذا العالم الذي نسي ما أقرّته محكمة العدل الدولية ومحكمة الجنايات الدولية ومجلس حقوق الإنسان، وهيئات الأمم المتحدة الأخرى ، التي تطالب بمحاسبة المجرمين والقتلة والسماح بدخول المساعدات ، وعدم رهن ذلك بمواقف سياسية أو عسكرية ميدانية ، هذا العالم الذي يكتفي بالتنديد والاستنكار لتفاقم الوضع الإنساني الكارثي الذي لم يُشاهد له مثيل ولا سابقة بهذه الشدة والترويع ؛ إذ يعاني نحو 90 % من الغزيين، من فقدان مصادر المياه الصالحة للشرب ، ونحو 85 % فقدوا مصادر الغذاء الرئيسية بسبب منع المساعدات بحسب مصادر مكتب الإعلام الحكومي في غزة.

إن البلطجة الإسرائيلية والجنون الإجرامي الإسرائيلي وبدعم أمريكي أدى إلى سقوط خمسين ألف شهيد و 113 ألف جريح و 14000 آخرين لا زالوا مفقودين ، كما أدى إلى إخفاء أسر فلسطينية بالكامل من سجلات القيد المدني وصلت إلى نحو أكثر من 1200 أسرة.

بالرغم من هذا، فإن الأرقام تشير إلى تزايد معدلات الإنجاب وتزايد سكاني في صفوف الغزيين، خاصة أثناء الحرب مقارنة بالأعوام السابقة ؛ مما يشير إلى صلابة الأسرة الفلسطينية ، واستحالة تدميرها بكل السبل والعوامل التي يمارسها المحتل. إن هذا يؤكد حقيقة واقعية لطالما شدوناها مع شاعرنا محمود درويش ، ونتوجه بها إلى الرأي العام العالمي الذي لازال عاجزاً عن القيام بواجبه الإنساني : «على هذه الأرض ما يستحق الحياة».

الاستيطان في الضّفّة الغربيّة
هل هو عامل احتراب أم عامل لحمة؟ (2/2)

د. انتصار الدنّان كاتبة صحفية وإعلامية فلسطينية لبنان

المبحث الثّالث: تمدّد الاستيطان منذ اتّفاقيّة كامب دايفيد حتّى يومنا هذا

منذ عام 1967 بدأ الاستيطان في الضّفة الغربيّة يتمدّد، ومازال إلى الآن. بعد معركة طوفان الأقصى صار يتمدّد أكثر، وذلك وفقًا لتقارير حقوقيّة أكدت أنّه تم تسجيل 133 عملية هدم سُجّلت في القدس، منذ بداية الحرب حتّى منتصف شهر آذار، و97 من المنشآت الّتي هُدمت كانت عبارة عن وحدات سكنيّة.

من الواضح ارتفاع معدّل هدم منازل المقدسيين، من سلطات الاحتلال، بادّعاء بنائها دون ترخيص، للاستيلاء عليها في وقت لاحق للمستوطنين، لكن السّؤال المطروح هنا، أي شريحة من المستوطنين تسكن هذه المستوطنات؟ وأي شريحة سياسيّة؟ هل هم شرقيون أم غربيون؟ وعلى ماذا يعتمد التّوسع الاستيطانيّ في الضّفة؟ وما شكل تماسك الوحدة الاستيطانيّة؟ وهل مجتمعات المستوطنين متجانسة فيما بينها؟

عندما احتلت إسرائيل الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة في العام 1967، لم يكن هناك تسجيل رسميّ إلا لثلث الأراضي المملوكة للفلسطينيين، فيما كانت بقيّة الأراضي مثبتة ملكيّتها من خلال كواشين، وشهادات تسجيل رسميّة صادرة عن حكومة الانتداب البريطانيّ، وكذلك التّسجيل لدى دائرة الأراضي الأردنيّة بحسب القانون المعمول به قبل العام 1967 بشكلٍ أساسيٍّ .

منذ عام 1967 تسعى إسرائيل إلى نقل عدد من سكّانها المدنيين إلى الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة، بهدف توسيع رقعتها الاستيطانيّة، وهذا الأمر هو مخالف للقوانين الدّوليّة، ومن بين هؤلاء المستوطنين يسكن ما يزيد على مليون مستوطن إسرائيلي في المستوطنات المقامة في الضّفّة الغربيّة، وما يزيد على 190000 مستوطن في القدس الشّرقيّة، وفي المناطق المحيطة بها. وتتفاوت المستوطنات الإسرائيلية في حجمها بين مستوطناتٍ وليدةٍ أو «بؤرٍ» استيطانية تتألف من عدد قليل من البيوت المتنقلة، ومستوطنات تشكّل مدنًا كاملةً تؤوي عشرات الآلاف من المستوطنين. وتتمثّل الغاية من المشاريع الاستيطانيّة الّتي تقوم بتنفيذها إسرائيل تغيير وضع الأراضي الفلسطينية المحتلة للنّاحيتيْن المادية والديموغرافية، بهدف الحيلولة دون عودة الفلسطينيين إليها، وإمكانيّة حلّ الدّولتيْن، وفي الوقت نفسه وضع يدها على الأراضي الفلسطينيّة والموارد الطبيعية بصورةٍ غير قانونية، وعزل الفلسطينيين في أماكن تمنعهم من البقاء، وتشهد تقلّصًا متواصلًا في مساحتها، هذا عدا عن فصل القدس الشرقية عن بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وفي عام 1977، بعد اعتلاء حزب الليكود الحكم، وفق بتساليم، ازداد بناء المستوطنات في جميع أنحاء الضّفّة الغربيّة، خاصّة في المناطق بين رام الله ونابلس، وشمالي الضّفّة، وذلك، وبحسب الاحتلال، بدوافع أمنيّة وإستراتيجيّة.

وبحسب مصادر إسرائيليّة، فإن إسرائيل وعلى مدى سنوات، سعت من خلال الاستيطان إلى ضمان تحقيق الأمن للبلاد، من وضع جنود على حدود المستوطنات لتأمين حمايتها، وأن يكون المستوطنون بمثابة خطّ الدّفاع الأوّل ضدّ أي اعتداء على إسرائيل.

إنّ إبرام اتّفاقيّة كامب دايفيد بين الرّئيس أنور السّادات ورئيس وزراء الكيان الصّهيونيّ مناحيم بيجن عام 1978، أهدر الحقوق الثّابتة للشّعب الفلسطينيّ، الّتي أقرّتها المواثيق الدّوليّة، وأدى إلى منح سكّان غزّة والقطاع سلطة إداريّة محدودة لا تفضي بأيّ حالٍ من الأحوال إلى إقامة الدّولة الفلسطينيّة، ومواجهة التّهويد ومشاريع السّيطرة الصّهيونيّة، وعمل الكيان الصّهيونيّ على مصادرة مساحات واسعة من الأراضي الخصبة المزروعة بالخضراوات والنّخيل، حيث سيطر على ما يقرب من ثلث مساحة قطاع غزّة في الفترة الممتدّة ما بين اتّفاقيّة كامب دايفيد واتّفاقيّة أوسلو عام 1993، حيث إنّه لم تتوقّف جهود الكيان الصّهيونيّ في تدمير القطاع الزّراعي وربطه بالاقتصاد الإسرائيليّ، ولم تقتصر إجراءات الاحتلال على الجانب الزّراعيّ فقط، بل تعدّته إلى الجانب الصّناعيّ، حيث عملت سلطات الاحتلال على تدمير البنية الصّناعيّة للاقتصاد الوطنيّ الفلسطينيّ وربطه باقتصاد الكيان، وجعله تابعًا له، من خلال إجراءات عديدة ساهمت في إضعاف البنيّة الاقتصاديّة لسكّان الضّفّة وقطاع غزّة.

منذ اتّفاق أوسلو، ازداد الاستيطان بشكل أكبر، وواصلت سلطات الاحتلال مصادرة أراضي الفلسطينيين، تحت حجج وذرائع أمنية، وبحسب مصادر، فقد بلغت مساحة الأراضي التي تمت مصادرتها بعد اتّفاق أوسلو، في الضّفّة نحو 67 ألف دونم، وبلغت نسبة أراضي الضّفّة الّتي أعلنتها سلطات الاحتلال 70% تقريبًا من مجموع مساحة الضّفّة. أمّا بحسب مصادر السّلطة الفلسطينيّة، فقد بلغت مساحة الأراضي المصادرة بعد اتفاق أوسلو حتى تشرين الأول\ أكتوبر 1994، حوالي 70 ألف دونم، خصّص منها 10 آلاف دونم لتوسعة المستوطنات.

وقد تمّ تقسيم الضفة الغربية بعد التوقيع على اتفاق طابا 1995 إلى ثلاث مناطق (أ) وهي المدن والقرى الفلسطينية الكبيرة، و(ب) وهي التي تضم القرى والبلدات الصغيرة، و(ج)، وهي المساحة الأوسع وتساوي حوالي 62 بالمئة من مساحة الضفة الغربية، وتخضع إداريًّا وأمنيًّا للسّيطرة الإسرائيليّة الكاملة.

المنطقة (ج) كانت محط أطماع دولة الاحتلال، كونها المجال الحيوي لمشروع توسع الاستيطان، وما نسبته 99% محظور على الفلسطينيين استخدامها، ولا تسمح سلطات الاحتلال للفلسطينيين بالبناء فيها لأغراض السكن أو لأي أغراض أخرى، كالأغراض التّجاريّة أو الصّناعيّة، فهذه الأرض فيها معظم الموارد الطّبيعيّة في الضّفّة الغربيّة، وفيها أحواض المياه الرّئيسة، باستثناء الحوض الشّمالي الشّرقي في محافظة جنين وفيها المساحات المفتوحة الّتي كانت دخل المزارعين الفلسطينيين.

بعد اتفاق أوسلو حصلت موجتان استيطانيتان كبيرتان، الأولى حصلت بعد التوقيع مباشرة، حيث بدأ العمل على التّوسّع الاستيطانيّ، وتجريف الأراضي وشق الشّوارع الالتفافيّة، وإصدار الأوامر القضائيّة بوضع اليد على الأراضي الفلسطينيّة، خلافًا لاتفاقيّة أوسلو الّتي نصّت على أنّه لا يجوز لكلا الطّرفين اتخاذ أي خطوة من شأنها تغيير الوضع في الضّفّة وقطاع غزة لحين معرفة نتائج مفاوضات الوضع النّهائيّ.

على الدّوام كانت إسرائيل تنجح في رفع أعداد المستوطنات، حيث وصل عدد المستوطنات عام 2022 في الضفة إلى 158 مستوطنة بما فيها القدس الشّرقيّة الّتي يسكنها حوالي 750 مستوطنًا.

أمّا الموجة الثّانية، فقد بدأت مع صعود اليمين الإسرائيليّ المتطرّف إلى الحكم بعد الانتخابات الأخيرة للكنيست عام 2022، الّتي تهدف إلى رفع عدد المستوطنين في الضّفّة الغربيّة، بما

فيها القدس الشّرقيّة إلى نحو مليون مستوطن في السّنتين القادمتين.

بعد أحداث السّابع من أكتوبر 2023، استغلّ المستوطنون حالة الحرب، وعمدوا من خلال تسليحهم الّذي سهّل له الوزير اليمينيّ المتطرّف إتمار بن غفير، إلى الاعتداء على الفلسطينيين وعلى البدو ورعاة الأغنام، وتهجير البدو، والاستيلاء على مساحات كبيرة من الأراضي في الأغوار، حيث تسارعت في المدّة الأخيرة هجمات المستوطنين على التّجمّعات الرّعويّة والبدويّة بمساندة من الجيش الإسرائيليّ والشّرطة، كما يقومون بمصادرة أملاك التّجمّعات، وقد تمكّن المستوطنون بفعل هذه الإجراءات من تهجير عشرات الأسر الفلسطينية الّتي تقيم في منطقة الأغوار، كما تمّ تهجير جميع البدو والرّعاة الّذين يسكنون في مناطق سامية، ورأس التّين، والتّبون وغيرها، وكلّ ذلك، وبحسب الاحتلال يحدث، لضمان الاستقرار الأمنيّ ضدّ أي مشاركة لسكان الأغوار في المقاومة، وتهجير التّجمّعات البدويّة والرّعويّة، لإجراء التّرتيبات الدّيمغرافيّة الّتي تتوافق مع فكرة الضمّ.

بعد ما أورته سابقًا، أستطيع القول إن حجم الاستيطان في الضّفّة الغربيّة ليس قائمًا على المستوطنين فقط، إنّما من خلال العمران أيضًا، أي من خلال التّوسع في البناء، حيث إنّه من خلال اطّلاعي، تبيّن معي أنّ نسبة المستوطنين الّذين يسكنون في المستوطنات تتفاوت النّسب بينهم، ما يعني أنّ الكتل السّكانيّة قويّة في مكان ما على حساب مستوطنات أخرى نسبة السّكان فيها قليلة.

إنّ تماسك الوحدة الاستيطانيّة بالضّفّة ليس مبنيًّا على قوّة ذاتيّة، إنّما هي مرتبطة بوجود جيش الاحتلال الموجود حول الحيّز الاستيطانيّ.

وهنا أستطيع أن أطرح الإشكاليّة الّتي تتمثّل، بالتّالي:

- هذه الجماعات الاستيطانيّة، ماذا تريد؟ هي تريد أن تحكم الجيش والدّولة، وهنا يقع المأزق، وهو الاحتراب أو اللّحمة، وهنا لا أقول حربًا أهليّة ضد بعضهم، لأنّ ذلك مرتبط بإمكانيّاتهم، وعددهم، وتأثيرهم السّياسيّ والاقتصاديّ، وبالطّبع، إمكانيّاتهم لا تسمح، فإذًا، هنا سيستخدمون أداة توظيف من قبل القوّة السّياسيّة في إسرائيل، أي الحكومة، ما يعني أداة وطبقيّة، وهم ليسوا جزءًا أصيلًا من المكوّن السّياسيّ.

- فإذًا، الاحتراب يأتي من خلال وهم يغذّيه مسؤولون في الحكومة الإسرائيليّة، وهم مستوطنون، على أن يكون وزيرًا في الحكومة، وزيرًا لكل البلد، فعلى سبيل المثال، الوزير بتسلئيل سموتريش، عبر سياساته الماليّة يدعم الاستيطان بقوّة، ويعمل على ذلك، من خلال موقعه السياسي في الوزارة الماليّة، من خلال خطة الحسم التي يستخدمها، وهي تسهيل الاستيطان.

- النّقطة الأهم لمشروع الاستيطان الّذي تريده الدّولة والقوّة السّياسيّة هي الأداة التّنفيذيّة لهذا المشروع، فعلى ماذا يقوم التّشريع القانونيّ عندهم للاستيطان؟

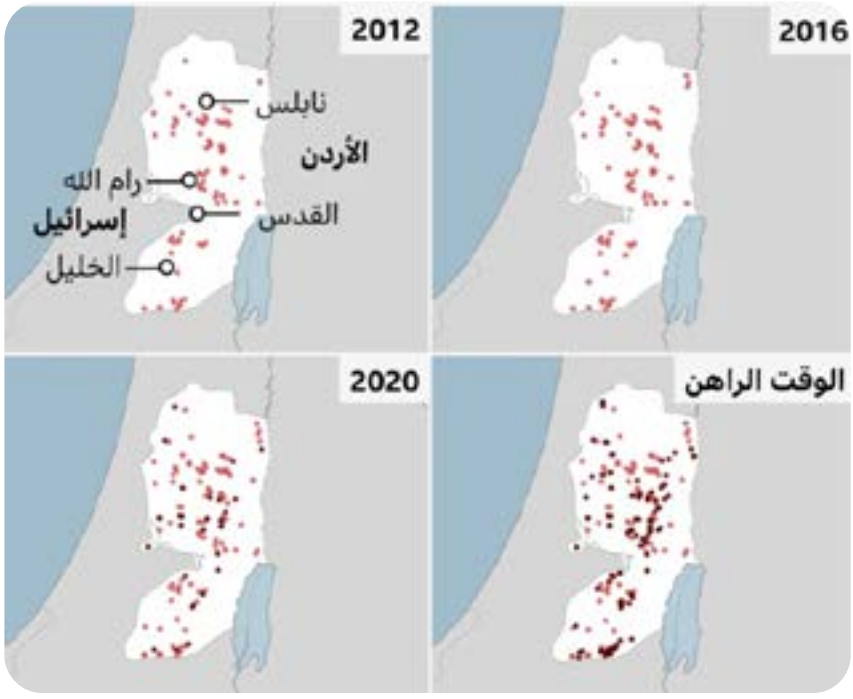

المهم ذكره هنا، أنّه، وبحسب القانون الدّوليّ، فإنّ الضّفّة الغربيّة تقع تحت الاحتلال، ومع هذا يجبر أهلها على تركها بالقوّة، وتحت عدد من الذّرائع، منها:

- إيجاد حيّز أمنيٍّ للمستوطنات، ما يعني أنّه لأسباب أمنيّة يستولون على الأراضي الفلسطينيّة، وبناء منطقة عسكريّة جغرافيّتها مفتوحة، ما تشكل دائرة كبيرة حول المستوطنة، فإذًا، وبحسب زعمهم المصادرة هي لأسباب أمنيّة.

- الاستيطان في الأراضي الفلسطينيّة في الضّفّة نوعان:

-1 الأراضي الخاصّة، وهي ملك للفلسطينيين موثّقة بـ (الطّابو) .

-2 الأراضي الأميريّة أو المشاع، وهي ملك لدولة فلسطين، وبما أنّهم يتعاطون مع هذه الأراضي في الضّفّة الغربية على أنّها أرض متنازع عليها، فمعظم الاستيطان في الأراضي الأميرية، بعد مصادرتها، حيث باتت نصف الضّفّة الغربيّة مصادرة، فقد صادروا الجبال كلّها تقريبًا، ومفتاح المصادرة يأتي من باب الزّاوية الأمنيّة.

هذا المشروع اليوم، أي مشروع

الاستيطان، يقدم نفسه هديّة الدّولة كلّها، كمشروع سياسيّ واقتصاديّ وحلّ النّزاع بطريقتهم، ويعتبرون بأنّهم سيسيرون بمشروعهم الاستيطانيّ، ومن سيقاوم هذا الاستيطانيّ من الفلسطينيين سيُقتل، ومن لا يعجبه الأمر من الفلسطينيين فليرحل، وإذا رغب بالبقاء في أرضه، فليبق، لكن بشرط أن يبقى عبدًا عندهم عاملًا في المصنع.

الخلاصة:

منذ عام 1967 حتّى الآن، مرّ الاستيطان بثلاث محطّات:

-1 من النّكسة إلى اتّفاق كامب دايفيد كان الاستيطان صغيرًا بسيطًا.

-2 بعد اتّفاق كامب دايفيد كان هناك نهضة شرسة من التّمدّد الاستيطانيّ لم يكن مهولًا حتّى اتّفاق أوسلو.

-3 منذ العام 1967 حتى اتّفاق أوسلو عام 1993 إلى اليوم تضاعف الاستيطان ثلاث مرّات.

فهناك 15% من مساحة الضّفّة المصادرة في الأغوار، حيث إنّ 4 بالمئة من الأراضي الزّراعيّة في الأغوار، في الأغوار حيث الاستيطان الحقيقيّ، حيث إن ما تنتجه الأراضي الزّراعيّة تقدّر بمليارات الدّولارات، وعليه، فإن الاستيطان المنتج موجود في أراضٍ زراعيّة منتجة، فمشاريع التّمور على سبيل المثال تنتج من مليار دولار إلى مليار ونصف، هذا عدا عن مشاريع الخضراوات الّتي بدورها تدرّ مبالغ كبيرة للاقتصاد الإسرائيليّ.

-1 هؤلاء المستوطنون، وبما أنّهم منتجون، فمشروعهم مرتبط بالدّولة، ويريدون قيادة الدّولة كلّها نحو مشروعهم، وهذا تتم ترجمته على الأرض، ما يعني أنّهم يريدون قهر الإسرائيليين أنفسهم، فجزء من فكرة الاستيطان هو جزء ديني أسطوري، أما العلمانيّون لا يقتنعون بهم، و80% من الإسرائيليين لا يعرفون الضّفّة الغربيّة، فقط الجنود يعرفونها، لأنّهم يعيشون فيها بسبب حماية المستوطنين الموجودين هناك.

فإذًا، كلّ المشروع الاستيطانيّ الإحلاليّ هو فكرة غربيّة، وعُمل عليه عبر التّاريخ، وكلّ المشاريع الاستيطانيّة التي مرّ بها التّاريخ، وفي قرون مضت انتهت وزالت، لم تنجح فيها مشاريع الاحتلال، ففي الجزائر على سبيل، لم يستطع الاحتلال البقاء في أرضها، حيث إنّها طردت 2 مليون مستوطن فرنسي بعد قرن من الزّمن واستقلت، وكذلك جنوب أفريقيا، وناميبيا.

-2 الشّعب الفلسطينيّ بعد قرنٍ من النّضال إلى الآن لم يرفع الرّاية البيضاء، وما زال يناضل حتّى اللّحظة، وما معركة طوفان الأقصى إلا دليلٌ على ذلك، وانتفاضة الأقصى عام 2002 هي دليل على مطاردة الفلسطيني في كل مكان، وقد حصلت انتفاضة الأقصى عام 2002 بعد أن اقتحم زعيم المعارضة الإسرائيليّة أرييل شارون باحات المسجد الأقصى تحت حماية حوالي 2000 جندي ومن القوات الخاصّة، بموافقة رئيس الوزراء حينها إيهود باراك، فوقعت مواجهات بين المصلّين وقوات الاحتلال، انتهى الأمر بالإسرائيليين بضم أراض وبناء جدار فصل عازل الّذي أقرَّت محكمة العدل في لاهاي بعدم قانونيّته، وطالبت إسرائيل بوقف بنائه، غير أنّ إسرائيل لم تتوقّف عن ذلك، وعليه، فهم يطاردون الفلسطينيين في كل مكان، فمأزق الاستيطان إذًا، هو في مقاومة الشّعب الفلسطينيّ، ووجود تلك الكتلة الاستيطانية في الضّفّة تحتاج إلى حماية، لذا، يعمد المستوطنون وتحت حماية الجيش الإسرائيلي للاستيلاء على أراضي الفلسطينيين وطردهم منها.

-3 من المحتمل أن يؤدّي توسّع الاستيطان إلى حرب أهليّة، فبكل بساطة المستوطنون يريدون أن يأخذوا كلّ مقدّرات الدّولة، فالمجتمعات الدّينيّة هي ضد المستوطنين الّذين يعيشون في تلك المستوطنات، فهناك مجتمعان واحد منتج يدفع ضرائب للدّولة، وآخر غير منتج يأخذ من الدّولة ولا يدفع ضرائب بحجة التّفرغ للدّين، بالإضافة إلى التّقسيم العرقي والطّائفيّ، والمشروع الاستيطاني خلال السّنوات الثّلاث القادمة، سيفرض فيه المستوطنون أنفسهم بالقوّة على مؤسّسات الدّولة، ولن يقبلوا المشاركة مع غيرهم، لكنّهم في الوقت نفسه يواجهون قوتيْن، القوّة الأولى، مقاومة الشّعب الفلسطينيّ، والمقاومة الثّانية، هي مواجهة الكتلة الفاعلة لدولة إسرائيل.

-4 المستوطنون غير متعلّمين، وهم فقراء، وليس عندهم أرصدة في البنوك، قياسًا بقادتهم الّذين يقطنون المدن الكبرى، في تلّ أبيب وحيفا، وقادتهم أيديولجيون وغير سياسيين.

غير أنّ العقد الاجتماعيّ الّذي صاغه للدّولة دايفيد بن غوريون، ومازال ساريًا إلى اليوم، لا يتماشى مع طموحات المتدينين، فالمستوطنون والصّهيونيّة الدّينيّة يريدون صياغة عقد جديد، وقد أتى ذلك واضحًا بعد أن طالب وزير العدل الإسرائيلي من نتنياهو إجراء تعديلات قضائيّة، الّتي من مهامها نزع كل إمكانياتهم لصالح المستوطنين.

بعد انتهاء حرب غزة، إذا طُرح موضوع الإصلاح القضائيّ من جديد، الّذي يعبّر عن قرار المستوطنين وطموحاتهم، سيلاقي مواجهة وعنف في الشّارع، وإذا لم يُطرح، فمشروع الاستيطان سيتوقف، فجميعهم لا يستطيعون صياغة عقد اجتماعيّ جديد، وعدم صياغة عقد اجتماعيّ جديد يعني بداية انهيار هذا المشروع.

الاستنتاجات:

على الرّغم من الحوافز الّتي نجحت حكومة الاحتلال في تقديمها للمستوطنين، الأمر الّذي أدى إلى استقطاب الآلاف من المستوطنين اليهود، وتشجيعهم على السّكن في

المستوطنات الّتي تقيمها سلطة الاحتلال في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة، ما يؤدّي إلى جذبهم إلى السّكن في المستوطنات، وذلك لأسباب عديدة، منها أسباب دينيّة، لاعتقادهم أنّ الله أعطى هذه الأرض لليهود، كما أن الحياة أرخص بكثير منها في المدن الكبرى، لكن يتبيّن لنا، أنّه وبالرّغم من تماسك اليهود الّذين استوطنوا الأراضي الفلسطينيّة، غير أنّ الواقع يظهر عكس ذلك، فالمستوطنون المهاجرون هم من فئات وبيئات مختلفة، فهم من يهود الفلاشا وأفريقيا والمغرب العربيّ، وهؤلاء يعيشون في منطقة اللواء الجنوبي الصّحراوي، ويعملون بالأعمال اليدويّة كالزّراعة والحرفيّة، بينما يهود أوروبا الشّرقيّة يستوطنون الشّمال، وذلك، بما يخدم طبيعة عملهم، حيث يسكنون في المناطق الكبرى، كعكا وحيفا ونهاريا، ما يوفر لهم سكنًا منخفض التّكاليف، بينما يستوطن اليهود المتدينون «الحريديم» أحياء القدس، وبني براك، وبيت شميش، لكنّهم يتقوقعون على أنفسهم، وبعيدًا عن المجتمع العلمانيّ في السّاحل وتل أبيب، بالقرب من الامتيازات الّتي تقدّمها الحكومة، والمدارس اليهوديّة الدّينيّة في القدس.

هذا التّقسيم الطّبقيّ سيؤدّي بطبيعة الحال إلى صراع طبقيّ، عرقيّ، وطائفيّ، حيث إنّ المجتمع الإسرائيليّ مبنيٌّ على المهاجرين، فالصّراع العرقيّ هو بين اليهود الشّرقيين والمهاجرين الأوروبيين، أما الصّراع الطّبقيّ فهو بين الفقراء والأغنياء، والطّائفيّ بين المتدينين والحريديم والعلمانيين.

الصّراع الطّائفيّ يظهر جليًّا بين المستوطنين اليهود، حيث ينقسم المجتمع اليهوديّ في لواء الشّمال وحيفا إلى قسميْن، مهاجرين ومؤسّسين. المؤسّسون هم اليهود الّذين أتوا إلى فلسطين في مرحلة الانتداب، ويتمركزون في تسعة تجمّعات استيطانيّة، اختلط معظمهم اجتماعيًّا مع سكّان أوروبا الغربيّة، والمهاجرون هم يتوزّعون على المستوطنات الجماهيريّة والزّراعيّة والتّعاونيّة والموشاف، وهم من أصول سوفياتيّة وأوروبا الشّرقيّة، كما القلّة القليلة من اليهود الشّرقيين (العرب) الّذين أتوا من المغرب العربيّ والعراق ومصر. هذا المزيج أدى بالشّعور إلى التّمييز والتّفرقة والطّبقيّة والعنصريّة، مرورًا بالوضع المعيشيّ والتّعليميّ، ومستوى الدّخل المتدنّي لمستوطني الشّمال، غير أنّ نسب الفقر ترتفع بين العائلات اليهوديّة في الشّمال، والمستوى الأكاديميّ العام المنخفض مقارنة بالوسط والمركز ما ينذر بوجود فجوة طبقيّة، وبحسب التّصنيف للحالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لمستوطني الاحتلال، بحسب تقارير، فهي 44 بالمئة يحصلون على أدنى الأجور، و23 بالمئة يحصلون على أجور أعلى من الحد الأدنى ما يحوّلها إلى مستوطنات غنيّة إلى ميسورة تعتاش على الأعمال الموسميّة الّتي لا تحمي من الفقر، فهم يعملون بالزّراعة، والسّياحة، وتنشيط المزارات الدّينيّة والبيئيّة، كما أنّ المستوى التّعليميّ للمستوطنين في الشمال منخفض أكثر منه في الجنوب، ما يؤدّي إلى تعميق انقساماتها وتظهيرها، وانكشاف فئاته وصراعاته على بعضها البعض، بالإضافة إلى التّعديلات القضائيّة الّتي يسعى إليها التّيّار الدّينيّ خدمة لمصالحه الخاصّة، وعليه، هل نستطيع اعتبار بناء المستوطنات وتمدّدها يأتي لمصلحة الكيان أم أنّه سيجد نفسه في المستقبل القريب أمام مأزق لا يستطيع الهروب منه؟ وهل فعلًا بناء المستوطنات يدل على تعافي الدّولة واستقطاب المهاجرين؟ خاصّة أنّ معركة طوفان الأقصى جاءت لتعمّق الصّراع والتّفاوت الطّبقيّ، والحرب الّتي أدّت إلى توقّف هجرة اليهود إلى فلسطين، حيث إنّ الهجرة باتت عكسيّة، بسبب الحرب، حيث تذكر مصادر يهوديّة أنه حوالي مليون يهوديّ غادروا فلسطين المحتلة إلى غير رجعة، فالأسباب الّتي أتوا من أجلها لم تعد موجودة الأمن والعمل، وتشير المصادر إلى أنّ من بين الّذين تركوا فلسطين المحتلّة شباب تم استدعاؤهم إلى التّجنيد، هذا عدا تدهور الوضع الاقتصاديّ حيث تشير التّقارير إلى أنّ ربع الإسرائيليين صاروا تحت خطّ الفقر، بالإضافة إلى أن الشّركات تأثرت، فـ 726 ألف شركة إسرائيليّة صغيرة وناشئة أغلقت منذ بدء الحرب، وتشير التّوقّعات إلى أنّه سيرتفع عدد الشّركات الّتي ستغلق أبوابها إلى 800 ألف شركة مع نهاية العام.

كما تراجعت الاستثمارات الأجنبيّة بنسبة 40 بالمئة من 25 مليار دولار عام 2023، إلى 15 مليار دولار في النّصف الأوّل من عام 2024، بحسب مواقع إلكترونيّة.

إذًا، نستدلّ، من خلال كلّ ما ذكرناه أنّ الأزّمة ستتفجّر بعد أن تنتهي الحرب، ولولا حرب 7 أكتوبر 2023 لكان ذلك الصّراع قد ظهر إلى العلن بوضوح.

لائحة المراجع:

-1 ضيف (شوقي) البحث الأدبي، الطّبعة الثّانية، دار المعارف مصر، 1976.

-2 مجلّة الشّرق الأوسط/ رام الله.

-3 مجلّة البيان، العدد 378.

-4 مجلّة الدّراسات الفلسطينيّة، العدد 21، شتاء -1995 2024.

-5 مركز دراسات الوحدة العربيّة.

-6 معهد الأبحاث التّطبيقيّة-القدس (أريج)، بالتّعاون مع معهد أبحاث السّياسات (ماس).

-7 وزارة الخارجيّة والمغتربين (دولة فلسطين).

-8 الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثّاني (الدّراسات الخاصّة في ستّة مجلّدات)- المجلّد الخامس.

-9 موقع الجزيرة نت.

-10 موقع الحرّة.

رصد الهدف

مخيمات الضفة في مواجهة التهجير والإبادة

الهدف ـ الضفة الغربية

تصعيد غير مسبوق في الضفة الغربية

بينما يواصل الاحتلال الإسرائيلي عملية الإبادة الجماعية في قطاع غزة، تعمل جرافاته بلا توقف على محو معالم الحياة الفلسطينية في الضفة الغربية. المنازل تُهدم على رؤوس أصحابها، والمدنيون يُقتلون تحت نيران الجنود والدبابات والطائرات، فيما تتسارع عمليات ضم الأراضي بوتيرة تفوق ما تم الاستيلاء عليه خلال 24 عامًا مجتمعة. مع اندلاع «طوفان الأقصى» في أكتوبر/تشرين الأول 2023، تحولت الضفة الغربية إلى ساحة تصعيد دموية، حيث سجلت الأمم المتحدة استشهاد 805 فلسطينيًا بين أكتوبر 2023 ونهاية 2024، بينهم 593 قضوا بالذخيرة الحية خلال عمليات الاقتحام العسكري. وفي عام 2025، استمرت الموجة الدموية، حيث ارتفع عدد الشهداء إلى 90 فلسطينيًا حتى التاسع من مارس/آذار الجاري، مع تركيز واضح على مخيمات جنين وطوباس ونور شمس، التي شهدت عمليات عسكرية موسعة باستخدام الدبابات والطائرات الحربية لأول مرة منذ الانتفاضة الثانية.

التركيز الجغرافي:

مخيمات شمال الضفة تحت النار

كشفت البيانات أن العمليات العسكرية الإسرائيلية تركزت في شمال الضفة، حيث تصدرت المناطق التالية قائمة أكثر الأماكن دموية:

مخيم جنين: 173 شهيدًا

طولكرم ومخيمها: 98 شهيدًا

مخيم نور شمس: 77 شهيدًا

كما أدت سياسة التهجير القسري إلى تدمير شبكة الطرق والبنى التحتية، حيث أظهرت صور الأقمار الصناعية:

تدمير 12.5 كم من شبكة الطرق في طولكرم ومخيم نور شمس.

تجريف 17.5 كم من الطرق داخل مخيم جنين.

تدمير مئات المنازل والمباني في المخيمات الثلاثة.

التهجير القسري: أرقام صادمة

منذ أكتوبر 2023 حتى مارس 2025، بلغت حصيلة التدمير:

2560 منشأة مهدمة (منازل، متاجر، بنى تحتية).

5919 شخصًا نزحوا قسرًا.

أكثر من نصف مليون فلسطيني متأثر بالهدم وانقطاع الخدمات.

أبرز حالات النزوح حسب المخيمات:

مخيم طولكرم (ثاني أكبر مخيم في الضفة):

205 منشآت مهدمة/1070 نازحًا.

مخيم نور شمس:

174 منشأة مهدمة/965 نازحًا.

مخيم جنين:

144 منشأة مهدمة/960 نازحًا.

وفقًا لوكالة الأونروا، تضاعفت أعداد النازحين في الأشهر الأخيرة، حيث أجبرت العمليات العسكرية الأخيرة نحو 40 ألف فلسطيني على مغادرة منازلهم، في أكبر موجة نزوح منذ حرب 1967.

الأوضاع الإنسانية: انهيار متسارع

تسببت العمليات العسكرية في:

انقطاع الكهرباء والمياه عن آلاف العائلات.

تدهور الخدمات الصحية، خاصة في المناطق المحاصرة.

تدمير المدارس والمراكز الخدمية، مما زاد من معاناة المدنيين.

المقاومة: تصاعد كمي ونوعي

رغم القمع العسكري، شهدت الضفة نموًا ملحوظًا في العمل المقاوم، حيث رصد مركز «معطى» الفلسطيني:

391 عملية مقاومة (إطلاق نار، اشتباكات مسلحة، عمليات طعن، تفجيرات).

مقتل جنديين إسرائيليين ومستوطن.

إصابة 30 عنصرًا من القوات والمستوطنين.

الضفة بين التهجير والمقاومة

تتحول مخيمات الضفة الغربية إلى ساحات مواجهة مفتوحة، حيث يعمل الاحتلال على تفريغها من سكانها بينما تنمو المقاومة كردّ طبيعي على سياسات القتل والتهجير. المشهد ينذر بتصاعد أكبر في العنف، خاصة مع استمرار تجاهل المجتمع الدولي للجرائم الإسرائيلية.

الضفة الغربية لم تعد فقط ساحة صراع، بل أصبحت نموذجًا صارخًا لمحاولة محو الهوية الفلسطينية تحت ذرائع أمنية كاذبة.

ترجمة

«كيف أصبح النجاح الاقتصادي للصين هدفاً لترامب والإمبريالية الأمريكية؟»

ترجمة: نور نوارة

سيرجي كوزيمياكين مجلة People World الأمريكية 2025/3/21

يصف العديد من المراقبين دونالد ترامب بأنه "متناقض" أو "متقلب"، ولكن هذه النظرة قد تغفل هدفًا واضحًا: الربح. في البداية لنفسه، ثم للطبقة الحاكمة الأمريكية التي يمثلها.

إن صورة ترامب في حملته الانتخابية باعتباره "صديقًا للطبقة العاملة" و"خصمًا للحرب" تتلاشى بسرعة. وبمجرد توليه منصبه، ركزت الإدارة الجمهورية على الدفاع عن هيمنة واشنطن العالمية.

وتم تحديد الصين، وتحديدًا الحزب الشيوعي، باعتبارها التهديد الرئيسي. ويصفها وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو بأنها "الخصم الأقوى والأخطر" الذي تواجهه الولايات المتحدة، بينما يرى رئيس البنتاغون بيت هيغسيث أن الصين هي التي تقود القوى ضد "القدرات الغربية". ويؤكد أنه "يجب على أمريكا أن تخلق رادعًا للحفاظ على هيمنتها العالمية."

تنبع الكراهية تجاه الصين من إنجازاتها الاقتصادية. ففي الوقت الذي نما فيه الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي بنسبة 2.8%، نما الاقتصاد الصيني بنسبة 5%، وارتفع قطاع الصناعة بنسبة 6% تقريبًا وقطاعات التكنولوجيا الفائقة بنسبة 9%.

تتضاءل ريادة الولايات المتحدة في التجارة العالمية؛ فقبل 25 عامًا، كانت واشنطن شريكًا أكثر أهمية لـ 80% من الدول، أما الآن، فإن ما يقرب من 75% من الدول تتاجر مع الصين أكثر.

إن الخلل في التوازن التجاري بين الولايات المتحدة والصين ملفت للنظر. ففي العام الماضي، باعت الولايات المتحدة 164 مليار دولار للصين ولكنها اشترت منها ما قيمته 525 مليار دولار. ونتيجة لذلك، فرض البيت الأبيض رسومًا جمركية بنسبة 10% على جميع الواردات الصينية في الأول من فبراير/ شباط، لترتفع إلى 20% بعد شهر، إلى جانب الرسوم الجمركية الحالية من عهد ترامب.

وقد أساءت واشنطن تقدير تأثير هذه الإجراءات الاقتصادية، التي أضرت بشكل رئيسي بالمنتجين والمستهلكين الأمريكيين، مما أدى إلى تفاقم العجز التجاري. انخفض اعتماد الصين على التجارة الخارجية من 60% إلى 37% من الناتج المحلي الإجمالي بسبب زيادة الاستهلاك المحلي.

ردت بكين بسرعة بفرض رسوم جمركية تتراوح بين 10 و15% على الفحم والغاز والمركبات والمنتجات الزراعية الأمريكية وشددت ضوابط التصدير على المعادن الأرضية النادرة بينما كانت تحقق مع شركات أمريكية مثل جوجل بسبب انتهاكات مكافحة الاحتكار.

"إن تهديد الصين" يقود الابتزاز ضد

بنما والدنمارك، التي تمتلك غرينلاند، وغالبًا ما يُعزى ذلك إلى 'نزوة ترامب الشخصية'. حتى في عهد بايدن، واجهت شركة "تانبريز" الأسترالية التي تسيطر على رواسب التربة النادرة في غرينلاند ضغوطًا، واضطرت إلى التخلي عن العقود مع الصين وبيع الأصول بثمن بخس لشركة "كريتشاكال ميتالز". وحدث موقف مماثل في بنما، حيث تم إلغاء اتفاق مع شركة هواوي لصالح الشركات الأمريكية.

لا يُظهر الموقف العدواني في منطقة آسيا والمحيط الهادئ أي علامات على التليين. فقد انتقد ترامب سلفه بسبب تباطؤ إمدادات الأسلحة إلى تايوان، مؤكداً على عقود بقيمة 20 مليار دولار. وقد ردد روبيو هذا الشعور، خوفًا من عدوان بكين المحتمل على الجزيرة. وبعد فترة وجيزة من تنصيب ترامب، تم توقيع صفقة بقيمة 761 مليون دولار لثلاثة أنظمة دفاع جوي من طراز "ناسماس".

لطالما كان اعتراف واشنطن بمبدأ "صين واحدة" بمثابة قيد تقليدي، ولكن قد تكون هناك تغييرات في طور الظهور. في فبراير/شباط، اقترح عضوا الكونجرس الجمهوريان توم تيفاني وسكوت بيري قرارًا لاستعادة العلاقات الدبلوماسية مع تايوان، وإبرام اتفاقية تجارة حرة، ودعم دخول تايوان إلى المنظمات الدولية، واصفين مبدأ "الصين الواحدة" بأنه مبدأ عفا عليه الزمن.

وفي الوقت نفسه، تتعزز العلاقات الأمريكية اليابانية. ففي 7 فبراير/شباط، التقى ترامب برئيس الوزراء الياباني شيغيرو إيشيبا، وانتقد بيانهما المشترك أنشطة الصين في بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي. وتهدف الولايات المتحدة واليابان إلى تنفيذ "استراتيجية احتواء موسعة" ضد الصين، بما في ذلك توسيع وجودهما العسكري في جزر ريوكيو.

وتحظى جزر سينكاكو، محل النزاع بين الصين واليابان، بدعم الولايات المتحدة لمطالبات اليابان. وتضمن معاهدة التعاون والأمن المتبادل المساعدة العسكرية لهذه الجزر، مع تأكيد ترامب على دفاع الولايات المتحدة الكامل عن حلفائها. كما أشاد بالتزام إيشيبا برفع الإنفاق العسكري إلى 2% من الناتج المحلي الإجمالي ودعم التحالف الثلاثي مع كوريا الجنوبية، مشددًا على المطالبة بنزع السلاح النووي لكوريا الشمالية ومؤيدًا مشاركة تايوان في المنظمات الدولية.

وقد ردد إيشيبا مشاعر تايوان من خلال وعده باستثمار تريليون دولار في الاقتصاد الأمريكي وشراء الوقود من مصادر أمريكية، معلنًا عن "عصر ذهبي" في العلاقات الأمريكية اليابانية. وقد أدانت وزارة الخارجية الصينية نتائج القمة واعتبرتها تدخلاً في شؤونها الداخلية، وحثت الولايات المتحدة واليابان على احترام وحدة أراضي الصين، وهو النداء الذي تجاهلته واشنطن لصالح تحالفاتها.

وفي فبراير/شباط، نشرت الولايات المتحدة قاذفتين من طراز B-1 لانسر للقيام بدوريات في بحر الصين الجنوبي إلى جانب القوات الجوية الفلبينية، وحلقت فوق شعاب سكاربورو المرجانية التي تطالب بها الصين. وبالتزامن مع ذلك، أجرت القوات البحرية الأمريكية والفلبينية واليابانية والأسترالية تدريبات في المنطقة والمحيط الهادئ، شاركت فيها مجموعات حاملة طائرات أمريكية وفرنسية.

وقد تقدمت عملية تحويل الفلبين إلى معقل معادٍ للصين لسنوات، حيث أصبح بإمكان البنتاغون الآن الوصول إلى ما يقرب من اثنتي عشرة قاعدة عسكرية. وفي الآونة الأخيرة، تمركزت أنظمة صواريخ "تايفون" في لوزون، مما يشكل تهديدًا لجنوب الصين. وقد بدأ الجيش الفلبيني التدريب على هذه الأنظمة، وطلبت مانيلا المزيد من الصواريخ متوسطة المدى والمعدات العسكرية من واشنطن.

وفي حين شهدت ولاية ترامب السابقة بعض الابتعاد عن التحالفات، إلا أن هذا الأمر قد تغير. ففي 21 يناير/كانون الثاني، عُقد اجتماع الحوار الأمني الرباعي (QUAD) الذي أكد من جديد على التعاون ضد الأعمال الأحادية الجانب في بحري الصين الجنوبي والشرقي مستهدفاً الصين. يدعم البيت الأبيض تكتل "أوكوس"، وناقش مستقبله خلال زيارة وزير الدفاع الأسترالي ماريليس. وقد حولت أستراليا بالفعل 500 مليون دولار لثلاث غواصات من طراز فيرجينيا.

كما أعاد الوزير روبيو التأكيد على التعاون مع وزير الخارجية البريطاني ديفيد لامي في مختلف القضايا العالمية. والتقى رئيس الوزراء الهندي مودي بترامب في 13 فبراير/شباط، وناقشا "شراكة ضخمة من أجل الازدهار" وزيادة التبادل التجاري إلى 500 مليار دولار، بما في ذلك شراء الهند للمعدات العسكرية الأمريكية. انخفضت حصة روسيا من واردات الأسلحة الهندية بشكل كبير من 62% في عام 2017 إلى 34% في عام 2023.

ووافقت الهند على خفض الرسوم الجمركية على السلع الأمريكية وزيادة مشتريات الوقود من الولايات المتحدة، والعمل معًا على إيجاد بديل لمبادرة الحزام والطريق الصينية. وقد أكد ترامب على إنشاء طريق تجاري رئيسي يربط الهند بالولايات المتحدة، مما يؤكد قدرة الغرب على تجاوز الانقسامات في الدول النامية مع تعزيز تعدد الأقطاب.

حوار الهدف الثقافي

مع الكاتب والمخرج المسرحي فتحي عبد الرحمن

حوار: أمينة عباس صحفية سورية

تقديراً لمسيرته الفنية المليئة بالعطاء والإبداع، وتكريماً لجهوده الكبيرة في إثراء المشهد المسرحي الفلسطيني والعربي، اختارته الهيئة العربية للمسرح ليكون صاحب رسالة اليوم العربي للمسرح، والتي ألقاها في 10 كانون الثاني 2025 ضمن فعاليات الدورة الـ15 من مهرجان المسرح العربي، التي أُقيمت في مسقط، عاصمة سلطنة عُمان. وهو يُعدّ واحداً من أبرز المسرحيين الفلسطينيين الذين آمنوا بأن الفن وسيلة للدفاع عن قضية بلده، وجزء لا يتجزأ من المقاومة والتعبير عن معاناة الشعوب، وإيقاظ الوعي الجماعي، فقدّم عدداً كبيراً من الأعمال الداعمة للقضية الفلسطينية كممثل ومخرج، سواء بطريقة مباشرة أو بأسلوب الخطاب غير المباشر، لتوصيل الرسالة ومقاومة القمع والظلم بطرق وأساليب مختلفة.

السيرة الذاتية:

يسر مجلة الهدف أن تستضيف الكاتب الفلسطيني والأسير المحرر وسام الرفيدي في هذا الحوار.

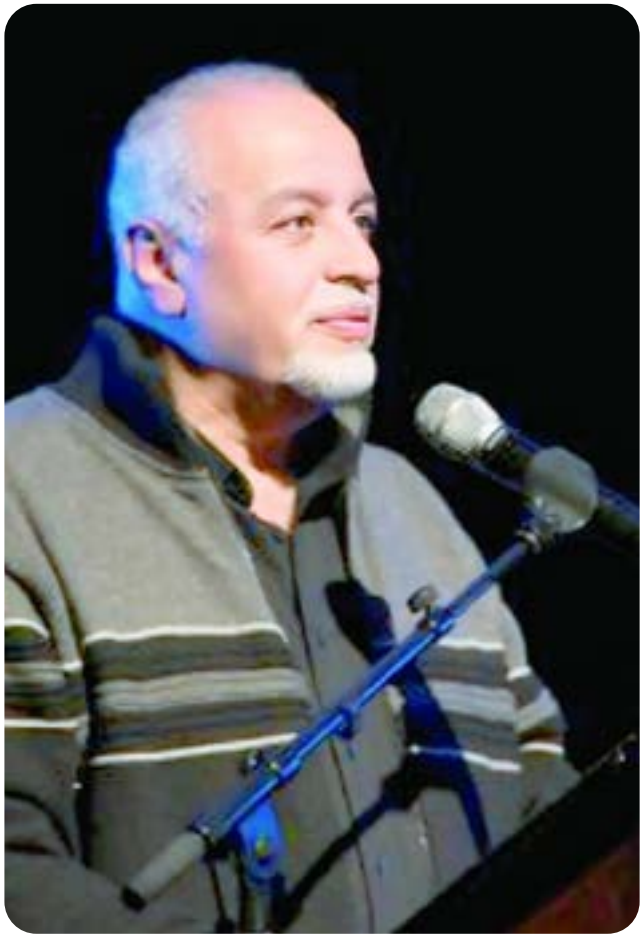

السيرة الذاتية:

وُلد فتحي عبد الرحمن عام 1953 في مخيم عقبة جبر قرب أريحا، حاصل على بكالوريوس نقد فني من المعهد العالي للفنون المسرحية في القاهرة، وبكالوريوس في الإخراج المسرحي من أكاديمية الفنون الجميلة في بغداد. في رصيده عشرات المسرحيات، مثل: «الغرباء لا يشربون القهوة»، «ماري أنطوانيت»، «الأميرة القبيحة». كانت بداية علاقته بالمسرح من خلال مسرحية «الغرباء لا يشربون القهوة»، التي تسرد مقاومة الاحتلال، للكاتب المصري محمود دياب، ثم مسرحية «الفرافير» للكاتب المصري الراحل يوسف إدريس، والتي تتحدث عن الظلم والاستبداد والعلاقة بين العبد والمُستعبِد. كما جسّد، منذ سنوات عديدة، وحشية العدو ضد سكان قطاع غزة من خلال مسرحية «الضوء الأسود»، التي تتحدث عن القنابل التي يستخدمها الكيان الصهيوني في الدمار والإبادة، واستخدام الفوسفور الأبيض الذي يستعمله العدو منذ 30 عاماً حتى اليوم. كما جسّد، في مسرحية «رحلات أبو الخيزران»، واقع الحياة في قطاع غزة، والمأخوذة من رواية تحمل الاسم نفسه للكاتب غسان كنفاني، حيث تناول فيها رغبة كثير من الفلسطينيين وسكان قطاع غزة في الهروب بعيداً عن الموت البطيء الذي يعيشونه، من خلال الهجرة غير الشرعية عبر البحر إلى أوروبا. في حين عبّر، من خلال مسرحية «قلنديا رايح جاي»، وهي من تأليفه وإخراجه، عن محاولات الاحتلال الإسرائيلي تهجير الفلسطينيين وسكان القدس المحتلة وتهويد المدينة.

■ **حدثنا في البداية عن سيرتك الشخصية والفنية؟**

كانت تجربتي المسرحية ملازمة لتجربتي الحياتية الوجودية بلا انفصام، ولعلي أوجز الإشارة إليها بالقول: إني وُلدت في مخيم للاجئين الفلسطينيين، ودرست في مدارس وكالة غوثهم «الأونروا». وفي المخيم، كان لي حظ مشاهدة أول مسرحية في حياتي، التي بلغت وإياها السبعين عاماً، ونحن نتنقل متلازمين من مخيم لجوء قسري إلى آخر، سواء خارج الوطن الفلسطيني المحتل أو داخله. وهكذا وجدتني، مع كل تجربة انتقال تفرضها الحاجة الماسة، أحمل كتبي ونصوصي المسرحية أينما ارتحلت، آملاً أن يتحقق الحلم بالعودة إلى فلسطين الوطن، وطن الحرية والكرامة والاستقلال. وعندما عدت إلى وطني، عقب توقيع اتفاقيات أوسلو، وجدتني أعود إلى أكبر وأعتى سجن عرفه التاريخ، فتابعت خطوي في درب الآلام المديد، كما تابعته في مخيمات اللجوء القسري وبلاد الشتات. والحق أنني لم أجد مخلصاً صادقاً غير المسرح، لينقذني من غربتي ووحدتي وقهري. دأبت على حمل خشبة مسرحي المتنقل على ظهري، ورحت أتنقل، وإياه، من موقع إلى آخر، من بين مئات المواقع في البلدات والقرى والمخيمات، فوجدتني أمعن في التفاعل مع من يعانون بؤس العيش ومرارة القهر، وهوان التمييز العنصري، وغشامة استبداد جيش الاحتلال الصهيوني، وضراوة توحشه. وهكذا أدركت، عبر صيرورة هذه التجربة المفتوحة، حجم الظلم الذي تعرض له زملائي وزميلاتي المنتمون والمنتميات إلى المسرح بأوسع معانيه وأعمقها، في المعازل الإجبارية القهرية التي فُرضت عليهم؛ إذ عايشتهم وهم يقاتلون بصدورهم العارية، من أجل أن يكون لهم مسرح يجسد سرديتهم الفلسطينية الإنسانية الحضارية التاريخية المؤصلة، ورؤاهم المستقبلية المفتوحة على مستقبل فلسطيني إنساني، وهو ما يوجب امتلاكهم وممارستهم، في الحد الأدنى، حقوق الحياة، وحرية التنقل والتعبير، والوصول إلى المعرفة، وفي صلبها المعرفة المسرحية، ناهيك عن حقوق التعلم وتبادل الخبرات، والوصول السلس إلى المؤتمرات والمهرجانات والندوات وورشات العمل دون عوائق مفتعلة يُراد لها أن تحول دون المشاركة الحيوية فيها. وإلى ذلك، لم يكن لسؤالنا الحياتي الوجودي الدائم، كمسرحيين فلسطينيين داخل الوطن المحتل، وفي مخيمات اللجوء القسري وبلاد الشتات، أن يختلف، بأي قدر، عن سؤال شعبنا الحياتي الوجودي الدائم، وهو: متى يُرفع الظلم الاستعماري الاحتلالي الثقيل عن صدر أرضنا، وعن صدورنا، وعن صدور أجيالنا المتلاحقة؟

> **المسرح في سوريا حالة ثقافية فنية أصيلة**

■ **لمن يعود له الفضل في إيمانك بالمسرح وسيلة للخلاص؟**

عائلتي المسرحية الكبيرة هي التي رسخت إيماني بالمسرح وبالفنون، وهي التي أسهمت في تعميق معرفتي الفكرية والجمالية وتوسيعها، وفي تمكيني من بلورة خياراتي الذاتية، التي جعلتني أكثر إدراكاً لكينونتي الوجودية ولقضيتي الوطنية الإنسانية العادلة، وذلك على نحو أقلّني لأن أرسّخ التزاماً بأداء واجبي إزاء مسؤولية الدفاع عن هويتنا العربية الإنسانية، وروايتنا الحضارية التاريخية الراسخة، وإنسانيتنا الجوهرية الجامعة، التي تساوي بين البشر، وتجنبهم الوقوع في فخ العنصرية والانغلاق والانعزال والنرجسية وتضخم الذات». ولذلك، أنا ممتن للمخرجين والممثلين والمسرحيين المبدعين العرب، الذين جايلتهم، أو الذين تتلمذت على أيديهم، أو الذين تقاسموا معي السير في الدروب الإبداعية الشيقة، حاملين مشاعل الإبداع في مركب الفن الساحر، فأولئك هم الرواد المقاتلون في سبيل الحقيقة والحق والجمال والسمو والنبل، والمبدعون الأفذاذ الذين فتحوا أمام جيلي آفاق الإبداع المسرحي. كما لا يجب أن أنسى جمهور مسرحنا العربي، الذي ما فتئ حضوره وتفاعله وتقديره للمسرح يبعث الدفء في قلوب المسرحيين، إذ يشاركهم الأمل والتأمل في أحوالنا، والاحتجاج والغضب على انتكاساتنا وتراجعنا.

■ **ما مفهومك كفلسطيني للمسرح؟**

المسرح خيمتنا الدافئة التي نستظل بها، وفي رحابها نبوح بأفكارنا وأسرارنا، وكل مشاعرنا. إنه حياتنا التي نحلم بإبداعها وعيشها، وهو حلمنا التخييلي الدائب بكيفيات بناء عالم بشري أبهى وأجمل، أو، على الأقل، عالم بشري أقل وحشة ووحشية وعنصرية وفاشية، ومعاداة للإنسانية! وألف نعم ونعم للمسرح، الذي هو مخيالنا، ومجال إبداعنا، ومتعتنا، وجنوننا العبقري الخلاق، وشرفتنا التي نطل منها، ومعها، وبعيونها اليقظة، وعيوننا المفتوحة على وسعها، على العالم الشاسع، لنطرح الأسئلة، ونتعلم الحكمة، ونعيش الحب، ونقرأ التاريخ، ونستلهم دروسه، فيما نحن ندرك حقائق الواقع القائم، ونستقرئ ممكناته، ونستشرف آفاق المستقبل المنشود. يعلمنا المسرح الإصغاء والتأمل، والتفاعل الحواري، والأخذ والرد، واحترام الاختلاف، وقبول النقد، وتنظيم الاشتباك. وليس مسرحاً حقيقياً ذلك المسرح الذي لا يؤسس نفسه على قبول الاختلاف الخلاق، والتعددية الثقافية المثمرة، والتنوع الإنساني. وليس مسرحاً حقيقياً ذاك الذي لا ينتصر لقضايا الإنسان، وللمبادئ والقيم الإنسانية السامية.

■ **إلى أي مدى نجح المسرح الفلسطيني في تسليط الضوء على ما يعانيه الشعب الفلسطيني؟**

نجح المسرح الفلسطيني، ومنذ وقت طويل، في تناول الهم الفلسطيني ومعاناة الناس وتضحياتهم ومقاومتهم للاحتلال. الفارق في هذه المسرحيات كان بين عروض خطابية تبكي على الوطن المُضيَّع وتشتُّت الناس ومقاومتهم، وبين

مسرحيات تنجح في تجسير الهوة بين المضمون الاجتماعي السياسي والشكل الجمالي. وبسبب ندرة النصوص المسرحية الجيدة، لجأ الكثير من المخرجين إلى مسرحة روايات غسان كنفاني، وإميل حبيبي، وجبرا إبراهيم جبرا، وإلى أشعار محمود درويش، وروايات إبراهيم نصر الله، وغيرهم، ليعبّروا عن معاناة الناس ورحلة عذابهم الممتدة. كما أن ظاهرة الكتابة الجماعية والارتجالات واحدة من التجارب المميزة في فلسطين، كتجربة (الحكواتي) فرانسوا أبو سالم في القدس، وبعض التجارب الأخرى. وكذلك لا بد أن أشير هنا إلى تجارب مهمة خارج فلسطين، كتجربة زيناتي قدسية في المونودراما، التي تناول في بعضها الهم الفلسطيني بشكل جيد، وتجربة المخرج جواد الأسدي مع المسرح الوطني الفلسطيني في دمشق.

■ هل هناك أزمة نصوص جيدة في المسرح العربي عامة؟ وما هو حلها؟

النصوص المسرحية الجيدة قليلة، لكن المشكلة تكمن في أن الأضواء لا تُسلَّط على أعمال وتجارب الكُتّاب الجدد. ومن الخطأ الاستمرار في المقارنة بين الأسماء الهامة الراحلة، التي قدّمت نصوصاً مسرحية مميزة في العقود الماضية، وبين الكُتّاب الجدد، فلكل زمان مسرحياته التي تطرح أسئلة جديدة، وتعرض الواقع من منظور مختلف، وتقدّم رؤى فلسفية متنوعة. أنظر دائماً إلى مكتبتي، التي تتكدس على رفوفها عشرات، بل مئات النصوص العظيمة، لكن عندما أتوجه للإنتاج، أنا وغيري، نبحث عن نصوص جديدة في مضمونها وشكلها وموضوعاتها. صحيح أن الكتابة للمسرح تحتاج، إلى جانب ملكة التعبير واللغة والخيال والمعرفة، إلى تراكم الخبرة، وصقل الموهبة، وإجادة تقنيات الكتابة المسرحية، ومعايشة الفرق المسرحية. كذلك تحتاج إلى الثقة بأن الإبداع في حراك دائم وتجريب مستمر. وإذا كانت الكتابة للمسرح تحتاج إلى تشجيع وتحفيز، فإن ظاهرة تنظيم المسابقات، وتخصيص الجوائز المجزية، وتنظيم ورش الكتابة المسرحية، تُعَدّ ظاهرة صحية للنهوض بالمسرح. وقبل ذلك، يجب إدخال المسرح في المدارس والجامعات، لتأسيس اكتشاف المواهب من وقت مبكر.

■ على ماذا تحرص في أعمالك المسرحية، مخرجاً وكاتباً؟

إثارة الأسئلة الصعبة والإدهاش. المسرحية، دون أفكار قيمة وحبكة متينة، لن تصل إلى مكان. والممثل، الذي يحمل هذا الفكر ويمتعنا بأدائه، هو المحرك والمادة الكيميائية، النافذة التي تُحدِث التأثير والتغيير، وتصل إلى العقل قبل أن تصل إلى القلب. وأنا، قبل أن أكتب النص، أو قبل أن أقرر إنتاج هذا النص عن غيره، أجلس في جميع المقاعد وأتخيل: مقعد الجمهور، الممثلين، التقنيين، وأتساءل: هل أستطيع خوض المعركة؟ هل أملك

> **لم أجد مخلصاً صادقاً غير المسرح، لينقذني من وحدتي وقهري**

القدرة والمعرفة والوسيلة أم لا؟ هل كتيبة المحاربين المبدعين مؤهلة، وتملك الإيمان والموهبة والشجاعة؟ أي قبل أن أتخذ قراري، أفكر كثيراً، وأضع كافة الاحتمالات. إلى جانب هذا المستوى من الجدية والاستعداد، أقول لنفسي: هي معركة وليست حرباً، إن لم أنتصر فيها، فلن تكون نهايتي. أنا أخوضها لأنها شغفي، ومسؤوليتي، وأسئلتي قبل أن تكون لشركائي. أسأل نفسي عن الجمهور، والأثر الذي سيتركه العرض في نفوسهم، ومشاعرهم، ووعيهم، وذائقتهم. وكيف أنجو من المباشرة والخطابة، أو من الطلاسم والغموض المُطبِق. فالتبسيط شيء، والبساطة شيء آخر. والجمهور ليس دائماً على حق، فأحياناً الجمهور لا يعرف مصلحته، بعد أن تشوهت ذائقته بسبب ثقافة الاستهلاك. من هنا، أكتب النص، وأعيد كتابته مرات عديدة، متنقلاً بين المقاعد. والنص الأولي يصبح بين يدي عجينة مرنة تتطور باستمرار. أبني وأعيد البناء، لأتأكد من متانة البناء الدرامي، ووضوح الرؤية، وملاءمة اللغة للشخصيات، وأداء الممثلين كذلك، وبناء المشاهد ومعالجتها. إنها عملية نحت واتساق وجمال وخلق مفتوحة. وإذا تعرضت بعض الجمل والأحداث للسقوط، فلتسقط وتغادر. وإذا اقتحمت النص اليوم جملة أو حدث أكثر منطقية ودرامية، فلنُبدِل أو نُكثِّف. أما نفقات الإنتاج على السينوغرافيا والمكملات الفنية، فهي مهمة جداً، لكن إن لم تسعفنا وتحضر بوفرة، نُدوِّر ما سبق أن استعملناه، ونبتكر ما لم نستطع تأمينه، فنحوّل بعض المهملات إلى ذهب فوق خشبة المسرح. أما الجمهور، الذي هو الهدف، فأنا أحرص على الوصول إليه، حتى آخر موقع أستطيعه.

■ حدثنا عن تجربتك في مسرح الطفل ومسرح الدمى، وما تفسيرك للاهتمام بهذا المسرح في كثير من البلدان العربية؟

خلال دراستي المسرح في القاهرة، كنت أحرص كل يوم خميس أن أذهب إلى ميدان العتبة لشراء كتب ومجلات عن سور الأزبكية، وبعدها أذهب إلى مسرح العرائس لأحضر مسرحية دمى أو مسرحية للأطفال. من هنا تعلقت بهذا المسرح كمشاهد ومتذوق. وفي بيروت، تابعت مسرحيات الدمى التي كان يقدمها النادي الثقافي العربي ومسرح السنابل «نجلاء دريصاتي، مهى نعمة، غازي كمراشي، وعبيدو باشا». وأستطيع القول إنني لم أدخل هذا العالم إلا مصادفة في الأردن، فبعد أن رفضت الرقابة إجازة النصوص المسرحية التي كنت أتقدم بها للإنتاج، قررت أن أعمل على مسرحية للأطفال علّها لا تتعرض للرفض، خاصة أن الكثير من المؤسسات الرسمية وحتى بعض الفنانين ينظرون لمسرح الطفل على أنه أقل أهمية. وفعلاً، حصلت على الإجازة وقدمت المسرحية، وتلتها مسرحيات كانت تعرض عشرات المرات، وبعضها مئات المرات، مثل «الأميرة والأقزام السبعة» التي شارك فيها سبعة

أقزام حقيقيين، وعُرضت 420 مرة على مدار ثلاث سنوات. ومن خلال العمل في هذا المسرح، أدركت سحره وأدركت قلة معرفتي به وحاجتي الشديدة لتعلم الكثير عن الأطفال ومسرحهم، وعن قصصهم وحاجاتهم وعالمهم المدهش وخيالهم الجامح. فكتبتُ وأنتجتُ أكثر من 20 مسرحية، وقدمت مئات العروض متنقلاً بين القرى والمدن وحتى في البادية، وبعض هذه المسرحيات حاز على جوائز وقدمت في العديد من الدول.

أؤمن أن الاهتمام بمسرح الطفل يعني مساهمتك واقتدارك في تربية وتعليم وتشكيل وعي الطفل الذي يمتاز بصفاء ذهنه ونقاء سريرته ونهمه للمعرفة ومنطقه الخاص. أما مسرح الدمى، فيعني خيالاً على خيال، ودقة على دقة، وتحكماً مطلقاً في الدمية لتجعل الحياة تدب في كل جزء فيها. الدمى تبسط وتنقل بدقة القصص المعاصرة والحكايات الشعبية والأفكار الفلسفية ليتقبلها الطفل المتفرج الساعي إلى المتعة والمعرفة، حتى لو لم يكن يدرك ذلك. ولذلك، فإن العديد من البلدان العربية تهتم بمسرح الطفل والدمى لأنها، من خلال مؤسسات التعليم والتربية، باتت تدرك أكثر حاجات الطفل المعرفية والإمتاعية، وتدرك أن المسرح من أهم الوسائل التي ترسخ القيم الإيجابية والمسلكيات الصحيحة. كما أن التراث الشعبي والتراث الإبداعي الهائل الذي تمتلكه شعوبنا يهمله الطفل ولا يدرك قيمته، وبالتالي تصبح هويته الثقافية مربوطة بما يشاهده على شاشات التلفزة والهواتف الذكية التي تمتلك التقنيات والوسائل التي تجذب الطفل وتؤثر في تربيته وسلوكياته أكثر من مدرسته وأسرته. من هنا، تهتم المؤسسات الثقافية اليوم باستغلال مسرح الطفل والدمى لتعزيز الهوية الثقافية والانتماء، وللحد من استلاب شخصيته بسبب البرامج التي يشاهدها على الشاشة لوقت طويل. ومن ناحيتي، أُسهم في برنامج يهدف إلى تعميم مسرح الدمى في المدارس ورياض الأطفال، بتوزيع دمى قفازية وتدريب معلمات ومعلمين على تحريك الدمى ومسرحة بعض القصص والحكايات.

■ أي خصوصية لتجربتك المسرحية في سوريا؟

المسرح في سوريا حالة ثقافية فنية أصيلة. جئتها محملاً بالحماسة والشغف، وكانت مسارحها تكتظ بالجمهور، والأسماء اللامعة مثل سعد الله ونوس، فواز الساجر، ممدوح عدوان، فرحان بلبل، وعشرات المبدعين من ممثلين وممثلات كانوا يبعثون الحياة على خشبات المسارح. كان المشهد الثقافي غنياً، متعدد الأصوات والرؤى، وسرعان ما اندمجت في تلك البيئة الفنية، فتعرفت على عشرات الفنانين وعملت مع بعضهم، وكان لي أصدقاء أكثر ممن درست المسرح وإياهم في مصر، مثل جهاد سعد، فائق عرقسوسي، وسهيل شلهوب. كما أنني أصبحت جزءاً من تجربة المسرح الوطني الفلسطيني، الذي كان يضم عبد الرحمن

> **المسرح خيمتنا الدافئة التي نستظل بها**

أبو القاسم، زيناتي قدسية، تيسير إدريس، ندى حمصي، نجاح العبد الله، وجواد الأسدي. وكنت أتابع مهرجان دمشق المسرحي المميز في عروضه وتنظيمه، وأتعرف على أهم المسرحيات العربية المشاركة في المهرجان، وأقرأ إصدارات وزارة الثقافة السورية ودورياتها كـ «الحياة السينمائية» و«الحياة المسرحية» وغيرها. كما شاركت في مسرحية «العائلة توت» مسؤولاً عن السينوغرافيا، وعملت مخرجاً في مونودراما «القيامة» التي كتبها ممدوح عدوان وجسدها الفنان المبدع زيناتي قدسية.

كما كانت مسرحية «الأميرة القبيحة (سندلسيا)»، نص الكاتب جورج فالو، ترجمة سليم الجزائري، موسيقى وألحان سميح شقير، تمثيل مجموعة رائعة من الممثلين خريجي المعهد العالمي للفنون المسرحية، والتي أنتجتها وتوليت إخراجها، من التجارب المهمة بالنسبة لي. وأذكر كيف كان د. عجاج سليم، الذي كان يتولى الأمور الإدارية ويتابع الممثلين، حريصاً على إنجاح التجربة. وقد عرضت المسرحية في سينما النجوم بمخيم اليرموك مرات عديدة وحققت إقبالاً ونجاحاً جيداً. وعلى إثر نجاحها، تم حجز مسرح القباني عشرة أيام لعرضها، إلا أن ظروفاً متعددة اضطرتني لمغادرة سوريا التي أحبها وأشتاق إليها كثيراً. مع الإشارة إلى أنني أخرجت أكثر من عمل مسرحي لمجموعات مسرحية فلسطينية، منها «صبرا وشاتيلا»، «غنية على الممر»، و«ليالي الغضب»، وعُرضت في المخيمات في لبنان وعدة مدن سورية.

■ لك تجربة قديمة في المونودراما، لذلك أسألك عن ما يعانيه هذا الفن المسرحي، وإلى أي مخرج وممثل يحتاج؟

المونودراما شكل درامي وشكل فني يحتاج إلى موهبة خاصة تمتلك الكثير من الأدوات ومن الوقت والاجتهاد. وهي، بالأساس، عمل يتوقف على قدرات الممثل، ولا يملك المخرج الكثير من المساحات للعمل على العرض. ولأنها أصبحت (موضة) يلجأ إليها بعض الممثلين لعدم قدرتهم على العمل مع فريق، ولأنها غير مكلفة مالياً وسهل عرضها في أي مكان، فأنا لست ضد المونودراما كتجربة فنية لشخص لديه تجربة فنية كبيرة، وخبرة، وأدوات، ولا يقتصر عمله على هذا اللون المسرحي.

■ كلمة أخيرة لك.

هذا العالم، الذي يعيش حرباً عالمية ثالثة، جعل كل شيء من حولنا يهتز بقوة، لأن ما كنا نؤمن به طوال عقود عن المجتمع الدولي والقوانين الدولية سقط، وتكشف للجميع أن الذي يحكم العالم هو مجموعة صغيرة، متوحشة، إجرامية، ومدمرة تسعى للهيمنة على الأرض ومن عليها. وأن الإنسان، أي إنسان، إما أن يخضع وإما أن يُدمَّر ويُباد. ونحن، كمسرحيين، عملنا وسنعمل من أجل خير الإنسان، من أجل العدالة والحرية وكل القيم الإيجابية، وكل أشكال الجمال. لا خيار لنا إلا أن نتكاتف ونحمي ظهور بعضنا البعض للدفاع عن الإنسان، وعن إنسانيتنا، وعن فضائنا الذي ليس لنا فضاءٌ سواه.

كتّاب غزة الشهداء (2)

د. ثائر يوسف عودة - ناقد وأستاذ جامعي فلسطيني - سورية

إنّ الكتّاب الشهداء الذين كتبوا قصتهم الأخيرة قبيل الاستشهاد في حرب الإبادة الأخيرة على غزة أكثر من أن تحيط بهم مقالة؛ وقد سلّطنا الضوء على بعض هؤلاء الأدباء الشهداء في العدد السابق من مجلة الهدف (عدد شباط/ فبراير)، وفي هذا الجزء الثاني نتابع تسليط الضوء على كوكبة جديدة منهم، وربما نحتاج إلى سلسلة من المقالات للحديث عنهم والتعريف بهم؛ لأنهم ظاهرة تستحق التوقف عندها ملياً، كونها ظاهرة فريدة في تاريخ الأدب العربي، ولأنّ الحديث عنهم هو حديث عن الإبادة الثقافية التي لا تقلّ أهمية عن الإبادة العامة للشعب الفلسطيني.

إنّ هذه الإبادة الثقافية تعني اغتيال القلم الذي يوثّق جرائم الاحتلال، ويسجّل البعد الثقافي الإنساني الذي تركّز الصهيونية على اغتياله، وترى في الأدباء والكتّاب والفنانين خطراً لا يقلّ عن خطر المقاوم الذي يحمل قذيفة الياسين أو عبوة العمل الفدائي، ولا ننسى وينبغي ألا ننسى مقولة رئيسة وزراء العدو (غولدا مائير) أحد قادة الإجرام المؤسّسين للإبادة، لما بلغها نجاح المجرمين في اغتيال الأديب غسان كنفاني: لقد تخلّصنا اليوم من لواء ثقافي مسلّح. وهذا يبيّن مدى إدراك الأعداء للدور الخطير الذي يقوم به المثقف الفلسطيني المشتبك في تمتين الوعي ومواجهة السردية الصهيونية التي تحاول أن تمحو كلّ السردية الفلسطينية الحقيقية الصادقة في مقابل الكذب والادعاء الصهيوني..

غالباً ما تُدرَس الإبادة الثقافية بوصفها أحد مكوّنات الإطار الأوسع للإبادة. فقد اشتمل هذا المصطلح، منذ ابتدعه المحامي البولندي «رالف لمكين» في عام 1944، على ممارسات غير القتل؛ إذ إنّ الإبادة تتضمن الجهود الهادفة إلى طمس ثقافة المجموعات المستهدفة ولغتها وجوانبها الدينية. وليست الإبادة حدثاً فجائيّاً؛ بل هي مسار منهجي مؤلّف من العديد من المراحل المترابطة، على النحو الذي أشار إليه باحثون كثر.

كما يمكن فهم الإبادة الثقافية على أنها إبادة قائمة بذاتها، رغم أنها جزء من عملية الإبادة الأوسع نطاقاً. فالقضاء على المظاهر الثقافية والأدبية الغنيّة في غزة هو في حدّ ذاته عملٌ من أعمال التجريد من الإنسانية، وإنّ الحديث عن الإبادة يعني تسليط الضوء على دمار الذاكرة والسجلات الرسمية للفلسطينيين في غزة، بالإضافة إلى ذكريات الأفراد وتاريخهم ومستقبلهم.

أمّا في تخصيص الحديث هنا عن الأدباء، فإنّنا سنتحدث عن بعض الكتّاب الذين قضوا في هذه الإبادة الثقافية، وهم:

- هبة المدهون

كاتبة وروائية من مدينة غزة، حاصلة على شهادة الهندسة المعمارية من الجامعة الإسلامية في غزة عام 2003. عملت في الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بقسم المهن الهندسية حيث أسست برنامج الحرف اليدوية، وكانت موهوبة بالأشغال اليدوية تتقن أعمال الكروشيه والتطريز والفنون الورقية بالإضافة إلى نشاطها الأدبي، وقد صدرت لها رواية «فإذا هم خامِدون» 2019، وصدّرتها بإهداء إلى أخيها «ضياء» الذي استُشهد قبل سنوات، كما نشرت ديوان شعر بعنوان «كوني عنقاء».

استشهدت هبة مع زوجها وأطفالهما الأربعة في أكتوبر 2023، بقصف طائرات الاحتلال للمنزل الذي نزحوا إليه من مدينة غزة إلى خانيونس. وكتبت قبل ذلك عن الموت تحت القصف، والنزوح من البيوت، والعودة إلى الديار، وعبور الحدود:

هل الموت مؤلم؟ أظنّه كذلك:

كان موت أمّي سريعاً فلم ألحظ ألماً على وجهها بعدما توقف قلبُها المنهك فجأة عن العمل، لكنّني رأيت الألم في وجه الحاج عبد الله عندما مات، ذلك الذي أسقطت الطائرات منزله المكون من ثلاثة طوابق على رؤوس عائلته، كان واقفاً عند مدخل بيته ينتظر خروجهم لإخلاء المنزل بسبب الغارات المكثفة للطيران على المنطقة، فجأة، رأيت جسده النحيل يطير حتى وصل إلى مدخل بيتنا واصطدم به بعنف، وجهه كان مصدوماً، وكان يتألم، خيط من الدماء يسيل من جانب رأسه وشفتاه ترتجفان، ثم إنه مات وما زالت الصدمة تحتل عينيه.

كلنا تركنا حاراتنا، لم نغلق البيوت لأننا لا نعلم هل سنحيا لندخلها ثانية أم لا، كنا نركض من الموت شرقاً ونحن نعلم أنه يحيط بنا من كل جانب، لكن الموت شرقاً كان أكثر منطقية بالنسبة لنا، حدسٌ فطري جعلنا جميعاً نسلك نهج الطيور المهاجرة في العودة إلى الديار، نمضي بلا خطة تبتدعها عقولنا، مجرد حدس، وفطرة. «أتصدق يا ولدي أن حالنا يشبه حال أهلنا عندما تركوا بيوتهم قبل خمسة وسبعين عاماً. هل تظن أننا سندخل البلاد؟»،» ربما سنفعل يا جدة، وربما نموت جميعاً هنا. لا أحد يعلم»،

مطّت شفتيها وعدّلت من منديلها الأبيض لتغطي به فمها وهي تقول.. « لقد عشتُ بما يكفي على أية حال». أشاحت بوجهها تنظر للحدود قبل أن تقول: «إلى متى سننتظر تلك الإشارة التي قلت عنها؟».لم أجب، لأنني لا أملك الجواب.. الرمال الصفراء ما زالت تنتظر، وهناك خلف الأسلاك يختبئ الجنود بانتظار أول بادرة عنف نبديها نحوهم، وخلفنا تنهار مباني المدينة شيئاً فشيئاً مع كل غارة، فتمحو من الوجود مظهر المدينة الذي حفظناه في الذاكرة، هل سندخل الحدود؟ لا أعرف، أنا أنتظر كالآخرين.. لكن السؤال الذي يلح عليّ، هل سيكون الموت مؤلماً؟

- ولاء جمعة الإفرنجي

من مخيم النصيرات في مدينة غزة.

بدأت رحلتها مع الكتابة بإصدار رواية «مزاج مُرسل» قبل أن تنتقل من الكتابة على الورق إلى الكتابة على الحجارة والخشب وتحويلها إلى سلاسل وخواتم. وكانت تعمل في محل لتجهيز الهدايا في حي الرمال قبل حرب الإبادة الجماعية على قطاع غزة.

استشهدت الشابة ولاء برفقة زوجها أحمد سلامة في ديسمبر 2024، خلال قصف صهيوني استهدف منزلاً نزحا إليه في مخيم النصيرات. ولم يمضِ على زواجهما إلاّ سنة وبضعة أشهر. وقبيل استشهادها بوقت قصير، قالت ولاء عبر فيديو نشرته على وسائل التواصل الاجتماعي:

لم أجلس منذ بدء الحرب ولم أترك باباً إلاّ وطرقته، وأخاف أن يكون هناك طريق لم أسلكه، لذلك أدعو الله دوماً أن يهديني سبيلي... أنا ولاء من غزة، النصيرات، أود مشاركتكم أفكاري التي بدت ثقيلة مع الحرب، إذ فقدنا منذ بدء الحرب كل شي... صباحاتنا التي ألفناها ومكاننا وتفاصيلنا، وها نحن نجري في البحث عن الطعام والعلاج...

سؤالي هو: هل في الحرب تتوقف غاية وجودنا في السعي والإنجاز كفزيين؟ لا أريد أن أتوقف، ولكن هناك حافزية تجعلني أنجز وأسعى ولا أتوقف...

- شحدة سعيد البهبهاني

شاعر وباحث تربوي من دير البلح (1950-2023) حاصل على إجازة في اللغة العربية من جامعة القاهرة عام 1974، ودرجة الماجستير في تخصص أصول التربية من الجامعة الإسلامية عام 2003. عمل مدرساً بوزارة التربية والتعليم في قطاع غزة. ونشر العديد من الأبحاث التربوية بالإضافة إلى مجموعاته الشعرية: هنا القسّام فانتظروا، مازلتُ لي عشقاً، في ظلال الرسالة المحمدية، ومن عينيك نلتمس الاعتذار، صرخة القدس. ومن قصيدته «صرخة ألم» نقرأ:

سمعتُ الأنِينَ ففاضتْ دموعي
وأدركتُ عصراً بلا رأفةِ
أنينُ الصغارِ يلامسُ سمعي
سمعتُ الأنِينَ ففاضتْ دموعي
وأدركتُ عصراً بلا رأفةِ
أنينُ الصغارِ يلامسُ سمعي
سمعتُ الأنِينَ ففاضتْ دموعي
أنينُ الصغارِ يلامسُ سمعي
ونوحُ الكبارِ وما مِنْ مُغِيثٍ
يموت الجياعُ بأرضي صفوفاً
فأينَ الأخوة؟ أينَ الوفاء؟
وأدركتُ عصراً بلا رأفةِ
فيدْمي القلوبَ منَ الحسرةِ
أشدُّ مِنَ النَّزعِ في السَّكرةِ
وأنتَ تموت من التخمة
سؤالٌ تردّد في المحنة

ولِ عنِ الرحمةِ
ترى الجوعُ يصرعُ طفلاً صغيراً
ويُردِي مساءً بِذي الشيبةِ
يموتُ الجياعُ بأرضي صفوفاً
وأنتَ تموتُ منَ التُّخْمةِ
ترى الجوعُ يصرعُ طفلاً صغيراً
ويُردِي مساءً بِذي الشيبةِ
يموتُ الجياعُ بأرضي صفوفاً
وأنتَ تموتُ منَ التُّخْمةِ
وقولَ الرسولِ عنِ الرحمةِ
ترى الجوعُ يصرعُ طفلاً صغيراً
ويُردِي مساءً بِذي الشيبةِ
يموتُ الجياعُ بأرضي صفوفاً
وأنتَ تموتُ منَ التُّخْمةِ

استشهد البهبهاني برفقة حفيدته، في نوفمبر 2023، بعد أن استهدفت طائرات الاحتلال الصهيوني منزل عائلته في منطقة دير البلح.

- رشاد أبو سخيلة

من مخيم جباليا (2001-202). درس الصحافة والإعلام في جامعة الأقصى بغزة وعمل ممثلاً في عدد من المسلسلات الفلسطينية التي نالت شهرة عالمية، كما أصدرَ ديواناً شعرياً عام 2020 بعنوان «حروب التراب»، وحاز به على لقب أصغر شاعر فلسطيني يُصدر ديواناً، وهو مكوّن من 27 قصيدة تعدّدت موضوعاتها عن الوطن، والقضايا المجتمعية، والعاطفية، والروحانية، والدينية. كما كتب «أنشودة قُم وتَلثم» عام 2018. استشهد في أثناء قصف طائرات الاحتلال الصهيوني لمركز الإيواء في مدرسة الفاخورية، في سبتمبر 2024.

- أحمد الكحلوت

كاتب وناشط مجتمعي، ومؤسس منتدى درويش الشبابي للثقافة والفنون. تميزَّ بكتابة النص النثري، وكان يُعِدّ لإطلاق روايته الأولى «عشريني مسن» عام 2024 قبل استشهاده في فبراير 2024، جراء قصف الاحتلال الصهيوني.

لقد مزّقت آلة القتل الصهيونية المستمرة منذ السابع من أكتوبر النسيج الثقافي للحياة الفلسطينية في غزة. فمن تدمير العديد من المراكز الثقافية والمتاحف إلى استهداف عدد غير قليل من الفنانين والكتّاب، منهم شعراء وأكاديميون. وكانت الأضرار التي لحقت بالقطاع الثقافي في غزة في صميم حرب الإبادة التي يشنّها الصهيوني على شعبنا. وإنّ ما يحدث في غزة الآن هو عملٌ متعدّد الطبقات يذهب أبعد بكثير من التدمير المادي للمعالم الأثرية أو قتل الأفراد. فتندرج هذه الممارسات في إطار عمليات تدميرية أوسع تقوّض إرث المجتمع المحلي وهويته ووجوده، مع ما يترتب على ذلك من تداعيات رمزية ونفسية ليس في غزة فحسب وإنما أيضًا في العالم بأسره.

إنّ هذا الدمار، المادي والرمزي على السواء، يصبّ في مصلحة أجندة سياسية إجرامية أوسع نطاقاً تتمثّل في طمس الهوية الفلسطينية والذاكرة الجماعية، إلا أنّ الأقلام الحرّة تمتلك القدرة على صنع التغيير والدفع قدماً بالمقاومة من أجل العدالة والخلاص من الاحتلال. ويقع على عاتق المجتمع الأدبي والفني العالمي الحفاظ على الثقافة في غزة، وإعلاء أصوات أولئك الذين ما يزالون قادرين على المجاهرة بأفكارهم، وظلّوا يكتبون حتى الدقيقة الأخيرة قبل استشهادهم، ليخبروا العالم من جديد أنّ أصحاب القلم لا يموتون، وستظلّ نصوصهم تتردّد وتردّدها الألسن عبر الزمن.

غسان كنفاني:
حين تصيرُ الكلمةُ وطناً لا يُهزَمُ

آية غسان سعيد - صحفية وكاتبة لبنانية

في زحمةِ النكباتِ، وسطَ ضجيجِ الأسلحةِ التي تخترقُ اللحمَ الفلسطينيَّ، وبينَ صرخاتِ الأمهاتِ اللواتي ينتظرنَ العائدينَ فلا يعودونَ، وحجارةِ البيوتِ التي تئنُّ تحتَ أقدامِ المحتلِّ، وُلِدَ غسانُ كنفاني. لم يكن ميلادُهُ مجردَ تاريخٍ، بل ميلاداً لفكرةٍ أقسمتْ أنْ لا تموتَ ولا تنحني، أنْ تكونَ سلاحاً حينَ تخذلُ البنادقُ، وتبقى واقفةً حينَ يسقطُ الجميعُ. لم تكنْ فلسطينُ في أدبِ كنفاني مجردَ بقعةٍ على خارطةٍ أو سطرًا في كتابِ التاريخِ، بل كانتْ وجعاً مقيماً في الذاكرةِ، وصوتاً ينادي منْ عمقِ الغيابِ، وجرحاً لا يندملُ في قلبِ المنفى. كانتْ الوطنَ الذي يتنفسهُ اللاجئونَ، والأملَ الذي يحملهُ الفدائيونَ في زنادِ البنادقِ، والحلمَ الذي لا يقبلُ القسمةَ على صمتِ العالمِ. رأى الوطنَ في عيونِ العجائزِ اللواتي ما زلنَ يحتفظنَ بمفاتيحِ البيوتِ المسلوبةِ، في الأطفالِ الذين وُلدوا بلا وطنٍ لكنهمْ حملوهُ في دمِهمْ كما يحملُ القلبُ نبضَهُ، في وجوهِ اللاجئينَ الذين حملوا خيامَهمْ على أكتافِهمْ، لكنهمْ لم يضعوا أحلامَهمْ يوماً جانباً.

لم يكتبْ كنفاني عنْ فلسطينَ كمؤرخٍ يوثقُ المآسي، ولا كسياسيٍّ يجيدُ تزييفَ الكلماتِ، بل كتبَها كوصيةٍ أخيرةٍ، كاسمٍ منقوشاً على جدارِ زنزانةٍ، كصرخةِ أمٍّ ثكلى، وكنداءِ فدائيٍّ قبلَ أنْ يسقطَ شهيدًا. كانَ قلمُهُ أشبهَ برصاصةٍ لا تقتلُ، بل توقظُ الوعيَ، تشعلُ جذوةَ ثورةٍ، تكسرُ حاجزًا خوفاً، وتعيدُ تعريفَ الفلسطينيِّ بأنَّهُ ليسَ مجردَ لاجئٍ أو مفعولاً بهِ، بل هوَ الكائنُ الذي خُلِقَ ليقاومَ، ليعودَ، ليحملَ حجارةً وطناً في يدِهِ، ويجعلَ منها قنابلَ في وجهِ منْ ظنّوا أنَّ الأرضَ تُسلَبُ. في «عائدٍ إلى حيفا»، لم يكنْ سعيدٌ يبحثُ عنْ ابنِهِ الضائعِ فحسبَ، بل كانَ يبحثُ عنْ وطنِهِ الذي تركَهُ خلفَهُ، عنْ كرامتِهِ التي سُرقتْ منهُ، عنْ إجابةٍ ظلّتْ تطاردُهُ: «كيفَ خرجنا؟ كيفَ سمحنا لأنفسِنا أنْ نخرجَ؟» لم يكنْ الغيابُ مجردَ رحلةٍ في مكانٍ، بل كانَ تمزقاً في روحٍ، اقتلاعاً لجذورٍ، نفيًا لهويّةٍ. كانَ غسانُ يقولُ إنَّ الوطنَ ليسَ ذكرى تُروى في منفى، بل هوَ فعلٌ يوميٌّ، نضالٌ مستمرٌّ، رفضٌ دائمٌ لهزيمةٍ، وإنَّ منْ ينسى أرضَهُ، ينساهُ تاريخُ.

وفي «أرضِ البرتقالِ الحزين»، لم يكنِ البرتقالُ مجردَ فاكهةٍ تملأ بساتينَ يافا، بل كانَ وطناً يُسرَقُ، كانَ دماً يقطرُ منْ جذورِ أشجارٍ، كانَ رمزًا لكلِّ شيءٍ سُلِبَ من فلسطينيينَ، لكلِّ ما أُخذَ منهمْ بقوةٍ، لكلِّ ما اضطروا لتركِهِ خلفَهمْ دونَ أنْ يملكوا حتى وداعاً. كانَ البرتقالُ يبكي في نصوصِهِ، كما تبكي قرىً مدمّرةٌ، كما يبكي لاجئٌ حينَ يدركُ أنَّ ذاكرةً هي كلُّ ما تبقى لهُ منْ وطنٍ، وأنَّ عالماً قد أدارَ ظهرًا لهُ، وكأنَّ فلسطينَ لم تكنْ يوماً قطعةً منْ كونٍ.

في «أمِّ سعدٍ»، تجلّى وطنٌ في امرأةٍ لا تستسلمُ، التي تنجبُ أبناءً لا ليكونوا أرقاماً في سجلاتِ إغاثةٍ، بل فدائيينَ يحملونَ سلاحاً حينَ يتعبُ رجالٌ، ويواصلونَ طريقاً حينَ يتراجعُ آخرونَ. «هي تخلفُ وفلسطينُ تأخذُ»، وكأنَّ أرحاماً فلسطينيّةً كُتبَ عليها شهادةٌ قبلَ أنْ يُولدَ أبناؤها، وكأنَّ أرضاً تعوّضُ نفسها بدمٍ، وكأنَّها لا تقبلُ أنْ تُروى إلا بتضحياتِ أبنائِها.

لم يكنْ أدبُ كنفاني أدباً باكياً، ولا نشيجاً خافتاً في زوايا خيبةٍ، بل كانَ نارًا تشتعلُ في وجهِ كلِّ منْ أرادوا طمسَ قضيةٍ، كانَ ثورةً لا تهدأُ، كانَ يقيناً بأنَّ عودةً ليستْ حلماً مؤجلاً، بل وعدًا لا بدَّ أنْ يتحققَ. كانَ يؤمنُ أنَّ ثورةً لا تموتُ، وأنَّ قضيةً لا تنتهي، وأنَّ أرضاً تعرفُ أبناءً حتى لوْ تأخروا في عودةٍ.

وحينَ قررَ عدوٌّ أنْ يخرسَ، لم يكنْ ذلكَ خوفاً منْ رجلٍ واحدٍ، بل كانَ خوفاً منَ كلمةٍ ظلّتْ تقاتلُ حتى بعدَ رحيلِ قائلٍ. اغتالوهُ، لكنهمْ لم يقتلوا صوتاً، لم يقتلوا فكرةً، لم يقتلوا أملاً زرعَ في قلوبٍ منْ قرأوهُ، لم يقتلوا ثورةً خطّها بحبرٍ قبلَ أنْ يخطّها شهداءٌ بدماءٍ.

واليومَ، بعدَ أكثرَ منْ خمسينَ عامًا على اغتيالِهِ، لا تزالُ كلماتُهُ منقوشةً على جدرانِ مخيماتٍ، مرددةً في سجونٍ، تردّدُها أمهاتٌ في وداعِ أبناءٍ، ويرفعُها مقاومونَ فوقَ أسلحةٍ، ويحفظُها أطفالٌ كما يحفظونَ أسماءَ قرىً مفقودةٍ. لا تزالُ «دقّوا جدرانَ خزانٍ» نداءً لا ينامُ، لا تزالُ «لا تمتْ قبلَ أنْ تكونَ ندًّا» قانوناً لثائرٍ، لا تزالُ كلماتُهُ سلاحاً لا يصدأُ، ورايةً لا تسقطُ، لأنَّ أوطاناً تُحفظُ في قلوبٍ قبلَ خرائطَ، ولأنَّ فلسطينَ، كما علّمَنا غسانُ، لا تُمحى، ولا تُباعُ، ولا تُنسى.

«نزيف التراب2»..
وفيلم «لا أرض أخرى» حضور فلسطيني واضح

بسام سفر- كاتب وإعلامي سوري

مر شهر رمضان هذا العام على المشاهد الفلسطيني والسوري ثقيلاً غير واضح المعالم في سوريا حيث لا وجود للقنوات الرسمية السورية التي غابت منذ انهيار النظام المخلوع حتى الآن، ومع استمرار العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة بخروقات واضحة لاتفاق الهدنة لتغذية حكومة نتنياهو المتطرفة، بمزيد من العنف الذي يحافظ على الحد الأدنى من أجل استمرارها على رأس السلطة في الكيان الصهيوني، لكن الموسم الدرامي الفلسطيني قدم في رمضان الجزء الثاني من المسلسل الفلسطيني» نزيف التراب»، الذي عرض على فضائية العربي(2)، وصورت أغلب مشاهده في البلدة القديمة في مدينة نابلس، ومخيمات بلاط وجنين، إضافة لعدد من البلدات والقرى الريفية.

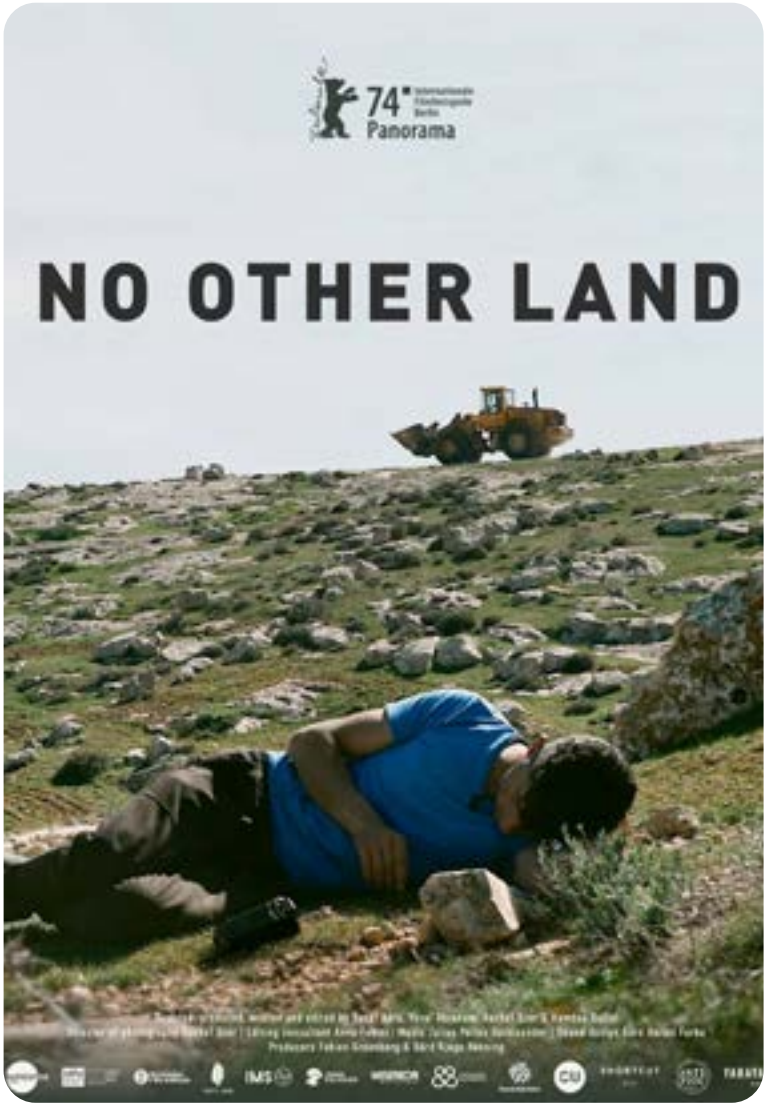

تقع أحداث الجزء الثاني من نزيف التراب في قرية أطلق عليها اسم» تل الصبر»، الذي يسلط الضوء على النضال الوطني الفلسطيني عبر دراما واقعية تجسد الأوضاع الفلسطينية في فلسطين، وتعرض الحلقة الأولى منه» للخطف خلفاً، فلاش باك»، مجريات الجزء الأول، عندما تمكنت المقاومة الفلسطينية من أسر الضابط الإسرائيلي مردخاني، والاحتفاظ به في أحد منازل البلدة القديمة في نابلس، وتدخل أحدى وحدات المستعربين المنطقة، ويكتشف طفل وحدة عسكرية إسرائيلية كانت داخل سيارة مدنية، ويبلغ المقاومين، يقرر قائد المجموعة الآسرة نقل الضابط الإسرائيلي إلى مكان أكثر أمنا، فينقله إلى مخيم بلاط عبر التنسيق المشترك بين المقاومين في المدينة والمخيم، وبغطاء ناري واشتباكات مسلحة عنيفة، ويفشل جيش الاحتلال والمستعربين في الوصول إلى تحريره، وتجري المقاومة عملية تبادل مع جيش الاحتلال مقابل الضابط الإسرائيلي حيث حررت أكثر من (1700)أسير، من بينهم أكثر من(290) كانوا محكومين بالسجن المؤبد، مقابل الإفراج عن(33)أسيراً إسرائيلياً من قطاع غزة في المرحلة الأولى من صفقة طوفان الأحرار.

ولا ينفصل نزيف التراب عن الحياة اليومية المعاشة الفلسطينية في محاولة لإقناع المشاهد الفلسطيني والعربي، ويركز المسلسل على معاناة الأسيرات، من خلال شخصية(أم عسكر)، التي تحمل الجنسية الأردنية، ويظهر العمل دور المرأة الفلسطينية في النضال الفلسطيني ومعاناتها جراء الاحتلال، وتتعرض قرية تل الصبر إلى هجوم قبل مئات المستوطنين ويحرقون عدداً من منازل القرية والمسجد الوحيد فيها.

والمسلسل يبلغ رسالة إلى الشعوب العربية لتتعرف على تفاصيل الحياة اليومية الفلسطينية بالضفة الغربية بعيداً عن التغطيات الإخبارية التي تنقلها الفضائيات الإخبارية الحديثة، عبر تظهير نمطية حياة المواطن الفلسطيني العربي في الضفة، وعرض شكل النضال في الضفة للمشاهد العربي، والتعقيدات التي يفرضها الاحتلال، والحواجز المنتشرة من لقوات الاحتلال بين القرى والمدن

الفلسطينية.

وكان الجزء الأول من العمل قد بني على أحداث» نفق الحرية» حين تمكن ستة أسرى مناضلين فلسطينيين من تحرير ذواتهم من سجن جلبوع الإسرائيلي.

المسلسل من إنتاج رجل الأعمال الفلسطيني خالد شريم، الذي آمن بفكرة العمل، وقام بإنتاجه عبر شركة» ريدي برودكشن» وتبنت قناة (العربي2) عرضه في جزئية، ومن صعوبات التصوير أنهم حولوا مدرسة إلى سجن عسكري لكي يستكمل المسلسل.

وشارك في العمل» عدنان البويلي، ميس أبو صاع، منيرة زريقي، أسامة ملحس، أمجد غانم، سعيد سعادة، نجاح أبو الهيجا، سليم الدبيك، عبد الرحيم متروك، عبودة عبيد، عماد الصابر، ملاك أبو غريبة، رشيد صالح، وطاهر باكير»، والعمل من تأليف أسامة ملحس، ومعالجة درامية سعيد سعادة، وإخراج بشار النجار.

لا أرض أخرى:

فاز فيلم» لا أرض أخرى» بجائزة أوسكار أفضل فيلم وثائقي، بشريط مدته الزمنية(95) دقيقة لهذا العام، وثق فيه معاناة قرية مسافر يطا جنوبي مدينة الخليل في الضفة الغربية المحتلة، ومواجهة سكانها الفلسطينيين ممارسات الاحتلال الصهيوني ومستوطنيه، منها فرض تهجير أهلها قسرا، وهو من إنتاج فلسطيني نرويجي، سلاحه الوحيد هو عدسة الكاميرا تولى إخراجه الفلسطينيان باسل عدرا وحمدان بلال، والإسرائيليان يوفان أبراهام، وراحيل شور».

أحد أسباب موجة الغضب الإسرائيلي الذي طال الفيلم هذه الشراكة، بصفته» لائحة اتهام سينمائية ضد الاحتلال الإسرائيلي».

ويتعزز الغضب بسبب تراجع مكانة إسرائيل على الساحة الدولية، إذ تخوض حرباً دعائية وإعلانية لاسترداد شرعية حضورها التي انخفضت لأدنى مستوى بعد عام ونصف من إيغالها في حرب الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني، فالإدانة هذه المرة أتت متسقة مع» شهد شاهد من أهله»، باعتبار المخرج، يوفال أبراهام هو جندي سابق في جيش الاحتلال، فرز عند انضمامه لشعبة المخابرات، قبل أن ينسحب لأسباب أخلاقية وشخصية وذاتية، وينشغل في كتابة التحقيقات الاستقصائية التي فضحت جرائم جيش الاحتلال خصوصاً في موقع مسيحاه مكوميت(حديث محلي)، ومجلة972.

والمفاجأة أن أبراهام ينحدر من جد يهودي ذي أصول يمنية، روج مع اندلاع الحرب لإشاعات ارتكاب عناصر كتائب القسام» جرائم جنسية» خلال عملية طوفان الأقصى، وطالب بتدمير الحركة والقضاء عليها، ما شكل أساساً أحد الادعاءات الأساسية التي استند إليها جيش الاحتلال لشروعه في إبادة الفلسطينيين، فماضيه ومواقفه لم يشفعا له ولم يقنع الغاضبين الإسرائيليين بالنظر إلى الحقيقة الماثلة أمامهم.

إذ وصف وزير الثقافة والرياضة الإسرائيلي، ميكي زوهار، فوز الفيلم بالأوسكار ب» اللحظة الحزينة لعالم السينما» معتبراً أنه(بدلاً من تقديم تعقيدات واقعنا، اختار القائمون على الفيلم ترديد روايات وإشاعات تشوه صورة إسرائيل في العالم).

ورأى الوزير أن» حرية التعبير قيمة مهمة، غير أن تحويل التشهير بإسرائيل إلى أداة للترويج دولياً ليس إبداعاً، بل تخريب بحق الدولة، وخاصة بعد مذبحة السابع من أكتوبر، والحرب المستمرة حيث أصبح الألم مضاعفاً».

من جانب اعتبرت القناة14 اليمينية، القريبة من خطاب حكومة اليمين المتطرف بقيادة نتنياهو أن» الفيلم يختصر جيش الاحتلال بكونه يقود حملات قتل وهدم، بينما في الواقع، فإن السكان الفلسطينيين هم من اقتحموا أرضاً إسرائيلية مصنفة منطقة تدريبات عسكرية للجيش»، مستندة بذلك لقرار المحكمة العليا الإسرائيلية الذي قضى بأن على» الجيش تهجير القرية لمتابعة تدريباته التي تضررت بشدة».

الفيلم أثار غضب المستوطنين، إذ يقدم(إسرائيل) على أنها» تمارس انتهاكات وإيذاء ممنهجاً ضد القرويين الذين عاشوا على أرضهم التاريخية لأجيال عديدة»، مشيرة إلى أنه وفقا لصناع الفيلم فإن» جنود الجيش والمستوطنين استغلوا الحرب لشن حملات قتل وإطلاق نار وتهديد».

وبالرغم من أن هذه أرض فلسطينية خالصة، أدعت القناة أن جيش الاحتلال قد أعلنها» منطقة إطلاق نار وتدريبات فقط في أوائل الثمانينات بعد تأكد خلوها من السكان الذين شيدوا فيها منشآت من دون تصريح»، ما أثر بحسبها على اعتباراته الأمنية والتدريبية.

والفيلم يسرد قصة عائلة من المنطقة، اتهمته القناة بأنه يعرض» صورا ورواية أحادية الجانب للتهجير والاحتلال، مصوراً جنود الجيش والمستوطنين مجرمين»، إذ» تجاهل صناع الفيلم تماماً الحقائق والوقائع التي تضر بصورة أبطال القصة أنفسهم، بما في ذلك حقيقة مصدر رزقهم هو محطة وقود غير قانونية لا تطابق المعايير البيئية، فضلاً عن التورط غير القانوني لجهات أجنبية بقيادة الاتحاد الأوربي، في تمويل وتوجيه البناء في المنطقة في انتهاك لاتفاقيات أوسلو والقانون الإسرائيلي».

إن الإنجاز الفني الذي حققه فيلم(لا أرض أخرى) بفوزه بجائزة الأوسكار الوثائقي كشف زيف الرواية الإسرائيلية، وفضح حقيقة الإبادة الجماعية التي قامت وتقوم بها حكومة اليمين المتطرف بقيادة نتنياهو، وهذا الفيلم يشكل أداة لفضح السياسة العنصرية المتطرفة في العالم بأسلوب غير إخباري وسياسي، وإنما تلعب الصورة الوثائقية الفنية دوراً كبيراً في تعزيز الرواية الفلسطينية حول ما جرى من انتهاكات وإبادة جماعية، ولعب المسلسل الدرامي» نزيف التراب» دوراً في نقل كيفية عمل المقاومة في عمليات الإفراج عن الأسرى مقابل الإفراج عن الضابط الصهيوني الأسير.

أخيراً تلعب الصورة البصرية دوراً كبيراً في فضح الاحتلال الصهيوني عبر دور غير مألوف للصورة البصرية سينمائياً وتلفزيونياً.

الأرض وتجلياتها سينمائيا
فيلمي «يوم الأرض» و«الأرض» انموذجاً..

موسى مراغة صحفي وإعلامي فلسطيني - سورية

تناولت السينما العربية موضوع الأرض في عدد من الأفلام الروائية الطويلة والوثائقية والتسجيلية. وشكل موضوع الأرض مادة دسمة لتلك الأفلام. لما للأرض من ارتباط بالإنسان. فهي الوطن، وعليها يحيى ويعيش، ولأجلها يضحي ويقدم الغالي والنفيس، وهي مصدر رزقه وأحد أهم سبل الحياة.

وفي ذكرى يوم الأرض الفلسطينية الذي يصادف ال30 من آذار في كل عام. تلك الذكرى تتجدد منذ العام 1976، عندما هبت جماهير الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة عام 1948، دفاعاً عن أرضها التي حاولت سلطات الاحتلال الصهيوني مصادرتها وتحويلها إلى مناطق عسكرية. فكانت الهبة الشعبية التي قام بها أبناء الجليل والمثلث رداً على تلك الإجراءات التعسفية. شكلت تلك الأحداث مادة دسمة للفيلم الفلسطيني الذي تحدث عن وقائع واحداث تلك الانتفاضة الشعبية والذي حمل اسم «يوم الأرض» للمخرج الفلسطيني غالب شعث.

وفي استعراض لمادة هذا الفيلم السينمائي ، نرى أنه بدأ باستعراض بانورامي للمناطق والقرى الفلسطينية حيث جرت أحداث يوم الأرض. فنشاهد الأراضي الزراعية الخصبة والمروج المزروعة بأشجار الزيتون وأنواع المحاصيل الزراعية المختلفة. ومصادرة تلك الأراضي كانت الشرارة الأولى لاندلاع تلك الانتفاضة الشعبية.

ومن الجدير بالذكر أن تلك المساحات والأراضي الخصبة التي تم الاستيلاء عليها تسمى المنطقة رقم«9» وهي تمتد على أراضي قرى سخنين عرابة وديرحنا وتبلغ مساحتها 18000 دونم.

وفي مقدمة الفيلم وبعد استعراض لبعض القرى الفلسطينية حيث جرت أحداث يوم الأرض، يخرج علينا بعض قادة العدو الصهيوني (شمعون بيريز ومناحيم بيغن وأريل شارون)، وهم يتحدثون عن المساواة وعن الحرية والديمقراطية التي ينعم بها الفلسطينيون في ظل دولة «إسرائيل» وأن من أولويات حكامها هي احترام أولئك السكان وعدم ايذائهم أو مصادرة أراضيهم، وعلى خلفية ذلك الكلام الذي كان يتفوه بها القادة الصهاينة، كانت الصور المرافقة تشير إلى عكس ذلك، حيث نرى الممارسات القمعية والوحشية من الجنود الصهاينة التي كانت تتعامل بها آلة الحرب المدججة والترسانة المسلحة مع أشخاص عزل وصدور عارية...

وقد ارتقى في هذه الهبة الشعبية عدد من الشهداء من رجال ونساء من أبناء شعبنا الذين هبوا للدفاع عن أرضهم وممتلكاتهم في وجه العدو وجنوده وآلة الحرب الصهيونية. ويتابع الفيلم مسيرته حيث هناك لقاءات مع عدد من رؤساء المجالس المحلية لقرى ومدن فلسطينية منهم الشاعر توفيق زياد، والذي كان حينها رئيس بلدية الناصرة، ورئيس مجلس قرية عرابة وغيرهما. والذين تحدثوا بشهادات حية عن الأحداث التي عاشوها إبان يوم الأرض، وعن ممارسات جيش وشرطة الاحتلال في قمعهم للمسيرات والاحتجاجات التي قام بها المواطنون الفلسطينيون، إلى ذلك هناك شهادات حية من الأشخاص الذين تعرضوا للاعتقال والضرب والتعذيب على يد السجان الصهيوني وعرضوا للكاميرا آثار ذلك التعذيب التي حملته أجسادهم، إضافة إلى أثار الرصاص الذي سكن أجسادهم. ويظهر جلياً من خلال تلك الشهادات المشاركة الواسعة من جميع شرائح أبناء الشعب الفلسطيني في تلك الانتفاضة الشعبية، فرأينا العامل والفلاح والمثقف، وشاهدنا الأطفال والشباب والشيوخ، ولم يتردد أحد بالإدلاء بشهادته أمام الكاميرا، غير مكترث بما سيحصل معه لو ظهر في الفيلم وهم القابعون تحت نير الاحتلال.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الفيلم كشف وبصدق الواقع الذي يعيشه المواطن الفلسطيني داخل المناطق المحتلة عام 1948، ومدى ارتباط أولئك الناس بأرضهم ودفاعهم المستميت عنها، برغم سنوات الاحتلال الذي سلبهم تلك الأرض، وقتل وطرد وشرد عدد كبير من أهلهم، وهم لا يزالون ينادون بالمقاومة والتشبث بالأرض والدفاع عنها في وجه ممارسات المصادرة والاستيلاء عليها.

لقد لعب بناء الفيلم الفني والفكري دوراً هاماً في نجاحه، وأعطى للمادة الوثائقية المستخدمة قيمة عالية، وكانت المشاهد التي تصور التصدي للجنود الصهاينة من المواطنين الفلسطينيين والتي عرضت بالحركة البطيئة، أدت إلى خلق تركيز وشد انتباه للمتلقي، وبينت مقدار العنف الممارس من الجلاد ضد الضحية، برغم أن الفيلم يحفل بمقابلات كثيرة والتي في العادة تؤدي بالمشاهد إلى الملل، إلا أنه ونظراً للاستخدام السليم للوثيقة المصورة والتي عرضت بالحركة البطيئة أدى إلى

كسر الرتابة وإبعاد شبح الملل عن تلك المقابلات،..

وقد لعبت الكاميرا دورا كبيرا في إيصال الفكرة التي حملها الفيلم التي أكدت على روح المقاومة مهما بلغت التضحيات وعظم شأنها.

ولعل من المشاهد التي تبقى ماثلة في الذاكرة مشهد تشييع الشهداء الذين ارتقوا في المواجهات مع جنود الاحتلال..حيث نرى جموع المشيعين من أبناء القرى والبلدات الفلسطينية الذين شاركوا في التشييع على اختلاف انتماءاتهم رجالا ونساء. شيبا وشبابا...وبعض تلك المشاهد عرضت بالحركة البطيئة خاصة لذلك المواطن الفلسطيني الذي ينفجر غضبا وتحديا وإصرارا. وهذا ما نلاحظه في حركته المعبرة عندما خلع كوفيته وعقاله عن رأسه ولوح بهما مع هتافه الذي لم ينقطع في حركة لها مغزى واضح مؤكدا على أقسامه بأخذ الثأر للشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في ذلك اليوم..

وتمضي مسيرة التشييع وفي لقطة بعيدة خلفية لجموع المشاركين نراهم يمضون حاملين جثامين الشهداء وعند الأفق البعيد تمضي الجموع وكأنهم يصعدون نحو السماء حيث مقام الخلود للشهداء الأبرار.. وكان لموسيقى حسين نازك دور كبير في إعطاء جمالية مميزة لأحداث الفيلم، وكان الاستخدام الممنهج للحن نشيد السلام الدور الفعال في إعطاء الصورة دورها الكبير في التأثير على المشاهد.

وفي النهاية لا بد من الإشادة بالدور الكبير للمخرج غالب شعث، الذي استطاع أن يوظف المادة الفيلمية المصورة والمادة الأرشيفية لأحداث يوم الأرض حتى يخرج هذا الفيلم القيم بمادته وبمضمونه، وأن يكون قادراً على إيصال الشحنة المراد إيصالها إلى المتلقي من خلال التوظيف السليم للصورة والصوت من خلال الأسلوب المونتاجي للفنان قيس الزبيدي والذي جاء منسجماً مع الفكرة التي أرادها المخرج غالب شعث.

أما في السينما العربية فإن فيلم «الأرض» للمخرج المصري يوسف شاهين يحتل مكانه بارزة في هذا المجال. ولعل العبقري شاهين كان له اليد الطولى في نجاح هدا الفيلم. والذي أُخذ عن رواية بنفس الاسم للأديب عبد الرحمن الشرقاوي.

سنوات كثيرة مضت على إنتاج هذا الفيلم «الأرض» والذي لا يزال يتربع على عرش أفضل ما أنتجته السينما المصرية عن الفلاح والريف المصري. هذا الفيلم يحمل رؤية فنية وفكرية واضحة، ويتحدث عن الفلاح والأرض وضرورة الانتماء إليها. وبالتالي فهو فيلم يدعو إلى الثورة والدفاع عن كل القيم والمثل والمبادئ الإنسانية السامية.

يحكي الفيلم عن نضال الفلاحين المصريين ضد الإقطاع في ثلاثينيات القرن الماضي، ولكنه في الوقت نفسه، يحمل رغم بساطته التعبيرية، مضامين وإسقاطات على واقعنا الحاضر ويتحدث عن صراعنا الحضاري، ضمن رؤية سياسية واجتماعية عن الواقع المصري والعربي.

ففي تلك القرية المصرية الصغيرة، يدور صراع بين الفلاحين، وعلى رأسهم «محمد أبو سويلم» وبين الإقطاعيين، حول مسألة الري التي هي عصب الحياة في كل قرية زراعية، ومن الطبيعي أن لا يتم انتصار الأقطاعيين إلا بمساندة الدولة، عبر أجهزتها الأمنية والعسكرية، وبالتالي لا يستطع تحالف أهالي القرية «الفلاحين» أن يصمد أمام تحالف الإقطاع والدولة، فقد نجح هذا التحالف في أحداث انشقاق في وسط الفلاحين، يجد معه «محمد أبو سويلم» نفسه وحيداً في النهاية مع أقلية، وقد كان بوسع الانتصار أن يتم لأهالي القرية لولا هذا الانشقاق، والذي حدث من مواقع طبقية..

لقد كان فيلم «الأرض» فيلماً ملتزما تنبع شاعريته من رسالته الثورية..... «الأرض لو عطشانة نرويها بدمانا، عهد علينا وأمانه تفضل بالخير مليانه، يا أرض الجدود يا سبب الوجود.... راح نوفي العهود يارمز الخلود».

لقد تكاملت عناصر النجاح لهذا الفيلم فمن عبقرية المخرج يوسف شاهين إلى رواية عبد الرحمن الشرقاوي والتي جاءت ملتصقة بالواقع والتي صورت الريف المصري على حقيقته، وصورت الفلاح المصري والاضطهاد والظلم الذي كان يقاسيه في مواجهة كبار الملاك الأقطاعيين. ناهيك عن الأداء المبدع للممثل محمود المليجي في دور الفلاح محمود أبو سويلم وباقي طاقم الممثلين الذين أجاد يوسف شاهين في إدارتهم، .

وكان للكاميرا دور مفصلي في نقل التحدي ومعاني الإصرار في ارتباط أصحاب الأرض ومقاومتهم للإقطاعي المدعوم من سلطة الدولة ..

ولعل من أبرز المشاهد المؤثرة التي حفل فيها الفيلم..مشهد الاعتداء على الفلاحين من رجال الشرطة عندما هب الفلاحون للدفاع عن أرضهم ومشهد العنف الذي تلقاه الفلاح محمود أبو سويلم عندما انهال عليه أحد رجال الشرطة ووجه له ضربة بعقب البندقية تلقاها في وجهه الذي نزف دماء غزيرة جعلته يقع أرضا لتمتزج دماؤه بتراب الأرض.. وعندما يقوم رجال الشرطة بجره مربوطا بسنابك خيلهم..نرى أبو سويلم ولا زالت الدماء تنزف من وجهه ولكن عيناه لا زالتا تشعان فرحا وصلابة وتحديا ..وفي مشهد أسطوري نرى أظافر أبو سويلم وهو يسحل على أرضه نراها تنغرز عميقا في التراب وكأنها المحراث الذي يعدها لتكون جاهزة للمحاصيل الخير والعز والنصر على الإقطاعي البغيض.

موسيقى علي إسماعيل كان دورها حاسماً في إعطاء المصداقية لأحداث الفيلم متناغمة مع مشاهد الفيلم الذي صور في قرى مصر الزراعية. لنفوز بتحفة سينمائية خالدة.

إن النضال من أجل الأرض وحريتها واستعادتها سواء أكان ضد المحتل الذي اغتصبها وشرد أهلها، وأقام دولة كيانه الغاصب على عذابات أبنائها، لا يختلف عن النضال الذي يقوم به الفلاح أينما وجد ضد كل من يستغله و يسرق قوته وقوت أبنائه، هذا النضال بشكلية هو واحد موحد هدفه بالنهاية الحرية والتحرر واستعادة الحقوق بكافة أشكالها. وهذا ما ظهر جلياً في فيلمي غالب شعث«يوم الأرض»و«الأرض» ليوسف شاهين....

حكاية
تشبه كلّ الحكايات (2)

محمد بلال كاتب فلسطيني سورية

المخيم صورة وطن ذبح من الوريد إلى الوريد في غفلة من الزمن، هو أصل حكاية شعب انتزع من أرضه، في أزقته، حاراته، يرتسم الوجع على وجه المرايا، ليزهر زنابق من الأمل،

« أم الطّواقي» مستنقع نتنٌ في مجرى وادي الزّيدي صبغته الطفيليّات بلونٍ أخضرَ قاتمٍ يُفصح عن حجم القذارة التي يعجّ بها المكان الّذي يمكن وصفه بمستعمرة للكائنات المائيّة القذرة من ضفادع وطحالبٍ وديدان العلق المتّهمة بمصّ الدّماء، تعلوه على السّفح من الجهة الشّماليّة كهوف كان الفدائيّون قد اتّخذوها قواعد لهم بعد خروجهم من الأردن في سبعينيّات القرن الماضي إثرَ معارك أيلول الأسود.

في أمّ الطواقي وبعد جولاتٍ من السّباحة في المياه العفنة تخلّلها بعضُ المشاحنات بين أفراد المجموعة، اقترح الزعيم « خَضِر» وهو الأكبر سنّاً والأقوى جسداً بين أقرانه:

- اليوم بدنا نتغدّى ضفادع، يا شباب شدّوا حيلكم.

رغم القرف الّذي انتاب الفتى لكنّ الفكرة أعجبته، فقد تناهبه الجوع إلى درجة الإعياء، ليس مهمّاً ما سيأكله، هو يريد أن يأكل أيّ شيء وكفى.

انتشر الأطفال في المكان بحثاً عن الضّفادع بين الأعشاب وتحت الصّخور، جمعوا كميّة لا بأس بها، وحان موعد الشّواء الّذي كان وقوده كتباً ودفاتر مزّقها طلّاب المدارس مع بدء العطلة الصيفيّة كطقس من طقوس التمرّد والعدوانيّة تجاه كلّ نظام أو قانون يحدّ من حريّتهم أو يقيّد حركتهم.

استغرب الفتى تصرّف الزّعيم الّذي رمى الجزء الأعظم من أعضاء الضفادع، وكان منّى نفسه بوجبة دسمة، سأله مستفسراً:

- لماذا ترمي هذه الأشياء؟

ردّ الزعيم، وهو يوزّع الحصص على أفراد عصابته، بلغة تنمّ عن ثقة بالنّفس وكأنّه عالم من علماء الدّين:

- الّدين حلّل لنا أكل الأفخاذ فقط.

شجّعته فتوى الزّعيم هذه على تناول بعض الأفخاذ المحترقة بنهم ، لم يستسغ طعمها، لكنّها سدّت شيئاً من رمقه ، وتخلّصٍ إلى حدّ ما من حالة الخوار الّتي أرهقته، وهي حالة اعتادها منذ تفتّح وعيه على هذه الدنيا حتّى ظنّ الجوعَ المستدام حالةً طبيعيّة يشترك فيها الناس جميعاً وجزءاً من معطيات الوجود القاسي، كرهها إلى حدّ الحقد والكراهية.

«هوّن عليك يا صغيري، هأنذا أفتح نوافذ الّذاكرة على ذلك الزّمن الرّديء الّذي يفيض بمعاني القهر والحرمان، أعيش معك وأنت تغالب الجوع، تحاول أن تتحمّل عذاباته دون شكوى أو تذمّر، لكنّك أبداً لم تؤمن به، ولم تنسجم معه، كان اعتيادك له اعتياداً قسريّاً لا أكثر سيقودك مثل كلّ الفقراء في النّهاية إلى تبنّي حالة من المقاومة الفطريّة ينزع فيها الإنسان المأزوم إلى

التحرّر والخلاص من الألم والقهر، ربّما تتطوّر لتصبح حالة عدوانيّة، حالة رفض وكراهية للبشر للمجتمع للكون برمّته، إنّه اعتياد شكليّ مزعوم يتكيّف معه الإنسان حين تنعدم الخيارات أمامه، اعتياد مخالف للطبيعة البشريّة منافٍ للذّة الوجود، خُلق للأنبياء والقدّيسين في صحاراهم القاحلة في هذه الدّنيا الفانية أملاً بالفوز بأنهار من العسل والخمرة في فردوسهم الأعلى، تقدّم لهم كجائزةٍ بعد نجاحهم في ذلك الاختبار الوجوديّ العنيف»

تناسى الجميع الوقتَ وقلقَ الأهل والتعبَ الذي غالبهم، وفاجأهم الليل وهم يتسكّعون في براري درعا، ليقرّروا مكرهين العودة إلى المخيّم بعدما خمدت جذوة النشاط الّتي كانت متأجّجة في أعماقهم، وأصبحت رماداً باهتاً، توجّهوا إلى مخيّمهم يجرّون أرجلهم المتعبة السّجينة بأحذية بلاستيكيّةٍ تعجز عن حماية أقدامهم أمام سطوة الطّبيعة القاسية، توجّهوا إلى ذلك القمقم بيت السلحفاة السّجين بألف حكاية قهر وحلم والرّازح بقيود أمنياتٍ كسيحة يصعب تحقيقها.

تسلّل الفتى إلى غرفة أهله الطينيّة اليتيمة مهتدياً بضوء (البَنّورة) الخافت المتراقص دونما سببٍ، مشى بحذر بين الأجساد البشريّة المتناثرة بفوضى على أرضيّة الغرفة، أخافته تلك السّعلة الخفيفة التي صدرت عن والده مشفوعة بصوتٍ أجشٍّ فيه نبرةُ تقريعٍ حادّةٍ:

- وين كنت يا ولدِ، الك من الصّبح ما بيّنت؟

- كنت ألعب مع أصحابي.

قالها الفتى بصوت متهدّجٍ كسيرٍ حمل بين نبراته المرتجفة الكثيرَ من النّدم لعقدة ذنبٍ انتابتُه فجأة، اعتقد أنّه تمادى في الانغماس بمتطلّبات طفولته ومسايرته لرغباتها ممّا جعله يتأخّر إلى مثل هذا الوقت الغارق في هوّةِ الليل السحيق والمخالف لطقوس العائلة المشتبكة أبداً مع أنياب الكدح والتعب والجوع والشّقاء البعيدة كلّ البعد عن لذّة التّرف ولو بأدنى أشكالها ومراتبها.(يتبع)

هل تنبّأ الأدب بزوالهم

مصعب عيسى كاتب فلسطيني بلجيكا

لم توجد دولةٍ على وجه الأرض تهدس بزوالها وتخاف سقوطها وتتنبأ بتوقيته من قبل أن يحدث كما هو حال (دولة) الاحتلال الإسرائيلي على أرض فلسطين التاريخية منذ عام ١٩٤٨.

يعود هذا الهوس إلى الوساوس التاريخي الذي يشير (حسب مزاعمهم) إلى أن أي الكيان (اليهودي) لن يدوم أكثر من ثمانية عقود وهو ما يسميه المؤرخون الإسرائيليون (لعنة العقد الثامن) وخاصة أولئك الذين أعادوا صياغة التاريخ الصهيوني بلغة الحق ونكهة الحقيقة بعد أن اطلعوا على الأرشيف السري لأحداث النكبة في أروقة المؤسسات البريطانية منذ ثمانينيات القرن الماضي وصاغوا الحقيقة كما هي بدون تزوير أو تحريف من تهجير ومجازر وقتل وتعذيب وصولاً إلى ما يسمى التطهير العرقي والذي وصفه أفضل وصف المؤرخ الإسرائيلي ايلان بابيه والذي قال في كتابه (التطهير العرقي في فلسطين) إن إطلاق اسم النكبة على ما جرى عام ١٩٤٨ لهو ظلم للفلسطينيين إن ما حدث هو إبادة جماعية وتطهير عرقي ممنهج قامت به الصهيونية الاسرائيلية

بالعودة إلى لعنة العقد الثامن تلك الفوبيا الأزلية (الديستوبيا) التي راحت تظهر جليا وواضحا في تغريدات على مواقع التواصل الاجتماعي أو عبر مقالات كتبها قيادات سياسية في دولة الاحتلال أو أدلوا بها عبر لقاءات تلفزيونية في الإشارة إلى النهاية المأساوية التي تتنظر الاحتلال.

يقول إيهود باراك في إحدى مقالاته عبر جريدة يديعوت احرونوت يشير إلى أنه في تاريخ الشعب (اليهودي) لم يدم كيان أكثر من ثمانين عاما

وقبله كان نتنياهو عام ٢٠١٧ قد أشار إلى نفس المخاوف من عدم استمرار الكيان لأكثر من ثمانية عقود

وغيرهم الكثير من رؤساء ووزراء ومؤرخين وصحفيين كلهم تنبؤا بسقوط الدولة عن قريب....

هذا الخوف من السقوط والزوال ارجعه كثير من المحللين الإسرائيليين إلى نشوب خلافات سياسية حادة في دولة الاحتلال وسيطرة حكومة يمينية متطرفة على سدة الحكم وقمع الحريات إضافة إلى تغلغل النيوليبرالية المتوحشة على الدولة وقضمها لكل شيء الامر الذي سيؤدي إلى إندلاع مظاهرات واحتجاجات ستتطور إلى حرب داخلية اسرائيلية بين اليمين المتطرف وبين اليسار

وهذا ما اورده أحد أقطاب المؤرخين الجدد آفي شلايم رفيق ايلان بابيه الذين كتبوا أن المشروع الصهيوني يأكل نفسه بسبب الانغلاق والتطرف...وسيؤدي إلى هلاكه

لكن بعيدا عن تصريحات الساسة والقياديين والمؤرخين فهذه تبقى تحليلات سياسية ربما لا تدغدغ قلب القارئ أو تحاكي روحه بإيجابية لذلك دائما إذا أردنا البحث عن جوهر المجتمع وخصوصية الفرد فيه ومظاهره ينبغي علينا التوجه نحو دراسة الأدب الخاص بهذا المجتمع

لماذا الأدب؟

لأنه مرآة المجتمع وصورته في كل مرحلة وهو المعبر الأفضل عن حاله واستقراره وازدهاره وفساده وانكساره أو ربما قد يتحدث عن الخوف من سقوطه وزواله

هذا الخوف الذي تجسد واضحا وبدأ يتغلغل إلى أفلام وكراسات الكتاب والأدباء والشعراء الإسرائيليين

فراح الأدب الصهيوني يتحدث عن أسباب السقوط فيما إذا كانت داخلية أو خارجية بفعل تنامي المقاومة الفلسطينية وازدياد قوتها واشتداد وتيرتها وهذا بالضبط ما اوردته رواية (القرش) التي كتبها عام ٢٠١٧ عميل الموساد السابق ميشكا بن دافيد والتي تنبأ فيها بنمو سطوة المقاومة الفلسطينية واحتمال شنها هجوم مفاجئ من غزة على الكيبوتسات في الغلاف واشتعال جبهة الشمال إضافة إلى تخلخل وانقسام الشارع الاسرائيلي الأمر الذي سيقود الى الفوضى والخراب.. وأخيرا الزوال

هذا الأدب الذي وسم حبر الأدباء والكتاب الصهاينه والذي راح يعرف بإسم (أدب النهايات) فمتى بدأ ومن هم أهم كتابه وماهي أهم الروايات ؟

يشير الكاتب والناقد الفلسطيني والمترجم انطوان شلحت إلى تاريخ أدب النهايات الإسرائيلي أنه بدأ في ثمانينيات القرن الماضي وجاء على خلفيات متعددة أهمها أن الكتابة ينبغي عليها أن تتحرر وإن الكتابة تتطلع إلى الحقيقة أو تسمو إلى الانقى

وهنا يشير انطوان شلحت إلى أن هذا الأدب الذي سماه هو باسم (أدب الرؤيا القيامية) وكلمة قيامة هنا ستنقلنا فورا لا إراديا إلى التصريح الأخير الذي أدلى به رئيس وزراء الاحتلال نتنياهو عن تسميته لهذه الحرب على غزة ولبنان باسم (حرب القيامة) وربما ذلك يحمل بعدا أو رمزا من رموز الديستوبيا الاسرائيلية الواقعة لا محال

وهنا وردت أسماء كثيرة لكتاب تناولوا هذا النوع من الادب

ففي رواية الطريق الى عين حارود للأديب الاسرائيلي عاموس كينان التي كتبها عام ١٩٨٤ وترجمها للعربية انطوان شلحت يشير الكاتب إلى نشوب حرب أهلية داخلية اسرائيلية بسبب وقوع البلاد بأكملها تحت حكم شمولي قمعي متطرف ويضطر فيها بطل الرواية إلى البحث عن شخص عربي فلسطيني طلبا للمساعدة للخروج من تل أبيب والوصول إلى عين حارود تلك البقعة التي لم يستطع جنرالات العسكر السيطرة عليها وهي إشارة واضحة إلى الانقسام والخراب الذي سيحل بالدولة وإن السلام والنجاة لن يتحقق إلا بالتوافق مع الفلسطينين لأنهم أهل الارض والاعلم بشعابها

وكثير من الروايات التي تناولت الأدب القيامي أو أدب النهايات ومنها (فندق يرمياهو) لبنيامين تموز ورواية (الملائكة قادمون) ليتسحاق بن نير ورواية (من اجل الرب) لهادي بن عامير ورواية (الثالث) يشاي سريد أو كما في رواية (هوس الماء) لآساف بن جفرون وربما الرواية الأكثر سردا للديستوبيا والخراب المؤسساتي وانهيار الدولة هي التي تجسدت في (٢٠٣٠) للروائي يغال سرنا تلك التي تتحدث عن أزمة اقتصادية واجتماعية بسبب النيوليبرالية المتوحشة التي سوف تتنتج انقسام وانهيار مجتمعي على صعيد البنية الداخلية لدولة الاحتلال هذه الرواية التي كانت فحوى دراسة قام بها الدكتور المصري ابراهيم نصر الدين دبيكي في كلية الآداب – جامعة طنطا

والتي ألقى فيها الضوء بداية على أدب النهايات وخصص باقي الصفحات لدراسة هذه الرواية وأبعادها ومآلاتها وأحداثها

لكن الأغرب هو أحداث رواية حق العودة) لليو دي وينتر التي كتبها عام ٢٠٠٨والتي من قبيل المصادفة تدور أحداثها عام ٢٠٢٤ و تتحدث عن تحول الدولة إلى غيتو يهودي بفعل خسارة كثير من المدن تحت وطأة المقاومة والقصف الصاروخي

وغيرها الكثير من الروايات..

ويشير الناقد الاسرائيلي إريك جلاسنر: انه في الأعوام بين (٢٠٠٥-٢٠١٥) أصبح هذا الأدب سمة واضحة في أروقة الحبر الإسرائيلي وفحواه أن هناك امرا ما في الواقع الإسرائيلي الآني وربما المستقبلي ما يثير الرعب والخوف والرؤية المروعة عن الزوال.

فهل يكون ادبهم تنبأ بزوالهم وتحدث عن سقوطهم قبل السقوط

لا نبوءة في ذلك.. ولكنها مسألة جذر وانتماء وهذا ما يؤكده الزمن في كل مراحله .

لحـم الوجـود

لمى الشطلي كاتبة صحفية فلسطينية سورية

ولدت من رحم الأرض.. ولم أدرك معناي بعد وخرجت إلى الكون فكرةً بيضاء لا تشغل أي حلم، ثم وهبوني جنسيةً يملؤها الضجيج قالوا إن لي أرضاً وسلالة وسلفا وأعطوني صفةً في اللغة يدعونها «لاجئ»، امتلأت بالوهم وكان الخيال صديقي المفضل منحوني كل شيء إلا الأرض.

أعطوني منفى وأخبروني أننا نتوارث صلب الجسد منذ عام ١٩٤٨، لم تكن هذه العادة عند أجداد أجدادي الأوائل لكن السماء وخبث أبناء قابيل من زجّونا في هذا الإثم اللامنتهي، هم أثموا ونحن نصلب عنهم، «أتحسبنا جميعاً أنبياء!» هكذا وشوش إلي عيسى لما صُلب بفتنة بني إسرائيل وعربدة الرومان، شبّه لهم أنه قتلوه مثلما يشبّه لهم خلاصهم منّا. قد نسوا أنّ للصلب بعثاً أشد بأساً وأنه كلّما كثر الموت رجعنا نسأل عن شجر الزيتون والحبال المعلّقة على مئذنة الحقيقة.. «هذه الأرض لنا ونحن لحم الوجود، ديانة التاريخ وتأليه كلّ القضايا..»

أتدري أن دوران هذه الكرة لا يكتمل إلا بالقضايا، وقد منحنا هذا الشرف دون عناء منا، لكننا نحتاج دوماً لمقدمةٍ طويلة تطرق التاريخ وتنصت للديانات ولكنها تستسيغ دوماً دهاليز السياسة فتباً لأرسطو واضع مبادئ الشر الأعظم في هذا الكون، الآن أستطيع أن أخبرك بأنني أحمل أرضاً لا تحملني، وأهرول باحثاً عن معناي في منفاي وبأني بكامل عنفواني فلسطيني الهوية..

قد مضى التاريخ مُتهكماً ولم يأبه بأي شعبٍ أو حضارة، ولكنه في لحظةٍ إنسانيةٍ واحدة انشق على نفسه فوق أرض فلسطين، وأصيب بفصام الفلسطينيِ ذاك الإنسان الوحيد الذي نجح بأن يضعه أمام الحقيقة، فما معنى الإنسان والإنسانية وما هي الحقيقة؟ هو نزع عن ذاته صيرورة المضي قدماً ليجعلنا أمام جدلٍ لا منتهٍ كيف تكون إنسان وأنت ترى وتسمع كل ما يحدث للفلسطيني؟ ما معنى الحياة وهل القتل شيئ اعتيادياً؟ كيف نفهم أن فلسفة البعث الجديد تتسرب إليك من جسد الشهيد ومن تراب الأرض، حينما أشاح العالم نظره عنا ووضعنا في عُرف القضية.

أجبنا نحن من دمنا وأشلائنا ومن أنين عظامنا منذ النكبة إلى وقتنا هذا، لكن غزّة أسقطت كلّ الحسابات وخرجت عن المألوف إلى سادية الفكرة وأمعنت في الإجابة لتؤلف أسطورة أخرى ورثتها عن الهنود الحمر «ويندیغو» العصر الجديد، المتعطش للحم والدماء والغارق في خطيئة الماضي بتلمودٍ يبرر القتل على أنه شريعة، كلّ شيء يمكن تفسيره وتبريره ولكننا مازلنا عالقين بين فهم الإنسانية وصمت العالم، أنت ترى! هناك امرأة تسير حافية القدمين مترنحة بين يدي الموت تصرخ مفجوعةً من غياب الصوت، وعلى الزاوية الأخرى تشاهد طفلاً يحمل أشلاء أخيه الصغير ويعبر من المشهد إلى ثنائية الحياة والمأساة، وهناك أيضاً رجلٌ خرّ على قدميه مستجدياً السماء وكل الديانات بأن يتوقف هذا الموت، نعم كل شيء بات واضحاً.. كلّ شيء يمكن فهمه، لذلك يزيدون صمتهم، أولئك المصابون بلعنة ميدوسا، بلغ بهم شقاء النظر إلى فقدان القدرة على الكلام حتى استحالوا لحجارةٍ نعبد بهم طريق الذاكرة الجديد، فسجّل أيها العالم» نحن الوجود وكلّ الحقيقة.. فمتى سوف تكتفي من لحمنا..»

استَمِروا..
فِي سَبيلِ بُزوغِ الشَّمسْ
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
P. F. L. P.
٩ آذار
يوم الشّهيد الجبهاوي
MARCH 9
PFLP MARTYR'S DAY
9 DE MARZO
DÍA DEL MÁRTIR DEL FPLP
GUEVARA ABED AL QADER

صندوق الفرجة

مروان عبد العال

أيها المتفرجون، إنها ليست مسرحية صاخبة، وجمهور صامت، بل هي عرضٌ واقعي متسلسل من الإبادة الجديدة، بقدرات إدهاشية عالية في فن الذبح الدموي.

هل شاهدتم كيف جُمِع الشبّان في حفرة؟ ونُفّذت بحقهم جريمة الإعدام الميداني الجماعي، ما أسفر عن استشهاد عدد منهم، فيما أخضع البقية للتفتيش والفحص عبر الحلابات، وسط عمليات اعتقال جماعية وتنكيل همجي.

أيها المتفرجون، الناجون من النساء والأطفال وكبار السن، أجبروا على المسير على الأقدام مسافات طويلة، من دون أن يُسمح لهم بنقل أغراضهم، ووسط الحصار المميت، انقطعت أخبار الطواقم الطبية والصحافية، هناك بقايا أجساد مرمية على الطرقات، عندما نالت جائزة أكاديمية صرحت الروائية الهندية أروندااتي روي "يبدو أن الشيء الأخلاقي الوحيد الذي يمكن للمدنيين الفلسطينيين أن يفعلوه هو الموت.

الشيء القانوني الوحيد الذي يمكن لبقيتنا فعله هو مشاهدتهم يموتون، وأن نصمت!! إذا لم نفعل ذلك، فإننا نخاطر بالمنح الدراسية والهبات ومكافآت المحاضرات وبسبل عيشنا".

أيها المتفرجون، لقد صنعوا منكم مجتمعاً للفرجة، تحولت كل أحزابكم وطلائعكم وقواكم وقبائلكم ودولكم شعوبكم إلى "مجتمع الفرجة"، يذكرنا بالمفكر الفرنسي دي ديبور الذي ألف كتاب "مجتمع الفرجة"، عام ١٩٦٧، حيث يعبر عن مخاوفه من تخدير الجماهير، وتأثير وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية على الحياة الاجتماعية والسياسية في "مجتمع الفرجة"، حينما نتحول إلى مجتمع لم يعد فيه الأفراد فاعلين، بل أصبحوا مجرد متفرجين، يصف كيف أن الصورة، سواء كانت من خلال التلفاز أو السينما أو وسائل الإعلام الأخرى، أصبحت تحل محل التفاعل المباشر والفعّال بين الأفراد.

أيها المتفرجون، ماذا حصل للعرب؟ فالقصائد كلها لا تكفي، أنهم يقتلون الحياة، لوثوا كل شيء جميل وإنساني فيها، وهنا هزمت كل الفنون وانتصر الموت، لا هدنة للمحرقة (الهولوكوست) الصهيوني؟ يجوب في كل فلسطين، يستعرض عجزكم ويدفن أنظمتكم الميتة، ويطارد عروبتكم في أزقة القدس القديمة والمدن والبلدات والمخيمات وخيم النازحين في القطاع والخيام الجديدة في الضفة، فلسطين لم يقتلها القتلة، قتلها عرب الردة والتواطؤ والفرجة، في الشوارع العربية والساحات الفسيحة التي تخرج عن بكرة أبيها لحضور مهرجان غنائي لمطرب تافه أو مطربة سخيفة. وحواضر العرب صندوق فرجة "وتع تفرج يا سلام..! عَ عَجايب الزّمان".

أيها المتفرجون، هل نسيتم أنها "غزة هاشم" نسبة إلى هاشم بن عبد مناف، الجد الثاني للنبي العربي الكريم محمد بن عبد الله، أكبر تجار الحجاز، وهو الذي سنَّ لهم رحلتي الشتاء والصيف، وتسمرت أعينكم أمام المسلسلات الرمضانية، حتى يتوج "معاوية بن أبي سفيان" بطلاً للدراما التاريخية وحبكة للفتنة السياسية.

أيها المتفرجون، كانت غزة معبراً مفتوحاً بين مملكة صور الفينيقية شمالاً والحجاز واليمن جنوباً، ولم تعتد الفرجة، وتغفل عن جارتها مملكة صور التي دمرها الإسكندر المقدوني وأسر سكانها بالجملة، راحت تقاتل قتالاً بطولياً، ضد الغزاة المقدونيين، شارك فيه جميع أهلها في تجربة للحرب الشعبية هي الأولى من نوعها في التاريخ البشري المعروف.

أيها المتفرجون، لقد صمت خطاب النخوة العربية "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، لتنصروا مقاومتها وصمودها وبطولتها وملاحمها وشعبها، عزة العزة للعرب ومنكم عرب الفرجة، والتخلي والخذلان، وضعت العالم كلّه في امتحانٍ أخلاقيّ نادر، ليس ما يحدث في فلسطين مجرد صراع محلي، بل اختبار حقيقي لضمير الإنسانية.

أيها المتفرجون، منطقة تتفكك ونخب تتآكل، والنظم البائسة والمنشغلة بترسيم الحدود والحياد والاستبداد، لندرك أن الاستعمار ليس ماديّاً فحسب بل وعقلياً أيضاً، احتلال الوعي العربي، الذي أفسح في المجال واسعاً للوصول إلى البؤس الفظيع الذي نحن فيه، حيث لا قيمة لصورة الدم المسفوك على قارعة الشاشات والطرقات والمستشفيات.

يا عرب الفرجة، لا تدعوا العالم يُشيح بنظره عنها، في الحرب المصيرية سنحتاج أن نكون جمهوراً مقاوماً لا متفرجاً، أو ستندمون بقولكم أنكم أكلتم يوم أكلت غزة! قتلتنا الردة وعرب الردة، بانتظار «يقظة العرب» يوم يعودوا عرباً من جديد، حتماً ستولد فلسطين من جديد.

صدق الشاعر محمود درويش "يا أيّها المتفرّجون! تناثروا في الصمت وابتعدوا قليلاً عنه كي تجدوهُ فيكم".

الهدف AL-HADAF